



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم الدين

الأرض في ضوء القرآن

"دراسة موضوعية"

إعداد الطالبة

عبهرة سميح العامودي

إشراف الدكتور

جمال الهوبي

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1427هـ / 2006م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

من بين شقوق الأرض ... من بين حبات التراب
من فوهات البراكين، ومن بين تصدعات الزلازل
أبعث إهدائي إلى والديّ الفاضلين، وإلى أخواتي وإخواني الكرام

مع تغير الحضارات ... واستخدام الآلات ... وتقدم الصناعات
أبعث إهدائي إلى أساتذتي الأفاضل عامة .. وأستاذي ومشرفي خاصة

من بين شَمِي البذرة في باطن الأرض.. ومن بين الأشجار
ومع تغريد الأطيّار ونسمات الأزهار... أبعث إهدائي
إلى زميلاتي في الجامعة الإسلامية عامة وإلى طالبات الماجستير خاصة

مع هطول المطر ... وخطوات البشر ... وتقدم الحضير
مع بزوغ القمر ... وقرع أجراس الخطر
أبعث إهدائي إلى المجاهدين والشهداء ... والرابضين خلف سجون الأعداء

أهدي إليهم جميعاً هذا البحث

شكر وتقدير

قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾⁽¹⁾ وقال أيضاً: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾⁽²⁾ ، وانطلاقاً من قول النبي ﷺ: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"⁽³⁾ فإنني أتقدم بالشكر لمنارة العلم والإيمان، إلى الجامعة الإسلامية بغزة ممثلة برئيسها الدكتور/ كمالين شعت والقائمين معه على إدارة هذا الصرح الشامخ.

وأقدم بجزيل الشكر والعرفان لكلية أصول الدين التي تلقيت بين أروقتها العلم والدين.

كما لا أنسى أن أقدم الشكر والتقدير الجميل لأستاذي وشيخي الدكتور/ جمال الهوبي الذي أولاني كل رعاية وإرشاد، ونصح ولم يبخل علي بما أنعم الله عليه من علم، فكان له الأثر الكبير في إثراء هذا البحث حتى وصل إلى هذه الصورة، فجزاه الله عني خير الجزاء، كما لا أنسى أستاذي الفاضلين:

الدكتور/ وليد محمد العامودي

والدكتور/ عصام العبد زهد

على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث، ونصحهما وإسدائهما إليّ بالتوجيه والإرشاد.

ويسعدني أن أقدم شكري الخالص للأستاذ/ سهيل أبو زهير لتفضله بتدقيق هذه الرسالة لغوياً، فجزاه الله كل خير. وأتقدم بالشكر للدكتور/ أسامة علي مهدي لتفضله وتكرمه بترجمة ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.

كما لا أنسى أن أقدم شكري الخالص وجزيل التقدير والعرفان للأخ/ هاني الصوص الذي تفضل وأشرف على طباعة هذه الرسالة، فجزاه الله عني كل خير.

ولا أنسى أن أشكر الأخوة العاملين في المكتبة المركزية، وخاصة في قاعة

المراجع، الذين كانوا عوناً لي ، ولم يبخلوا بأي مساعدة حتى تم هذا البحث.

(1) سورة سبأ، آية (13)

(2) سورة النمل، آية (19)

(3) ت: (25) ك البر والصلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، (35) ب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك،

(ح1954)، (445ص). صحيح.

وأَتَقَدِّمُ بِالشُّكْرِ وَالْعُرْفَانِ لِلأَخُوَّةِ الْعَامِلِينَ فِي مَكْتَبَةِ دَارِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِخَانِيُونَسَ،
وخاصة الأَخِ/ أَحْمَدُ كُلابَ لِمَسَاعَدَتِهِ لِي فِي جَلْبِ الْكُتُبِ غَيْرِ الْمَتَوَفَّرَةِ فِي الْمَكْتَبَةِ، فَبَارِكِ اللهُ
فِيهِمْ جَمِيعاً.

وَأخيراً أَشْكُرُ كُلَّ مَنْ قَدَّمَ لِي مَسَاعَدَةً أَوْ نَصِيحَةً أَوْ إِرْشَاداً وَلَوْ بِدَعْوَةٍ فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ،
فَجَزَى اللهُ الْجَمِيعَ عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ. فَمَا كَانَ صَوَاباً فَمِنَ اللهِ، وَمَا كَانَ خَطأً فَمِنَ نَفْسِي، وَأَسْأَلُ
اللهَ الْمَغْفِرَةَ وَالسَّدَادَ وَالصَّوَابَ.

الباحثة

عبهرة العامودي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المشرف بالشفاعة، المخصوص ببقاء شريعته إلى قيام الساعة، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار، وأتباعه الأخيار صلاة باقية ما تعاقب الليل والنهار. وبعد،،،

إن القرآن هو كتاب الله -تعالى- أنزله هداية للبشرية جمعاء، ولإخراجها من ظلمات الكفر، إلى نور الهداية، ومن عبودية الطواغيت إلى عبادة الله وحده دون سواه. فقد أوجب الله على المسلمين تدبر آيات القرآن، قال -تعالى- في كتابه العزيز: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁽¹⁾ وتدبر القرآن عن طريق إمعان النظر في سوره وآياته، وجمله وكلماته، وتراكيبه ومفرداته، ولا شك أن علوم القرآن والتفسير، هي من خير العلوم على وجه الإطلاق؛ لأنها تتعلق بخير كلام وهو كلام رب العالمين.

وهذا العلم له أهمية عظيمة للأمة، لما في هذا العلم من معارف شتى، وأسرار عجيبة، ولقد تكفل الله (تعالى) بحفظ القرآن من بين جميع الكتب التي أنزلها، فإنه محفوظ في الأرض، محفوظ في السماء من أن تتأله يد التغيير أو التحريف -كما حدث مع الكتب الأخرى. ولقد نال علم التفسير قديماً وحديثاً اهتماماً خاصاً من العلماء؛ لأنهم بذلوا الكثير لخدمة هذا الكتاب، ومن هذا الباب ذلك اللون الجديد من تفسير القرآن الكريم موضوعياً، ويمكن القول -عنه- أنه علم حديث، ولم يكن معروفاً كعلم مستقل فيما سبق، وإن كان وجد له لبنات أشار إليها العلماء.

ولم يفرد سابقاً لهذا العلم مصنفات كغيره من العلوم الأخرى، ولكنه الآن ينتقل في مدارج التكوين والاستحكام، ليأخذ طوراً جديداً في طريقة عرضه وبحثه وفي نوعية الموضوعات التي يبحثها ويستخرجها من القرآن الكريم، وفي الغاية التي يستهدفها، وفي النتائج والآثار التي يتوخاها، حتى يصبح فناً من فنون التفسير القرآني قائماً برأسه، ومتميزاً بحدوده، ومعامله، ليجلي عظمة القرآن في هذا الزمان، وليبرز لوناً جديداً من وجوه إعجازه، متمثلاً في موضوعاته المتكاثرة، وقضاياها التامة المتكاملة، وحقائقه المترابطة.

ولأهمية التفسير الموضوعي، لقد وفقني الله في اختيار هذا الموضوع ألا وهو "الأرض في ضوء القرآن" ولقد بلغت آياته أربعمئة وإحدى وستين آية.

(1) سورة النمل، آية (19)

وقال الله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾⁽¹⁾ وقال أيضاً: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾⁽²⁾

لقد خلق الله الإنسان على هذه الأرض، وخلق له فيها رزقه، وكل ما يكفل له استمرار حياته، فمن نبات الأرض نأكل، ومن هوائها نتنفس، ومن مائها نرتوي، ومن صخورها نبني بيوتنا، ومنها خلقنا، وإليها نعود، ومنها نخرج مرة أخرى.

لهذا فإن الأرض تستحق منا أن نعرف عنها كل شيء، فكم من ساعات ينفقها الإنسان بسخاء فيما لا قيمة! له فلم لا يختلي إلى نفسه لدقائق معدودة ليحاسب نفسه ويختار طريقه؟ لمن ملكوت السموات والأرض ومن فيهن؟ فمن هنا نستعد إلى الخروج لنبدأ بالنظر والتأمل في ما أبدعه الخالق.

أولاً: أهمية الموضوع

إن هذا الموضوع جدير بالدراسة وذلك للأسباب التالية:

- 1- لأن الله تعالى خلق الأرض واستخلفنا فيها لإصلاحها والاستفادة مما فيها لعبادته.
- 2- عناية القرآن بالأرض، ولقد ذكرها الله تعالى في آيات كثيرة مما يدل على أهميتها، حتى بلغت آياتها أربعمئة وإحدى وستين آية.
- 3- غلب على الدراسات السابقة عن الأرض طابع العلوم البحتة والبيئية، ولا بد أن يكون للمفسرين دورهم في ذلك.
- 4- تشعب الأغراض واختلافها وتنوعها التي تدل عليها الآيات القرآنية في الموضوع، مما يجعله أكثر أهمية.

ثانياً: أهداف البحث:

- 1- الأمل في نيل مرضاة الله (تبارك وتعالى).
- 2- إخراج بحث تفسيري موضوعي للآيات المتعلقة بالأرض في القرآن الكريم.
- 3- إبراز عناية القرن الكريم بالأرض.
- 4- إظهار بعض بلاغة القرآن ووجوه إعجازه.

(1) سورة النحل، آية (3)

(2) سورة العنكبوت، آية (20)

ثالثاً: طبيعة عمل الباحثة:

- يمكن وصف طبيعة عملي في البحث -إن شاء الله- على النحو التالي:
- 1- جمع الآيات المنثورة في سور القرآن الكريم حول الأرض وتوثيقها وترتيبها ترتيباً يحقق تفسيراً موضوعياً متكاملًا.
 - 2- الاستدلال بالأحاديث والآثار ذات الصلة بالموضوع، وتخريجها، ونقل حكم العلماء عليها.
 - 3- توثيق كل النقولات والأفكار، سواء كانت من كتب التفسير أو غيرها بشكل واضح دقيق.
 - 4- التعريف بالمغمور من البلدان والأعلام المسلمة الواردة في البحث.
 - 5- التركيز على جانب التفسير الموضوعي وربط الموضوعات المتعلقة بالأرض مع بعضها البعض، وإثبات الوحدة الموضوعية بين الموضوع الرئيس والموضوعات الأخرى.

رابعاً : الجهود السابقة:

بعد البحث والاستفسار لم أعثر على أي رسالة علمية أو كتاب واحد يتناول هذا الموضوع من ناحية الدراسة الموضوعية.

إلا أنني وجدت بعض الكتب، قد تناولت جزءاً منه، ولكن من ناحية الإعجاز العلمي، مثل: "من الإعجاز العلمي في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية" للدكتور/ حسن أبو العينين، وكتاب "من علوم الأرض القرآنية الثابت العلمية في القرآن الكريم" للدكتور عدنان الشريف.

ولكن اهتم العلماء بالكتابة حول الأرض من الناحية الجيولوجية والجغرافية والبيئية والسياسة. ومن الجدير بالذكر أنني بحثت في شبكة المعلومات العالمية "الإنترنت" فلم أجد أي رسالة علمية كتبت في ذات الإطار.

وكذلك فقد راسلت مركز الملك فيصل للبحوث -قسم خدمات المعلومات- عن طريق الفاكس، فأكد لي أن الموضوع لم يكتب فيه، ولم يبحث من قبل. فكان لي السبق في تقديم هذا الموضوع للدراسة والبحث إن شاء الله.

خامساً : الرموز المستخدمة في الرسالة:

| | | |
|----|---|----------|
| ب | : | باب |
| ت | : | الترمذي |
| ج | : | جزء |
| ح | : | حديث |
| خ | : | البخاري |
| د | : | أبو داود |
| د. | : | دكتور |
| ص: | : | صفحة |
| ط | : | طبعة |
| ك | : | كتاب |
| م | : | مسلم |

سادساً: خطة البحث

تحقيقاً للأهداف والغايات المرجوة من وراء هذا البحث قسمت هذه الدراسة على النحو التالي:
مقدمة ، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

المقدمة : وتناولت فيها الموضوعات التالية:

- 1- أهمية الموضوع وبواعث اختياره.
- 2- أهداف البحث.
- 3- طبيعة عملي في هذا البحث.
- 4- الجهود السابقة.
- 5- الرموز المستخدمة في الرسالة.
- 6- خطة البحث.

التمهيد

ويشمل:

أولاً : معنى الأرض في اللغة.

ثانياً: معنى الأرض في الاصطلاح العلمي.

ثالثاً: الاستعمالات القرآنية لفظ الأرض.

الفصل الأول

صفة خلق الأرض وتسخيرها للإنسان

قسمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : صفة خلق الأرض

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نشأة الأرض ومراحل تكوينها.

المطلب الثاني: شكل الأرض وجاذبيتها وتوازنها.

المطلب الثالث: حركة الأرض ودورانها.

المطلب الرابع: وسعها وزينتها.

المبحث الثاني: تسخير الأرض للإنسان

وفيه ثلاثة مطالب (تمثل عوامل الحياة على الأرض) وهي:

المطلب الأول: الهواء.

المطلب الثاني: الماء.

المطلب الثالث: الغذاء.

المبحث الثالث: كنوز الأرض

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الثروة المعدنية.

المطلب الثاني: الفحم الحجري.

الفصل الثاني

بدء الحياة على الأرض وحكمة ذلك

قسمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : بدء الحياة على الأرض

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بدء حياة النبات والحيوان.

المطلب الثاني: بدء حياة الجن.

المطلب الثالث: بدء حياة الإنسان.

المبحث الثاني: عمارتها واستخلاف الصالحين لها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عمارة الأرض.

المطلب الثاني: وراثته واستخلاف الصالحين للأرض.

المبحث الثالث: إصلاحها وعدم إفسادها

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسباب وعوامل إفساد الأرض.

المطلب الثاني: مضار إفساد الأرض وعلاجه.

المطلب الثالث: عوامل إصلاح الأرض ومقومات ذلك.

المطلب الرابع: منافع ومحاسن إصلاح الأرض.

الفصل الثالث

أحوال الأرض ونهايتها

قسمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الابتلاء بالأرض.

المبحث الثاني: صلاحها للحياة إلى يوم القيامة.

المبحث الثالث: صفتها يوم القيامة.

المبحث الرابع: وراثته الله لها.

الخاتمة

ذكرت فيها ملخص الرسالة، وخلاصة ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات.

الفهارس

وسأقوم بوضع الفهارس التالية:

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس الأحاديث النبوية.

3- فهرس الأعلام.

4- فهرس المصادر والمراجع

5- فهرس الموضوعات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، الذي وفقني لإتمام هذا البحث، فما كان من

صواب فبتوفيق الله وهداه، وما كان من خطأ فمن نفسي، وأسأل الله الهدى والمغفرة.

التمهيد

ويشمل:

أولاً: معنى الأرض في اللغة.

ثانياً: معنى الأرض عند المتكلمين.

ثالثاً: معنى الأرض عند الحكماء.

رابعاً: معنى الأرض في الاصطلاح العلمي.

خامساً: الاستعمالات القرآنية للفظ الأرض.

أولاً: معنى الأرض في اللغة.

معناها عند ابن فارس:

قال ابن فارس، في مقاييس اللغة عن الأرض:

الهمزة والراء والضاد ثلاثة أصول، أحدها: يتفرع وتكثر مسائله، وهو كل شيء يسفل ويقابل السماء، كما قال طفيل الغنوي⁽¹⁾:

وأحمر كالدجاج أما سماؤه فرياً وأما أرضه فمحول⁽²⁾

فإن المقصود بـ(سمائه): أعاليه، وأرضه: قوائمه⁽³⁾.

والثاني والثالث: هما أصلان لا ينفاسان، ولكل أصل موضوع خاص به أحدهما:

الزكمة؛ وقد يقال: رجل مأروض أي مزكوم.

والآخر: الرعد؛ ويقال: بفلان أرضٌ أي رعدة.

وعندما ننظر في استعمالات الأرض فإننا نراها غير متكاملات، وكل أصل يختلف عن الآخر.

1- فإن المراد بالأصل الأول: الأرض التي نعيش عليها، ويتفرع منه قولهم:

أرض أريضة: أي حسنة النبت، وجدي أريض: أي إذا تناول نبت الأرض، وأرضة:

وهي دويبة بيضاء تشبه النملة، وأرضية: أجرة شغل الأرض وقتاً ما، وأرضية الحجر: ما يقابل السقف.

2- الأصل الثاني: الداء المعروف.

3- الأصل الثالث: الاضطراب، وقد وافق كثير من اللغويين رأي ابن فارس في معنى الأرض⁽⁴⁾.

(1) طفيل الغنوي هو: طفيل بن عوف بن كعب، من بني غنى، شاعر جاهلي فحل من الشجعان، وهو أوصف العرب للخيل، وربما سمي طفيل الخيل لكثرة وصفه لها ويسمى المحبر، مات بعد مقتل هرم بن سنان، له ديوان شعر طبع صغير [انظر إلى خزانة الأدب: للبغدادي، (46/9)].

(2) ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي، تحقيق: حسان فلاح أدغلي، (136)؛ دار صادر بيروت، ط1 1997.

(3) انظر: معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس، (79/1-80)، دار الجيل بيروت، ط1 1411هـ-1991م؛ ومعجم لوسيط: د. إبراهيم أنيس وآخرون، (14/1)؛ ط2.

(4) انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (79/1-80)؛ ومعجم الوسيط: إبراهيم أنيس، (14/1)؛ ومعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية، (12)؛ ط1 1400هـ-1980م؛ ومفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، (73)، دار القلم دمشق، ط3 1423هـ-2002م؛ والكليات: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (77)؛ ولسان العرب: جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، (61/1)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 1424هـ-2003م. بتصرف واختصار.

ولكن كان الاختلاف في جمع كلمة الأرض، وسوف نعرض آراء العلماء في ذلك، مع ذكر الرأي الراجح.

1- الكفوي قال: إنها مؤنثة، وإن للواحدة يقال: أرضية، فإنهم لم يقولوها؛ وذلك لأنها ليست مشهورة عند الناس⁽¹⁾.

2- قال ابن منظور: جمعها آراضٌ، وأرؤوض، وأرؤوضون، بتعويض من الهاء المحذوفة واواً، وتفتح الراء حتى تصبح جمع تكسير؛ لأن من المعلوم أن (أرض) مؤنث فهي لا تجمع جمع مذكر سالماً، ولا جمع تكسير، وإنما يفتحون الراء حتى تصبح جمع تكسير⁽²⁾.

3- قال الجوهري: إن جمع أرض عنده على ثلاثة وجوه:
أ- إما بألف وتاء؛ وذلك لأن المؤنث الذي ليس فيه هاء تأنيث يجمع أرضات، مثل: عرسات.

ب- أو بالواو والنون، وإن المؤنث لا يجمع بهذه الصورة إلا إذا كان منقوصاً.

ج- أراضي فإنها غير قياسية مثل جمعهم أرضاً⁽³⁾.

الراجح:

يرى ابن بري أن جمع أرض هي أرضى مثل أرطى، بينما كلمة أرض جمعها أو أرض⁽⁴⁾.

وغيره يرى أن جمعها أراض كما يقولون: أهل وأهل⁽⁵⁾.

والمعروف لدينا إن جميع ما ورد عن جمع الأرض سواء كانت أراض، أو أرضى، أو أرضات، أو أرضون، أو أراضي أنه صواب، وليس هناك جمع صحيح وآخر أصح، ولكن نختار ما هو مشهور عند العامة، وما ينطق به الناس، وإن الجمع هو أراض.

ثانياً: معنى الأرض في الاصطلاح العلمي.

هي خامس كوكب من المجموعة الشمسية من حيث الحجم، وثالث الكواكب من حيث ترتيبها من الشمس، ويوجد بينها وبين الشمس كوكبا عطارد والزهرة. وهي الكوكب الصالح

(1) انظر: الكليات: لأبي البقاء، (77). بتصرف.

(2) لسان العرب: لابن منظور، (61/1).

(3) انظر: تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، (1063/3-1064)، دار العلم للملايين، ط2 1399هـ-1979م.

(4) انظر: حواشي بن بري، وابن ظفر على درة الغواص في أوهام الخواص: للحريري (75)؛ ط1 1411هـ-1990م. بتصرف.

(5) انظر: تاج اللغة: للجوهري، (1063/3-1064). بتصرف واختصار.

لحياة الإنسان عليه بخلاف الكواكب الأخرى، وتدور الأرض حول محورها المائل الذي يسبب تعاقب الليل والنهار.

وتدور كذلك حول الشمس مرة كل $\frac{1}{4}$ 365 يوم؛ فينشأ عن هذا الدوران الفصول

الأربعة⁽¹⁾.

خلاصة معنى الأرض:

خلاصة الأقوال السابقة في معنى الأرض، أنها ثلاثة أصول:

- 1- أصلان لا ينفاسان وهما: أ- الزكمة ب- الرعدة
- 2- أصل يتفرع وهو: كل شيء يسفل ويقابل السماء، أي كل ما استقر عليه قدمك، أو كل ما سفل فهو أرض.

ومن خلال ذلك نتوصل إلى المصطلح المراد بالأرض: بأنها أحد كواكب المجموعة الشمسية، وترتيبها الثالث في فلكها حول الشمس، وهي الكوكب الذي نسكنه.

ثالثاً: الاستعمالات القرآنية للفظ الأرض.

ونستصحب هذه الخلاصة معنا، ندخل عالم القرآن لنرى معاني كلمة "الأرض" في السياق القرآني، حيث وردت في القرآن الكريم، أربعمئة وإحدى وستين مرة. ووردت في ست وأربعين ومائة آية مدنية، وسبع عشرة وثلاثمئة آية مكية. فالملاحظ أن ورودها في المكي أكثر منه في المدني والسبب في ذلك، إن الكفر الشديد والجهود بما خلق الله في مكة كبير، بخلاف المدينة، فالملاحظ أنه بجانب آيات التشريع، والجهاد، والبيع والشراء، وأخبار السابقين، وأحوال المسلمين آيات تصف هذا الكون، وتتحدى بها كل إنسان جحود بما خلق الله، وفيها دعوة إلى كل الناس، سواء في مكة، أو في المدينة، إلى التأمل والتفكير والنظر في خلق الله، وفي ذلك هداية للكفار، وازدياد إيمان للمسلمين⁽²⁾. إن شاء الله.

أ- حركات لفظ الأرض:

ورد هذا اللفظ بصيغ متعددة في القرآن الكريم:

(1) انظر: الموسوعة العربية الميسرة، (167-168)، دار الجيل بيروت تونس، ط2 2001م؛ وموسوعة الألفاظ القرآنية: مختار فوزي النعال، (47)، دار التراث حلب، ط1 1423هـ-2003م. بتصرف.

(2) انظر: تفسير الآيات الكونية: د. عبدالله شحاتة (56)، دار الاعتصام، ط1 1400هـ-1980م. بتصرف.

1- جاء مرفوعاً بصيغة (الأرض): أربعاً وثلاثين مرة نحو قوله تعالى: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا...﴾⁽¹⁾.

2- منصوباً بصيغة (الأرض): مئتين وإحدى وثلاثين مرة، وذلك في مواضع مختلفة في القرآن، كقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا...﴾⁽²⁾.

3- منصوباً منوناً بصيغة (أرضاً): وردت مرتين نحو قوله تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا...﴾⁽³⁾.

4- جاءت مضافاً إلى ضمير المتكلم، وضمير المخاطب، وذلك في ثمانية مواضع، نحو قوله تعالى ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

ب- حكمة تفرق آيات الأرض بين السور القرآنية:

فإن قيل ولم لم تكن هذه السنن العجيبة في موضع واحد من القرآن؟ فتكون مبينة وأظهر للناس، ويكون المؤمنون بها أرشد وأسبق إلى ما أظهره العلم منها في هذا الزمان، ذلك للأسباب الآتية:

- 1- ما يتميز به أسلوب القرآن ربط ومزج آياته مع بعضها البعض.
- 2- إن هذه السنن وردت في آيات التوحيد والبعث، فكان المناسب أن تذكر معها في مواضعها.
- 3- العلم المفصل بها ليس من الوحي، وإنما هي مما يكتشفه الإنسان من العلوم، وإنما الوحي هو مرشد لهم.
- 4- لو تم جمع الآيات في مكان واحد لأصبح الأمر عسيراً في فهمها، وأدى ذلك إلى الفتنة.
- 5- لولا المصائب التي أصابت المسلمين لسبقوا الأجانب في معرفة الظواهر الكونية، وغيرها من الأمور المكتشفة⁽⁶⁾.
- 6- إن القرآن ليس كتاب كوني أو علمي، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد فهو يركز على الموعدة الدينية بين ثنايا الآيات القرآنية.
- 7- وجود الآيات التي تتحدث عن الأرض متفرقة أبلغ في الإعجاز المتمثل في الأسلوب البلاغي والعلمي.

(1) سورة البقرة آية 61.

(2) سورة الرعد آية 41.

(3) سورة يوسف آية 9.

(4) سورة الأعراف آية 110.

(5) انظر: موسوعة الألفاظ القرآنية: مختار فوزي النعال، (46). باختصار.

(6) انظر: تفسير الآيات الكونية: عبدالله شحاتة، (56-57). بتصرف واختصار.

ج - حكمة إفراد لفظ الأرض:

وردت الأرض في جميع الآيات بصيغة المفرد دائماً؛ وذلك لحكمة يُقصد منها، مع أن الله خلق أرضين متعددة، وإن الناس لا يشاهدون إلا الأرض التي يعيشون عليها، فلو وردت بصيغة الجمع حين يكون المراد منها مجموع الأرضين، لأصاب الناس الدهشة والاستغراب، وأصبح هنا تعارض بين ما يشاهدونه من أرض واحدة، وما يذكره الله من أرضين كثيرة؛ لذلك وردت بصيغة المفرد دائماً، ليكون لظاهر الآيات معنى ملائم ومناسب لعقول عامة الناس، ولذلك قال تعالى: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾⁽¹⁾.

لقد فهم الناس هذه الآية وكل فئة حسب عقلها ودرجة علمها، ومن المعلوم لدينا أن القرآن نزل لجميع الناس وحسب عقولهم، فقد فهم عامة الناس من هذه الآية أن الأرض، بمعنى أرضهم التي يعيشون عليها بينما أهل اللغة فهموا أنها سبع أرضين مثل أرض الإنسان، وأهل العلم بالكائنات فهموا أنها أجرام أرضية متعددة مثل أرض الإنسان⁽²⁾. وهذا يدل على أن القرآن من عند الله، وليس من عند البشر، فلقد جاء لجميع الناس وليس لفئة معينة وإنما لجميع الفئات سواء كان الإنسان جاهلاً أو متعلماً.

خلاصة الحكمة من إفراد الأرض:

1. حتى لا يظن أحد أنه يوجد أرض عليها الحياة كالأرض التي نحن عليها.
2. قد يكون مع كل سماء من السماوات السبع، وأرضنا تقع في السماء الدنيا المزيّنة بالكواكب والمصابيح.
3. لأن جمع الأرض أرضين فيها من الخشونة والصعوبة في اللفظ لم يذكرها لأن القرآن كان يأتي بأيسر وأسهل الألفاظ.

د - وجوه استعمال لفظ الأرض في القرآن:

(1) سورة الطلاق آية 12.

(2) انظر: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن: حنفي أحمد، (132-133)، دار المعارف، ط3؛ والإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (229/2-230)، دار التراث، دون تاريخ؛ والبرهان في علوم القرآن: بدرالدين محمد بن عبد الله الزركشي، (4/6-9)، دار التراث، دون تاريخ؛ وبدائع الفوائد: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية، (1/89-97)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1 1414هـ-1994م.

إن لفظ الأرض في القرآن الكريم، حمل في طياته وجوهاً عدة، ومعاني متباينة، ولقد عكف العلماء على ذلك، وحصر بعضهم⁽¹⁾ الوجوه، التي جاءت لمعنى الأرض في كتاب الله، في سبعة عشر وجهاً، وأيضاً تتضمن معاني أخرى غير هذه الوجوه؛ ولذلك فإنها تأتي على معانٍ عديدة سأذكرها دون استقصاء للأدلة وتفصيلها كما يلي:

1- بمعنى الكرة الأرضية "جميع الأرض":

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مَلَأُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾⁽²⁾.
فلقد ذهب المفسرون إلى أن المراد بلفظ الأرض في هذه الآية، الكرة الأرضية كلها، فقد قالوا لو كان يملك من الذهب قدر ما يملأ الأرض من مشارقها إلى مغاربها، أي جميع الأرض⁽³⁾.

2- بمعنى الجنة:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾⁽⁴⁾.
ولقد اختلف المفسرون في بيان المراد بالأرض على ثلاثة أقوال ذكرها الإمام الرازي في تفسيره، وهي:
الأول: أنها أرض الجنة، بدليل قول الله تعالى: ﴿وَأُورَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾⁽⁵⁾.

(1) انظر: منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن: لابن الجوزي (59)، المعارف الإسكندرية، دون تاريخ؛ والأشبه والنظائر في القرآن: مقاتل بن سليمان البلخي، (199)؛ دار غريب، 2001م؛ ومعاني الأسماء والأرض في القرآن الكريم: أحمد الحوفي، (63-89)؛ مؤسسة الخليج العربي، دون تاريخ.

(2) سورة آل عمران آية 91.

(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، (344/3)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط3 1420هـ-1999م؛ وتفسير القرآن العظيم: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، (107/3)، مؤسسة قرطبة، ط1 1421هـ-2000م؛ ومعالم التنزيل في التفسير والتأويل: أبي محمد الحسين بن سعود الفراء البغوي، (3011/1)، دار الفكر، ط1 1422هـ-2002م.

(4) سورة الأنبياء آية 105.

(5) سورة الزمر آية 74.

الثاني: هي الأرض المقدسة⁽¹⁾.

الثالث: هي أرض الدنيا بدليل قول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾⁽²⁾.

ويقول الطبري - رحمه الله - في تأويل الأرض: "إنها أرض الأمم الكافرة ترثها أمة محمد ﷺ وهذا القول عن ابن عباس - رضي الله عنهما -"⁽³⁾ ولا مانع من أخذ الآراء السابقة، حيث يمكن لعباده الصالحين في الدنيا فيورثهم الأرض بما فيها، ثم في الآخرة يورثهم الجنة.

3- بمعنى الأرضين السبع:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾⁽⁴⁾.
والمراد من ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي أنه خلق سبع أراض مثل خلقه سبع سموات، وإن هيئة الأرضين السبع مثل هيئة السموات، أي أنها طبقات فوق بعضها البعض⁽⁵⁾.

4- بمعنى تراب القبر:

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾⁽⁶⁾.

لقد ذهب المفسرون إلى أن المراد بالأرض -هنا- تراب القبر؛ وذلك لأن الكفار يتمنون أن لو سواهم الله والأرض فصاروا تراباً⁽⁷⁾.

(1) التفسير الكبير: فخر الرازي، (230/2)، دار الكتب العلمية طهران، ط2؛ وانظر إلى: النكت والعيون: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، (475/3)؛ دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1 1412هـ-1992م.

(2) سورة النور آية 55.

(3) جامع البيان: الطبري، (99/9).

(4) سورة الطلاق آية 12.

(5) انظر: جامع البيان: الطبري، (145/12). بتصرف؛ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم

التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (247/5)، مكتبة ابن تيمية، دون تاريخ؛ وأيسر التفاسير للكلام

العلي الكبير: أبي بكر جابر الجزائري، (1381)، دار لينة، ط1 1419هـ-1999م؛

(6) سورة النساء آية 42.

(7) انظر: جامع البيان: الطبري، (96/4)؛ وبحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم

السمرقندي، (356/1)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1413هـ-1993م؛ وزاد المسير في علم

التفسير: أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، (407/1)، دار الكتاب العربي، ط1 1422هـ-2001م.

5- بمعنى عرصات القيامة:

قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.

المراد بالأرض: عرصات⁽²⁾ القيامة، أي أضاعت يوم القيامة إذا تجلى الحق ﷻ للخلائق لفصل القضاء⁽³⁾.

6- بمعنى أرض تيه بني إسرائيل:

قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾⁽⁴⁾.

يقصد «يتيهون في الأرض» أي يحارون فيها ويضلون. وهذه الآية تذكر قصة موسى ومن معه من بني إسرائيل، فإنهم لا يدخلون بيت المقدس، وسوف يتيهون في الأرض أربعين سنة، وهي تسع أو ستة فراسخ من مصر إلى الشام، ولا يهتدون إلى طريق⁽⁵⁾. وبذلك فإن الأرض المحرمة هي أرض فلسطين وأرض التيه سينا، وطالما أرض فلسطين محرمة عليهم، وذلك لفسادهم وعدم صلاحهم فلن يكون لليهود دولة إلى يوم القيامة، وهذه الدولة المقامة لهم على أرض فلسطين هي دولة غاصبة معتدية، فحرم الله أرض فلسطين عليهم، وهذا يتفق مع ما هو موجود عندهم في التوراة، حيث يوجد حزب متدين يلعن هذه الدولة ويعتبرها من أسباب الفساد في العالم.

7- بمعنى أرض مكة:

قال تعالى: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ...﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة الزمر آية 69.

(2) عرصات: هي كل مكان واسع لا بناء فيه [انظر إلى لسان العرب: لابن منظور، (58/7)].

(3) انظر: زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي، (26/4).

(4) سورة المائدة آية 26.

(5) انظر إلى: جامع البيان: الطبري، (526/4)؛ وبحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي،

(472/3-473)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 1422 هـ-2001م؛ والكشاف عن حقائق غوامض

التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري،

(610/1)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 1415 هـ-1995م.

(6) سورة النساء آية 97.

ذهب المفسرون إلى أن المراد بلفظ الأرض، في الآية الكريمة، مكة المكرمة، فلقد قالوا لو أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد⁽¹⁾.
 وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾⁽²⁾.
 وأيضاً هنا فإن المراد بلفظ الأرض: مكة، لأن المسلمين يستولون على أطراف مكة، وذلك عندما يأتون أرض الكفرة⁽³⁾.

8- بمعنى المدينة المنورة:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾⁽⁴⁾.
 ذهب المفسرون إلى أن المراد بالأرض في الآية هي: المدينة المنورة والذي دل على ذلك ما جاء في الآية نفسها قوله تعالى: ﴿مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾⁽⁵⁾ فالهجرة كانت إلى المدينة المنورة، وكانت واجبة⁽⁶⁾.

9- بمعنى أرض الشام:

قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾⁽⁷⁾.

اختلف المفسرون في المراد بلفظ الأرض في هذه الآية، فمنهم من قال: مشارق الأرض أي الشام، ومغاربها مصر، وذهب إلى ذلك الحسن وقتادة، بينما أبو جعفر النحاس: يراد أرض

(1) انظر: تفسير الكبير: فخر الرازي، (12/11)؛ والكشاف: الزمخشري، (543/1)؛ والبحر المحيط: لأبي حيان، (348/3)؛ وبحر العلوم: السمرقندي، (380/1-381). بتصريف واختصار.

(2) سورة الرعد آية 41.

(3) انظر: التفسير الكبير: فخر الرازي، (67/19)؛ والجامع لأحكام القرآن: لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (333/9)، دار الكتاب العربي، 1387هـ-1967م.

(4) سورة النساء آية 97.

(5) سورة النساء آية 100.

(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن؛ القرطبي، (346/5)؛ والتحرير والتوير: محمد الطاهر بن عاشور، (176/3)، دار سحنون - تونس، دون تاريخ. بتصريف؛ زاد المسير: لابن الجوزي، (456/1)؛

(7) سورة الأعراف آية 137.

مصر⁽¹⁾، وبينما ذكر القرطبي: أن الأرض هي أرض الشام ومصر. ومشارقتها ومغاربتها جهات الشرق والغرب فيها؛ فالأرض مخصوصة. وقيل: أراد جميع الأرض؛ لأن من بني إسرائيل داود وسليمان وقد ملكا الأرض⁽²⁾.

وغيرهم قسموا الأرض فقالوا: يقصد بمشارك الأرض الشام، ومغاربتها أرض الأردن وفلسطين، وغيرهم قالوا: إنها أرض الشام⁽³⁾. وترى الباحثة: أنها أرض الشام؛ لأن أرض الشام جامعة لفلسطين وسوريا والأردن ولبنان، وإنما هم خصصوا أراضي معينة من الشام، وإنما أرض الشام جميع الأراضي.

10 - بمعنى أرض مصر:

قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا...﴾ إلى قوله ﴿...قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾⁽⁴⁾.

وأيضاً قوله تعالى، على لسان يوسف لفرعون: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾⁽⁵⁾.

وأيضاً قول الله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا...﴾ إلى قوله تعالى ﴿...نَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾⁽⁶⁾. وفي قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ...﴾⁽⁷⁾.

ذهب المفسرون إلى أن المراد بلفظ الأرض، في هذه الآيات جميعها، أرض مصر⁽⁸⁾.

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (378/6)؛ والمحرز الوجيز: أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية، (56/6)، دار الكتاب الإسلامي، ط2.

(2) جامع الأحكام: القرطبي، (272/7).

(3) انظر: بحر العلوم: السمرقندي، (565/1). بتصرف.

(4) سورة الأعراف آية 128-129.

(5) سورة يوسف آية 55-56.

(6) سورة القصص، آية 4 و5 و6.

(7) سورة غافر آية 29.

(8) انظر: فتح القدير: الشوكاني، (196/4)؛ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبي السعود، (282-281/5)، دار الفكر، ط1 1421هـ-2001م؛ وبحر المحيط: لأبي حيان، (443/7). بتصرف؛ وتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: وهبة الزحيلي، (54/9)، دار الفكر بيروت - لبنان، ط1 1991م.

11- بمعنى أرض بني قريظة:

قال تعالى: ﴿وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾⁽¹⁾.

اتفق المفسرون أن المراد بلفظ الأرض الأولى، في الآية، أرض بني قريظة⁽²⁾. وهي في أطراف المدينة وأصبحت ميراثاً للمسلمين، وهذا يتناقض مع إهداء جولدامائير إني لأشم رائحة أجدادي في بني قريظة، فالله أورث الصحابة تلك الأرض.

12- أرض الفتوح إلى يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾⁽³⁾.

فيما سبق وضحنا أن الأرض الأولى المراد فيها أرض بني قريظة، ولكن وقع الاختلاف في المراد بلفظ الأرض الثانية، فمنهم من قال: فارس والروم؛ وغيرهم قال: أرض مكة، وآخرون قالوا: إنها أرض خيبر⁽⁴⁾.

ويرجح الطبري أن المراد أرض بني قريظة؛ وذلك لأنها لم تكن مكة ولا خيبر ولا فارس ولا الروم، ولا اليمن التي قد أورثها الله لهم، وإنما أورثهم هذه الأراضي فيما بعد⁽⁵⁾. ترى الباحثة: أن المراد بلفظ الأرض، في هذه الآية، كل أرض يتم فتحها إلى يوم القيامة؛ لأن الآية كما قال تعالى ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّوْهَا...﴾ هنا جاءت عامة ولم تخصص أرض دون الأخرى. وهي بيت المقدس، فبذلك لا يوجد لليهود أي حق ديني في إقامة دولة لهم، لأن الأرض محرمة عليهم، وأصبحت ميراثاً للمسلمين

13- بمعنى أرض الروم:

قال تعالى: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢٨٨﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة الأحزاب آية 27.

(2) النكت والعيون: للماوردي، (393)

(3) سورة الأحزاب آية 27.

(4) انظر: جامع البيان: الطبري، (288/10)؛ وفي رحاب التفسير: عبدالحميد كشك، (4128/5)، المكتب المصري الحديث، 1407هـ-1987م.

(5) جامع البيان: الطبري، (288/10).

(6) سورة الروم آية 2 و3.

ذهب المفسرون إلى أن المراد بلفظ الأرض، في الآية الكريمة، أرض الروم⁽¹⁾.

14- بمعنى أرض الحجر:

قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ...﴾⁽²⁾.

إن المراد بلفظ الأرض، في هذه الآية، الحجر وهي منطقة تقع بين الحجاز والشام كانت تسكنها قبيلة ثمود⁽³⁾.

15- بمعنى بعض ديار الإسلام:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ...﴾⁽⁴⁾.

إن لفظ الأرض في هذه الآية عام بدار الإسلام، ولم تخصص بقبيلة معينة لأن من يفعل هذا الفعل الشنيع، سواء كان مسلماً أو غيره، يقام عليه الحد⁽⁵⁾.

16- كناية عن القلب:

قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدَرِهَا...﴾ إلى قوله تعالى ﴿...وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ...﴾⁽⁶⁾.

ذهب المفسرون إلى أن المراد بلفظ الأرض، في الآية الكريمة، القلب، فقد قالوا: إن في هذه الآية إشارة إلى القلوب وتفاوتها في استيعاب الإيمان سعة وضيقاً، وذلك لأن القرآن الكريم الذي تجسد فيه الحق ونور الإيمان مثله في إحياء القلوب به مثل الماء الذي يحيي الأرض بعد موتها⁽⁷⁾.

(1) انظر: تفسير المراغي: محمد مصطفى المراغي، (27/7)، دار الفكر، دون تاريخ؛ والمبصر لنور القرآن: نائلة صبري، (م30/21/7)؛ مطبعة الرسالة المقدسة، ط1 1418هـ-1997م.

(2) سورة هود آية 64.

(3) تفسير الواضح: محمد محمود حجازي، (38/12)، مطبعة الاستقلال الكبرى، ط6 1381هـ-1969م.

(4) سورة المائدة آية 33.

(5) انظر إلى: تفسير الواضح: محمد حجازي، (51/6)؛ روائع البيان.

(6) سورة الرعد آية 17.

(7) انظر: تفسير الكبير: فخر الرازي، (35/19)؛ ودقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، (312/3)،

دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط3 1406هـ-1986م؛ والنكت والعيون: للماوردي، (106/3)؛ وتفسير المنير: رهبة الزحيلي، (146-145/13).

17- الجزء فأكثر من الأرض:

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾⁽¹⁾.

ذهب المفسرون إلى أن المراد من قول الله فانتمشروا في الأرض، أي بعد الانتهاء من الصلاة أن يسعوا لطلب الرزق، وهنا -كما قيل- إن عراك بن مالك⁽²⁾ - رضي الله عنه - كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: [اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين]⁽³⁾.

قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾⁽⁴⁾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾⁽⁵⁾.

لم يقصد بالأرض في الآيتين جهة أو حيزاً محصوراً، كما في الآيات السابقة أو مكاناً معيناً، وإنما جاءت دالة على أبعاد وجهات في غير حصر أو تحديد، وإنما يقصد بها جميع الأرض.

فإن المراد بالآية الأولى: لقد طلب منا، أو من غيرنا، سواء مسلمين أو كفاراً، السير في الأرض والبحث عن أحوال السابقين، حتى نعرف ما حل بهم حتى تكون لنا عبرة، وعظة مما حدث لهم، ونستفيد هذه الفائدة بالنظر في كتب التاريخ التي دونت هذه الأحوال، ولكن الفائدة والعبرة والعظة تكون أعمق وأكبر لمن يرى ذلك بعينه ممن يقرأها قراءة، وفي ذلك زيادة إيمان للمؤمنين، والهداية والرشد للكفار⁽⁶⁾. إن شاء الله.

(1) سورة الجمعة آية 10.

(2) عراك هو: عراك بن الغفاري المدني، روى عن أبي هريرة وغيره، وروى عنه ولده خثيم، وثقه أبو حاتم، وكان يرد الصوم، ولما استخلف ابن عبد الملك نفى عراكاً إلى جزيرة، وهلك من غربي اليمن فمات، وذلك سنة أربع ومئة. سير إعلام النبلاء، (5/63).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (9/352)؛ تفسير المراغي: أحمد المراغي، (10/103).

(4) سورة آل عمران آية 137.

(5) سورة النساء آية 101.

(6) انظر: تفسير المراغي: للمراغي، (2/77)؛ وفي رحاب التفسير: كشك، (1/710)؛

وإن المراد بالآية الثانية: إن الله أباح قصر الصلاة عند الخوف في السفر، ثم صار ذلك لجميع المسافرين أن يقصروا من الصلاة، سواء كان في الخوف أو عدمه، أي أصبح الأمر عاماً⁽¹⁾.

فبذلك لم يُحدد هنا منطقة معينة أو مكاناً، وإنما السفر يكون في جميع الأرض. والله أعلم.

18- مكان موت النفس:

قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾⁽²⁾.

ذهب المفسرون إلى أن المراد بلفظ الأرض المكان، وذلك لأن من المعروف لدينا أنه ليس من الناس أحد يدري أين مكان موته من الأرض، في البحر أو في البر، أو السهل، أو الجبل، فإن علم ذلك عند الله فقط⁽³⁾.

19- بمعنى أرض المحشر:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾⁽⁴⁾.

ذهب المفسرون إلى أن المراد بلفظ الأرض المحشر⁽⁵⁾، وذلك لما روي عن ثوبان⁽⁶⁾ مولى رسول الله ﷺ قال: "كنت قائماً عند رسول الله فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك، وذكر الحديث وفيه: ... فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات...؟ فقال رسول الله ﷺ: "في الظلمة دون الجسر"⁽⁷⁾.

وأيضاً عن عائشة قالت: "سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ

الْأَرْضِ﴾.

فأين يكون الناس يومئذ...؟

(1) انظر: تفسير المراغي: للمراغي، (138/2)؛ و بحر العلوم: سمرقندي، (382/10).

(2) سورة لقمان آية 34.

(3) انظر إلى: جامع البيان: الطبري، (226/10)؛ ومعالم التنزيل في التفسير والتأويل: أبي محمد الحسين بن سعود الفراء البغوي، (427/3)، دار الفكر، ط 1422 هـ - 2002 م؛ وتفسير المراغي: للمراغي، (100/7). بتصرف.

(4) سورة إبراهيم آية 48.

(5) انظر إلى: زاد المسير: لابن الجوزي، (276/4)؛ تحرير والتنوير: طاهر عاشور، (253/13).

(6) ثوبان مولى رسول الله، سبي من أرض الحجاز، فاشتراه النبي وأعتقه، فلزم النبي وصحبه وحفظ منه الكثير من العلم، وطال عمره واشتهر ذكره، يكنى أبا عبد الله، توفي بحمص سنة أربع وخمسين [انظر: سير أعلام النبلاء، (18-15/3)

(7) م : ك الحيض، (ب) 8/ (بيان صفة منى الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائها)، (107)، (ح315)، دار ابن رجب، ط 1422 هـ - 2002 م.

قال: على الصراط⁽¹⁾.

فهذه الأحاديث تنص على أن السموات والأرض تبدل وتزال ويخلق الله أرضاً أخرى يكون الناس عليها. والله أعلم.

20- بمعنى المساكن والمنازل:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً...﴾⁽²⁾.

ذهب المفسرون إلى أن المراد بلفظ الأرض المجعولة فراشاً الأماكن الصالحة للإقامة والمسكن والراحة والاستقرار⁽³⁾.

21- بمعنى التربة الزراعية:

نجد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿...وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيَّتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ...﴾⁽⁴⁾.

وقوله تعالى: ﴿...وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾⁽⁵⁾. وغير ذلك من الآيات⁽⁶⁾.

في هذه الآيات بيان قدرة الله، حتى يتصور الإنسان أن البعث حق؛ لأنهم يشاهدون هذه التربة اليابسة ميتة وقاحلة لا نبات فيها، ولكن إذا أصابها ماء انتعشت واكتست بالخضرة، فبدأت فيها الحياة بعد الموت، وهكذا يحيي الله الموتى لأنه القدير على كل شيء⁽⁷⁾.
وإن هذا ما توصلت إليه بحمد الله ونعمته وتوفيقه.

(1) ت: ك تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، (ب) ومن سورة إبراهيم ﷺ (ص866)، (ح3134)، هذا حديث حسن صحيح.

(2) سورة البقرة: آية 21 و22.

(3) انظر: التحرير والتنوير: طاهر بن عاشور، (331/1)؛ وتفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، (63/1). بتصريف واختصار.

(4) سورة البقرة آية 164.

(5) سورة الحج آية 5.

(6) ارجع إلى سورة البقرة آية 61؛ سورة الحج آية 63؛ سورة السجدة آية 27؛ سورة يس آية 33 و34 و35؛ سورة فصلت آية 39.

(7) انظر: تفسير المراغي: للمراغي، (36/1)؛ زاد المسير: لابن الجوزي، (280/5)؛ التحرير والتنوير: طاهر بن عاشور، (203/8).

الفصل الأول

صفة خلق الأرض وتسخيرها للإنسان

ويشمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: صفة خلق الأرض.

المبحث الثاني: تسخير الأرض للإنسان.

المبحث الثالث: كنوز الأرض.

المبحث الأول

صفة خلق الأرض

ويشمل أربعة مطالب:

المطلب الأول: نشأة الأرض ومراحل تكوينها

المطلب الثاني: شكل الأرض وجاذبيتها وتوازنها

المطلب الثالث: حركة الأرض ودورانها

المطلب الرابع: وسعتها وزينتها

المطلب الأول

نشأة الأرض ومراحل تكوينها

أولاً: أصل الخلق (السموات والأرض).

من المعروف أن القرآن كتاب هداية وإرشاد للناس، وليس كتاب علوم طبيعية وكونيات، ومع ذلك لم تخل آياته من الإشارات الخفيفة إلى حقائق كثيرة في المسائل الطبيعية، والجغرافية، والفلكية، والطبية وغير ذلك مما يدل على إعجاز القرآن وكونه وحياً من عند الله سبحانه...

أ- وحدة الكون... وسر الحياة:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا⁽¹⁾ فَفَتَقْنَاهُمَا⁽²⁾ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽³⁾.

هذه الآية تخبرنا أن السموات والأرض كانتا شيئاً واحداً لم تنزل منهما قطرة من مطر، ولم ينبت على الأرض شيء من النبات ملتزقاً ببعضه على بعض، ثم انفصلتا عن بعضهما البعض بالمطر والنبات، وقيل غير ذلك؟!⁽⁴⁾

وإن هذه معجزة من معجزات القرآن يؤيدها العلم الحديث الذي قرر أن الكون كان شيئاً واحداً من غاز ثم انقسم إلى سدائم...⁽⁵⁾، وعالمنا الشمسي الذي كان نتيجة تلك الانقسامات، ومما يؤيد هذا القول أن العلماء استدلوا على أن في الشمس سبعة وستين عنصراً من عناصر الأرض، البالغة نحواً من اثنين وتسعين عنصراً، وسيزيد المستدل عليه من العناصر في الشمس⁽⁶⁾.

(1) الرتق: هو اتحاد الشيء واجتماعه. [انظر: الكليات: الكفوي، (450)].

(2) الفتق: هو الفصل بين الشئيين. المرجع نفسه.

(3) سورة الأنبياء آية 30.

(4) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: لابن جرير الطبري، (20/9)؛ تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (400/9)؛ ومعالج التنزيل في التفسير والتأويل: البغوي، (28/4)؛ ومنهم من قال: أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ففتقهما الله، ومعنى آخر أنه فتق من الأرض ست أرضين فصارت سبعة، ومن السماء ست سموات فصارت سبعة وهذا ما ذهب إليه مجاهد؛ حيث يرى أن السماء والأرض لم تكونا متماستين. انظر: تفسير مجاهد بن جبر: تحقيق محمد أبو النيل، (470). بتصرف واختصار.

(5) انظر: الظواهر الجغرافية في القرآن: فوزي الشربيني، (7)، عالم الكتب، ط1 1419هـ-1998م.

(6) الإعجاز العلمي في الإسلام: محمد كامل عبدالصمد، (77)، الدار المصرية اللبنانية، ط4 1417هـ - 1997م.

وإن من المفسرين المحدثين من أيد هذه النظريات العلمية الحديثة وتتلخص في: "إن الكون قبل أن تكون صورته الحالية كان حشداً هائلاً متجمعاً في أبسط صورة لقوى الذرات المتصلة الواقعة تحت ضغط لا يكاد يتصوره العقل، وإن جميع أجرام السماء اليوم ومحتوياتها، بما فيها المجموعة الشمسية والأرض، كانت مكدسة تكديساً شديداً في كرة لا يزيد نصف قطرها عن ثلاثة ملايين من الأميال، وبعد ذلك حدث انفجار عظيم لذلك السائل النووي، انتشرت بسببه مادة الكون فيما حولها من أجواء انتهت بتكوين مختلف أجرام السماء المختلفة المنفصلة بما فيها المجموعة الشمسية والأرض"⁽¹⁾.

وبذلك فإن هذه النظريات العلمية مخالفة لما جاء به القرآن؛ لأنه صرح بأن السموات أصلها دخان. فقال تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾⁽²⁾

وسيزيد المستدل عليه من العناصر في الشمس إذا ما دلت الصعوبات التي تقوم في هذا الشأن والعناصر الشهيرة في الشمس الشهيرة بيننا نحن معشر أهل الأرض وهي: الهيدروجين، والهيليوم، والكربون، والآذوت، والأوكسجين، والفسفور، والحديد... الخ.

واستدل العلماء على كل ذلك بالتحليل الطيفي، وهو الذي يستدل به الكيماويون اليوم في معاملهم على ما تحتويه المواد الأرضية من عناصر يكشفون عن نوعها ومقدارها.

وإن الشمس نجم يتمثل فيه سائر النجوم هي الكون، وهذا يعني أن العناصر التي بُني منها الكون -على اختلافها- عناصر واحدة.

ومن ناحية أخرى لاحظ العلماء أن النيازك والصخور والأترربة القمرية التي حصل عليها العلماء من الفضاء الخارجي تحتوي على العناصر الشائعة في الأرض⁽³⁾.

(1) المنتخب في تفسير القرآن الكريم: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (476)، ط18 1995م؛ وفي رحاب التفسير: عبدالحميد كشك، (247/3).

(2) سورة فصلت آية (11)

(3) انظر: القرآن وإعجازه العلمي: محمد إسماعيل إبراهيم، (62)، دار الفكر العربي، 1981؛ وروح الدين الإسلامي: عفيف عبدالفتاح طبارة، (49)، دار العلم للملايين، ط21 1981م؛ والإعجاز العلمي والتاريخي في القرآن: محمد محمود عبدالله، (49-50)، مكتبة الإيمان 1؛ ودلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون: عبدالله بن عبدالقادر التليدي، (190-191)، دار ابن حزم، ط1 1420هـ-1959. كله بتصريف واختصار.

"وقد أثبت العلم أن مادة الكون الأولى هي الأيدروجين، خلقت وما تزال تخلق في الوجود من عدم مطلق، وبطريقة لا يمكن للعلم أن يعرف عنها شيئاً، أو يدري بظروفها، أو يعلم بمكانها، وهذا يدعو إلى الاعتراف بفكرة الخلق"⁽¹⁾. والله أعلم بذلك.

ب- نشأة الأرض:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيَّ مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا^(*) فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ لِلسَّائِلِينَ^(**) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ^(***) وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا...﴾⁽²⁾.

إن هذه الآية تبين أن القرآن يصرح أن السماء كانت في بدء خلق الكون دخاناً⁽³⁾.

والعلماء اليوم لهم تفسيرات شتى في بدء تكوين هذا الكون، فالعالم سيرجيمس جينز يقول: "الراجح أن مادة الكون بدأت غازاً منتشراً خلال الفضاء بانتظام وأن السدائم خلقت من تكاثف هذا الغاز"⁽⁴⁾.

ويقول الدكتور جامو: "إن الكون في بدء نشأته كان مملوءاً بغاز موزع توزيعاً منتظماً...، إنه غاز يبلغ من الكثافة درجة الحرارة حداً لا يمكن تصوره، وفي هذا الغاز حدثت عمليات التحول النووي في مختلف العناصر، ... فبدأ الكون ينبسط ويتمدد، وأخذت كثافة المادة،

(1) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: د. عبدالسلام اللوح، (68)، آفاق غزة - فلسطين، ط1 1419هـ-1999م.

(*) قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا: قدر فيها أرزاق أهلها [انظر صفوة التفاسير: محمد الصابوني، (117/3)].

(**) سِوَاءَ لِلسَّائِلِينَ: أي لأجل الطالبين لها المحتاجين إليها. [انظر في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك، (5099/6)]

(***) اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ: قدر إيجادها. [المرجع السابق والصفحة نفسها]

(2) سورة فصلت آية 9-12.

(3) انظر: دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، (228/3) تحقيق: د. محمد السيد الجليند، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط3، 1406هـ-1986م؛ وتفسير المنار محمد رشيد رضا، (446/8)، دار المعرفة بيروت - لبنان، ط2.

(4) روح الدين الإسلامي: عفيف طبارة، (51)، نقلاً عن كتاب النجوم في مسالكها.

ودرجة حرارتها تهبطان في ببطء، وفي مرحلة معينة من مراحل التمدد، وتكثف الغاز المنتشر إلى سحب مفردة غير منتظمة في شكلها، ولا متساوية في أحجامها مكونة نجومًا مفردة...⁽¹⁾.
هذه بالنسبة لنشأة السماء، ولكن ما يهمنا هنا هو نشأة الأرض، وبعد إطلاعي على أقوال المفسرين وجدتهم مختلفين في تفسيرهم لذلك؛ لأن القرآن لم يصرح في بدء الخلق، ما هو أصل الأرض، كما صرح في السماء.

فوجدت في تفسير مجاهد بن جبر⁽²⁾ أن الأرض من الماء، حيث قال: "بدء الخلق: العرش والماء والهواء، وخلقت الأرض من الماء، وكان بدء الخلق يوم الأحد، والاثني والثلاثاء والأربعاء والخميس وجميع الخلق في يوم الجمعة، وتهودت اليهود في يوم السبت، ويوم من الستة الأيام كآلف سنة مما تعدون"⁽³⁾.

بينما يذكر المفسرون القدامى - عند تفسيرهم لهذا الأمر - قول أصحاب الأثر؛ حيث قالوا: "أنه كان عرش الله على الماء قبل خلق السموات والأرض فأحدث الله في ذلك الماء سخونة فارتفع زبد ودخان، أما الزبد فيبقى على وجه الماء فخلق الله منه اليبوسة، وأحدث منه الأرض، أما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات"⁽⁴⁾. وهذا ما ذهب إليه اليهود⁽⁵⁾.

ومن المفسرين المحدثين من أخذ ببعض هذه النظريات الحديثة، فيرون أن مجموع السموات والأرض كان مادة واحدة متصلاً بعض أجزائها ببعض على كونه ذرات غازية كالدخان، ولما كان ذلك الفتق في الأجرام انفصل جرم الأرض عن جرم الشمس وصارت الأرض قطعة مستقلة مائرة ملتبهة، وكانت مادة (الأوكسجين والأيدروجين) تتبخر من الأرض بما فيها من الحرارة فتلاقي في الجو برودة تجعلها ماء، فينزل على الأرض فيبرد من حرارتها،

(1) المرجع السابق والصفحة نفسها؛ والإعجاز العلمي في الإسلام: محمد عبدالصمد، (59)؛ والكون والإعجاز العلمي للقرآن: منصور حسب النبي، (324)، دار الفكر العربي، دون تاريخ.

(2) مجاهد بن جبر هو: مجاهد بن جبر المكي، المقرئ المفسر أبو الحجاج المخزومي، مولى السائب ابن أبي السائب، كان أحد الأعلام الأثبات، ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة، في خلافة عمر بن الخطاب وكانت وفاته بمكة وهو ساجد سنة أربع ومائة على الأشهر، وعمره ثلاث وثمانين سنة. [انظر: التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، (79/1)، مكتبة وهبة، ط7 1421هـ-2000م]

(3) تفسير الإمام مجاهد بن جبر؛ تحقيق: محمد عبدالسلام أبو النيل، (338)؛ دار الفكر الإسلامي الحديث، ط1 1410هـ-1989م.

(4) التفسير الكبير: فخر الرازي، (104/27)؛ الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: الزمخشري، (184/4)؛ وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: للنيسابوري، (2937/4)، دار الصفوة - ط1 1995م.

(5) لقد ورد في سفر التكوين، الإصحاح الأول، (3): "وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة، وكان كذلك، ودعا الله اليابسة أرضاً".

ومازال كذلك حتى صارت الأرض كلها ماء، وتكونت بعد ذلك اليابسة فيه، وخرج النبات والحيوان وكل شيء حي في الماء⁽¹⁾.

وهذا ما ذهب إليه العلماء؛ حيث إنهم يرون أن الأرض والمجموعة الشمسية، من كواكب ونجوم سيارة، كتلة واحدة ملتزمة فانفصلت الأرض عنها، وأصبحت كرة سائلة قائمة بذاتها تدور حول نفسها وحول الشمس، ثم تكاثفت واستمر تكاثفها بالبرودة، وتكونت طبقة فوق سطحها بتأثير هذا التبريد، عندما وصل إلى درجة 1200 درجة مئوية وهي أقل درجة لتجميد الصخور، وتحول إلى قشرة رقيقة جامدة وخالية من الالتواءات.

ومن فوق الماء المتكاثف طبقة غازية نشأ عنها الهواء الجوي، ثم أخذت الطبقات الباطنة أسفل القشرة الباردة الجامدة تبرد وتتقلص ببطء، فتجعدت هذه القشرة وحدثت التواءات وتضاريس بعضها عال كالجبال...، ولما كانت الأرض في حالة احتراق تصاعدت منها أبخرة كونت سحباً متراكمة فلما برد سطحها هطلت عليها تلك السحب مطراً...، كون ما عليها من البحار الواسعة ورسبت مواد المياه فصارت طبقات صلبة⁽²⁾.

وبعد، فإن القرآن قد أتى بوصف شامل دقيق لأصل العالم، تارة بصريح النص، وغالباً بإشارات فيه واضحة ومحدودة، مما يتفق مع آخر ما وصل إليه العلم الحديث.

تري الباحثة أن هذه النظرية السديمية التي وثق بها هؤلاء الباحثون والتي يعتد بها العلم الحديث ليست إلا حلقة واحدة من نظريات كثيرة، تتابعت في تفسير أصل الكون، وهي لا تعدو أن تكون فرضاً من الفروض، يقبل النقص والزيادة، ولم ينته العلماء بعد إلى قرار متفق عليه.

ومن المعلوم أن النظريات في هذا الموضوع تتبدل من زمن لآخر، وبذلك فإن هذه الآراء ما هي إلا استنتاجات تصورها الفلكيون ولكن الحقيقة لا يعلمها إلا الله (خالق الكون). وقصارى ما يقال: إن النظرية الفلكية القائمة اليوم لا تعارض المفهوم الإجمالي لهذا النص القرآني السابق عليها بالإجمال⁽³⁾.

(1) انظر: تفسير المنار: محمد رشيد رضا، (61/2)؛ والأساس في التفسير: سعيد حوى (5005/9)، دار السلام،

ط 1405 هـ-1985 م؛ وفي ظلال القرآن: سيد قطب (3110/5)، دار الشروق، ط 9 1400 هـ-1980 م.

(2) انظر: الله والعلم الحديث: عبدالرزاق نوفل، (148)، دار الشروق، ط 1 1410 هـ-1990 م؛ وجوه من

الإعجاز القرآني: مصطفى الدباغ، (93)، مكتبة المنار الزرقاء - الأردن، ط 1 1982 م؛ والكون والحياة بين

العلم والدين: عبدالرحمن عميرة، (57-58)، دار الجيل بيروت، ط 1 1418 هـ-1988 م؛ والقرآن وإعجازه

العلمي: محمد إسماعيل إبراهيم، (67-68). كله بتصرف.

(3) في ظلال القرآن: سيد قطب، (3110/5). بتصرف.

وبهذا نستطيع أن نقول:

إن القرآن الكريم في أسلوبه المعجز، وفي إشاراتهِ اللطيفة عن نشأة الكون، وأصل الوجود، قد دل الإنسان على الحل، ليستفيد منه حسب طاقته، وما عليه إلا أن يبذل كل جهده حتى يتوصل إلى الحل الصحيح والنتيجة المفيدة.
وأيضاً، يكون في مقدور أميٍّ - منذ أربعة عشر قرناً - أن يدرك هذا في بيئة أمية، وفي أناس أميين، حيث في ذلك الزمن لا يوجد مدارس ولا جامعات ولا كليات تتحدث وتعرفهم عن هذا الكون!!

ج-خلق السموات والأرض بالحق:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ...﴾⁽¹⁾.

اختلف المفسرون⁽²⁾ في تفسير قوله: "بالحق" على أربعة أقوال:

أحدها: خلقهما للحق.

الثاني: خلقهما حقاً.

الثالث: خلقهما بكلامه وهو الحق، أي قوله للمخلوقات كن في قوله: ﴿إِنِّي طَوَّعًا أَوْ كَرِهًا﴾⁽³⁾.

الرابع: خلقهما بالحكمة.

تري الباحثة أن الله خلقهما بالحكمة، أي أنه خلق السموات والأرض بالحق والحكمة، وحين يقول لشيء من الأشياء (كن) فيكون ذلك الشيء، ولا تكون هذه الأشياء إلا عن حكمة وصواب.

وبذلك فإن الله خلق السموات والأرض بالحق، ولم يخلق الكون عبثاً أو لهواً، أو باطلاً، بل خلقهما لأجل مسمى يقع في علم الله ﷻ، وإن وراء خلق الكون خالقاً قادراً واحداً تفرد بخلقه وتسخيرهِ والهيمنة عليه، ولا يمكن أن يكون في الكون عنصرٌ أقوى من خالقه، بل إن المخلوق

(1) سورة الأنعام آية 73.

(2) جامع البيان: لابن جرير الطبري، (235/5-236)؛ تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (82/6)؛ ومدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفي، (29/2)، دار النفائس، ط 1 1416هـ-1996م؛ وأيسر التفاسير: الجزائري، (343)؛ زاد المسير: لابن الجوزي، (441/2).

(3) سورة فصلت آية 11.

مسخر بقوة الخالق، وهو أضعف منه، ومن ثم كانت حركة النجوم والسيارات في الفضاء السماوي حركة سريعة فيها طاعة لأمر الخالق؛ يقول المولى ﷺ: «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ»⁽¹⁾، وقال تعالى: «وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»⁽²⁾، ويتدبر أمر الكون كله ويستقيم نظامه بقوانين الحق ﷻ وسننه المقدره له، ويعجز العقل البشري عن إدراك هذه القوانين والتوصل إلى ماهيتها. وخلق الله ﷻ كل الكون وعناصره وقدرها تقديراً محكماً وسخره -بما فيه- بالحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجعل ما فيه لخدمة الإنسان لتيسير معيشته على سطح الأرض، يقول الحق تبارك وتعالى: «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿۱۹﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»⁽³⁾، وقال تعالى: «خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ»⁽⁴⁾، وقال تعالى: «مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ»⁽⁵⁾، وغير ذلك⁽⁶⁾⁽⁷⁾.

وقد أبان القرآن مؤشرات للإنسان تفهمه كيفية نشأة الكون، ونوع مادته، وقد تحدثنا عن هذا فيما سبق⁽⁸⁾.

وستظل دلائل القدرة الإلهية، وآيات الله في السموات والأرض، وما فيهن حتى قيام الساعة، براهين وإشارات تضيء للإنسان طريق الحق والنور، والهداية على مر كل زمان.

ثانياً: ترتيب خلق السموات والأرض.

إن العلماء مختلفون في خلق السماء وما فيها، والأرض وما فيها باعتبار التقدم والتأخر، لتعارض ظاهر الآيات في ذلك:

-
- (1) سورة ص آية 27.
 - (2) سورة الجاثية آية 22.
 - (3) سورة الدخان آية 38-39.
 - (4) سورة العنكبوت آية 44.
 - (5) سورة الأحقاف آية 3.
 - (6) سورة البقرة آية 117؛ سورة يونس آية 5؛ سورة الرعد آية 39.
 - (7) انظر: من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية: حسن أبو العيين، (222/1)؛ مكتبة العبيكان، ط 1 1416هـ-1996م؛ ودلائل التوحيد: التليدي (242). بتصرف.
 - (8) انظر في الدراسة (ص: 21-26).

1- فذهب بعضهم إلى تقدم خلق السموات على الأرض؛ لقوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ بَنَاهَا﴾ ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾⁽¹⁾.

وممن ذهب إلى هذا الرأي الطبري⁽²⁾ عن قتادة، فقد زعم: أن السماء خلقت قبل الأرض، وقد توقف في ذلك القرطبي⁽³⁾ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ بَنَاهَا...﴾، قالوا: فذكر خلق السماء قبل الأرض، ولقد أيد هذا الرأي -أيضاً- بعض المحققين، فقد نقل عن الواحدي⁽⁴⁾ في البسيط عن مقاتل⁽⁵⁾ أنه قال: بأن خلق السماء مقدم على خلق الأرض⁽⁶⁾.

2- ذهب آخرون إلى تقدم خلق الأرض على السماء؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَاءً فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽⁷⁾.
وقوله: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ...﴾⁽⁸⁾. وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾⁽⁹⁾

وهذا ما هو شائع بين جمهور المفسرين⁽¹⁰⁾، أن الله خلق جرم الأرض أولاً ثم خلقت السماء، ثم أكمل خلق الأرض بالدحو بعد ذلك، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس فيما رواه

(1) سورة النازعات آية 27-33.

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: لأبي جعفر الطبري، (438/12).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (204/19).

(4) الواحدي هو: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية الواحدي، كان عالماً بالأدب إماماً في التأويل من آثاره: "أسباب النزول، والبسيط والوسيط، والوجيز في التفسير ولد في نيسابور، وتوفي فيها سنة 468هـ. [انظر: الأعلام: للزركلي، (255/4)].

(5) مقاتل هو: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن نشير الأزدي بالولاء البلخي، أحد أعلام المفسرين، توفي سنة 150هـ بالبصرة، من مؤلفاته في التفسير وبعض علوم القرآن. [انظر: الوفيات: لابن خلكان، (257-255/5)].

(6) انظر: تفسير الكبير: الرازي، (105/27).

(7) سورة البقرة آية 29.

(8) سورة فصلت آية 9-11.

(9) سورة النازعات آية 30.

(10) انظر: تفسير العظيم: لابن كثير، (335/1)؛ ومحرر الوجيز: لابن عطية، (225/1)؛ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، (12-11/4)، دار الكتاب العربي ط2 1393هـ-1973م.

البخاري⁽¹⁾: إن ابن عباس سئل عن هذا بعينه فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء، وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء، والمقصود هنا البعدية الذكرية وليست الزمنية.⁽²⁾

3- وقال بعضهم: إن خلق الأرض مقدم على خلق السماء، ولأن في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا...﴾ إن المقصود هنا البعدية الذكرية وليست الزمنية⁽³⁾.

وقد رد الألوسي عليه بقوله: إن هذا غفله منه؛ لأن من يقول بتأخر دحوها عن خلقها، لا يقول بعظمها ابتداء، بل يقول: إنها في أول الخلق كانت كهيئة الفهر⁽⁴⁾، ثم دحيت، فيتحقق الانفكاك ويصح تأخر دحوها عن خلقها⁽⁵⁾.

وجمع بعضهم فقال: إن قوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ بدل، أو عطف ببيان لقوله: ﴿دَحَاهَا﴾ أي بسطها، مبين للمراد منه، فيكون تأخرها ليس بمعنى تأخر ذاتها، بل معنى تأخر خلق ما فيها وتكميله وترتيبه، بل خلق التمتع والانتفاع به، فإن البعدية كما تكون باعتبار نفس الشيء، تكون باعتبار جزئه الأخير وقيد المذكور⁽⁶⁾... الخ.

هذا بالنسبة لآراء علماء التفسير، فنرى رأي أحد العلماء وهو موريس بوكاي فإنه يرى: أن القرآن لا يحدد ترتيباً في خلق السموات والأرض... ويستثنى من ذلك الآية في سورة النازعات؛ إذ إن هناك عدداً قليلاً من الآيات تشير إلى خلق الأرض أولاً⁽⁷⁾، وعلى العكس من ذلك يوجد عدد أكبر من الآيات يشار فيها إلى خلق السموات قبل الأرض⁽⁸⁾....

وقد قال: إن هذه الآيات فيها تعدد نعم الله الأرضية على الناس بعبارة تناسب الناس، وقد سبق ذلك دعوة إلى التأمل والتفكر في خلق السماء، ولكن ذكر المرحلة التي بسط الله فيها الأرض، وجعلها صالحة للزرع، وورد زمنياً بالضبط بعد أن تحقق تكون الأيام والليالي، فيفرض

(1) خ: (65) ك التفسير، (41) ب سورة حم السجدة، (943).

(2) سورة البقرة آية 29.

(3) التفسير الكبير: فخر الرازي، (48/31). بتصريف.

(4) الفهر هو: الحجر الذي يملأ الكف مع شبه الاستدارة. انظر: لسان العرب: لابن منظور (77/5)؛ أساس البلاغة: الزمخشري، (349).

(5) روح المعاني: الألوسي، (56/16)، دار الفكر بيروت - لبنان.

(6) المرجع السابق نفسه.

(7) سورة البقرة آية 29؛ سورة طه آية 4؛ سورة فصلت آية 9-12.

(8) سورة الأنعام آية 1 و73؛ سورة الأعراف آية 54؛ سورة التوبة آية 36؛ سورة يونس آية 3؛ سورة هود آية 7؛ سورة إبراهيم آية 19 و32؛ سورة الحجر آية 85.

في العرض المذكور هنا وجود الأرض ضرورة قبل أن تبسط، وبالتالي فوجودها كان قائماً حين أقام الله السماء⁽¹⁾... الخ.

تري الباحثة أن الراجح هو ما ذهب إليه ابن عباس، وهو أن الله خلق جرم الأرض أولاً ثم خلقت السماء، ثم أكمل خلق الأرض بالدحو بدليل قول الله ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ولم يقل (قبل ذلك). والله أعلم.

وهناك من المفسرين من ذهب إلى أن معنى (خلق): أراد؛ حيث قال: فكأنه سبحانه قال: أنتم لتكفرون بالذي أراد إيجاد الأرض وما فيها من الرواسي والأقوات في أربعة أيام، ثم قصد إلى السماء فتعلقت إرادته بإيجاد السماء والأرض، فأطاعا بأمر التكوين فأوجد سبع سموات في يومين، وأوجد الأرض وما فيها في أربعة أيام⁽²⁾.

هذا بالنسبة لآراء العلماء في ترتيب خلق السموات والأرض، فما بقي ها هنا إلا بيان النكتة في تغير الأسلوب، حيث قدم -في الظاهر- في سورة البقرة وفي فصلت، خلق الأرض وما فيها على خلق السموات، وعكس ذلك في النازعات. وعلل ذلك بأن المقام في الأولين مقام الامتتان، فمقتضاه تقديم ما هو نعمة، نظراً إلى المخاطبين، فكأنه ﷻ دبر أمرم قبل خلق السماء، ثم خلق السماء، والمقام في الثالثة مقام بيان كحال القدرة فمقتضاه تقديم ما هو أدل على كمالها⁽³⁾... الخ.

ثالثاً: مراحل خلق الأرض.

إن هذه الأرض مع أنها صغيرة الحجم، إلا أنها لم تخلق في مرحلة واحدة، وإنما عبر مراحل، ليكون في ذلك العبرة والعظمة لبني الإنسان، وتعلم الدقة والتدبر. ولذلك سوف أستعرض، فيما يلي، ما ورد في القرآن الكريم والسنة بشأن مراحل خلق (الكون) مع المقارنة بما جاء في التوراة.

فقد ذكر القرآن الكريم في كثير من آياته أن الله تعالى خلق الكون في ستة أيام، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾⁽⁴⁾؛

(1) انظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم: موريس بوكاي، (169-170)، المكتب الإسلامي، ط3 1411هـ-1990م.

(2) انظر: تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (194/24)؛ معالم التنزيل: البغوي، (96/4).

(3) روح المعاني: الألويسي، (165/13).

(4) سورة ق آية 38.

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ...﴾⁽¹⁾. وغير ذلك⁽²⁾.

هنا ذكر الخلق بشكل مجمل، ولن يفصل مراحل الخلق، ولكن في سورة فصلت فلقد فصل هذه المراحل، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّانِينَ﴾⁽⁴⁾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾⁽⁵⁾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا...﴾⁽⁶⁾.

أي (خلق الأرض في يومين)، يعني: يوم الأحد ويوم الاثنين، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي... فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ...﴾، أي: جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس في يومي الثلاثاء والأربعاء، فهما مع اليومين السابقين أربعة، وهذا بيان لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه وبعد ذلك استوى إلى السماء وهي دخان، فخلقت السماء، وقد فرغ من تسويتها سبع سموات في يومين آخرين وهما يوم الخميس والجمعة⁽⁴⁾، وبذلك لقد فصل خلق الأرض والسموات، فقد روى عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي وقال: "خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل"⁽⁵⁾.

ويعد هذا الحديث من غرائب صحيح مسلم، وقد علله البخاري في التاريخ فقال: رواه بعض عن أبي هريرة عن كعب الأحمار، وهو الأصح⁽⁶⁾.

ففي هذا الحديث تفصيل واضح وبين لمراحل الخلق، وماذا خلق في كل يوم، ولكن ما شكل على البعض فهم ما المراد من هذا اليوم، وذهب كل واحد إلى رأي، حسب فهمه لذلك.

1 - مفهوم اليوم في اللغة العربية: بمعنى مدة من الزمن (أي يوم من أيام الأسبوع)⁽⁷⁾.

(1) سورة الأعراف آية 54.

(2) انظر: هو آية 7؛ سورة يونس آية 3؛ سورة السجدة آية 4؛ سورة الفرقان آية 59؛ سورة الحديد آية 4.

(3) سورة فصلت آية 9-12.

(4) انظر: جامع البيان: الطبري، (5/513)؛ تفسير العظيم: لابن كثير، (12/221-222).

(5) م: ك صفة القيامة والجنة والنار، (1) ب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام، (ص1456).

(6) انظر: تفسير القرآن: لابن كثير، (12/224).

(7) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (6/159)؛ لسان العرب: لابن منظور، (12/775).

2- عند المفسرين: إن كثيراً من المفسرين، ومنهم ابن كثير⁽¹⁾، يذهبون إلى أن هذه الأيام هي الطبيعية التي نعرفها، مثل: (السبت والأحد والاثنين) إلا أن صاحب المنار قد أجرى بحثاً عميقاً في هذه المسألة، وتوصل إلى النتيجة الآتية قائلاً: "أما هذه الأيام فهي من أيام الله التي يتحدد اليوم، منها العمل من أعماله يكون فيه (...). ولا يعقل أن تكون هذه الأيام الستة من أيام أرضنا، وذلك أن أيام أرضنا إنما وجدت بعد خلق هذه الأرض⁽²⁾، وذهب مجاهد إلى أن (يوم) من الستة أيام كألف سنة مما تعدون، حيث قال: "بدء الخلق العرش، والماء والهواء، وخلقت الأرض من الماء، وكان بدء الخلق يوم الأحد والاثنين والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وجمع الخلق في يوم الجمعة، وتهودت اليهود يوم السبت و(يوم) من الستة الأيام كألف سنة مما تعدون"⁽³⁾.

3- مفهوم اليوم في التوراة: تعني المسافة بين إشراقين متواليين أو غروبين متواليين، وذلك بالنسبة لسكان الأرض⁽⁴⁾.

تري الباحثة أن المقصود باليوم هو يوم من أيام الله، وليس مثل هذه الأيام، ومقدار هذا اليوم كألف سنة، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾⁽⁵⁾. وإن الله وحده أعلم بطول اليوم في كل من أيام خلق الأرض والسموات، فإنني يمكنني القول بأن القرآن يعبر عن مراحل خلق العالم بأنها ستة، وبمعنى دورات وأطوار طويلة من الزمن، وفي عدم خلقها دفعة دليل على كونه (سبحانه) قادراً مختاراً مع ما فيه من الاعتبار للنظام، والحدث على التآني في الأمور.

هذا من ناحية، وهناك إشكال آخر حيث يرى بعض الناقدين أن خلق السموات والأرض في ستة أيام مخالف لما ورد في سورة فصلت: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ...﴾ إلى قوله: ﴿... وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ...﴾ إلى قوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾⁽⁶⁾.

(1) انظر: جامع البيان: الطبري، (513/5)؛ وتفسير العظيم: لابن كثير، (221/12)؛ (263/2)؛ وفتح القدير: الشوكاني.

(2) تفسير المنار: محمد رشيد رضا، (444-446/8)؛ وانظر: بحر المحيط: لأبي حيان، (309/4)؛ وإرشاد العقل السليم: لأبي السعود، (186/3).

(3) تفسير مجاهد: محمد أبو النيل، (338).

(4) انظر: الظواهر الجغرافية: فوزي الشربيني، (64)؛ وما دل عليه القرآن: محمود شكري الألويسي، (67)، المكتب الإسلامي، ط2 1418هـ-1997م؛ التوراة والإنجيل: موريس بوكالي، (166).

(5) سورة الحج آية 47.

(6) سورة فصلت آية 9-12.

حتى قالوا: إذا أضفنا دورتي تكوين الأرض إلى الدورات الأربع المخصصة التي قدرت فيها الأقوات لساكنيها والدورتين المخصصتين لتكوين السموات، سنحصل على ثماني دورات، وبذلك فهذا مخالف مع عدد الستة للدورات التي قد حددت في الآيات السابقة⁽¹⁾.

ولكن نرد على من ادعى أنه يوجد تعارض وتخالف في القرآن، فإن القرآن الكريم بيّن في بعض آياته أن الأرض لم تهيأ للعمران البشري إلا بعد ستة أطوار، فقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ...﴾⁽²⁾. وقد فصل ذلك في سورة فصلت، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ النَّارِضَ فِي يَوْمَيْنِ...﴾ ففي هذه الآية إشارة إلى طوري الانفصال من الشمس، وتجمد القشرة الأرضية، وقوله تعالى في الآية العاشرة من السورة نفسها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ...﴾.

هذه إشارة إلى طور ثالث يعبر عن تكوين الجبال، ويتبع ذلك خلق الأنهار؛ حيث تنتشر البركة بالماء اللازم للحياة، هناك نوع آخر من الجبال تكونت مع القشرة الأرضية، بدلالة جمع هذه الأطوار كلها معاً في قوله تعالى: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ...﴾ إشارة إلى الاتصال والتداخل، وبهذا فإن مجموع الأطوار أربعة.

وتستطرد الآية الحادية عشرة من سورة فصلت ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ...﴾ فإن لفظ ثم هنا لا يفيد الترتيب، بل يعني زيادة لأن السموات والأرض طبقاً لآية سبق ذكرها ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ ولهذا يمكن اعتبار فترات خلق السموات مصاحبة لفترات خلق الأرض وخاصة أن القرآن لا يحدد ترتيباً في خلقهما...⁽³⁾.

وهكذا فإنه لا يبدو أي تعارض بين ما هو وارد في المقطع المذكور هنا، والمفهوم الذي تضمنته نصوص القرآن الأخرى عن تكون الكون في ست دورات أو مراحل.

هذا بالنسبة لما ورد في القرآن، وأيضاً قال علماء المحدثين: إن أهل العلوم المكتسبة يرون أن مراحل خلق الكون الست حسب الترتيب التالي والله تعالى أعلم بخلقهم.

1- مرحلة الرتق: وهي مرحلة الجرم الأولى، الذي بدأ منه خلق السموات والأرض، ويعتقد علماء الفلك والفيزياء الفلكية أن عمره يرجع إلى حوالي الأربعة عشر بليون من السنين.

(1) الكون والإعجاز العلمي: منصور حسب النبي، (327). بتصرف.

(2) سورة هود آية 7.

(3) انظر: الكون والإعجاز العلمي: منصور النبي، (328)؛ التوراة والإنجيل: موريس بوكالي، (168-174)؛

الإنسان والكون: مرتضى أبو سمرة (54-56). بتصرف واختصار.

- 2- مرحلة الفتق: (مرحلة الدخان) وهي مرحلة انفجار الجرم الأولى، وتحوله إلى سحابة من الغاز المكون من اللبنة الأولية... وهي مرحلة تخلق العناصر في السماء الغازية...، بعد الانفجار أنتت مرحلة تخلق كل من الأرض وباقي أجرام السماء... الخ.
- 3- مرحلة الدحو: أي مرحلة دحو الأرض وتكوين أغلفتها الغازية والمائية والصخرية... الخ.
- 4- مرحلة تكون الجبال: عن طريق تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض وتصادمها مع بعضها البعض.
- 5- مرحلة خلق الحياة النباتية والحيوانية من أبسط صورها إلى أكثرها تعقيداً.
- 6- مرحلة خلق الإنسان منذ حوالي مائة ألف سنة على أكثر تقدير⁽¹⁾.

وبعد قد تم استعراض ما ورد في القرآن بالنسبة لمراحل الخلق، وما بوسعي إلا أن أختتم هذا الأمر بذكر ما جاء في التوراة عن الخلق؛ حيث يريدون بيان أن القرآن لم يأت بجديد عما جاء في التوراة، وإنه ليس به أثارة من إعجاز علمي...، مع أن القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بعكس التوراة المحرفة.

فقد جاء فيها أن الله تعالى خلق الكون في ستة أيام، ثم استراح - تعالى عما يصفون - في اليوم السابع، حيث قيل: "وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله للخلق. هذه مبادئ السموات والأرض حين خلقت"⁽²⁾.

ومن خلال ذلك يتضح مدى الخيال... والأوهام فيما نسب إلى الله من التعب والحاجة إلى الراحة... ولقد ورد في القرآن ما ينفي هذا القول فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾⁽³⁾.

وفي النهاية ما بوسعي إلا أن أقول لقد بين هذا العرض مدى اتفاق المعارف الحديثة، ومما جاء في القرآن، وكلاهما بدوره يختلف تماماً عما جاء في التوراة المحرفة.

رابعاً: منطق لغة (السموات والأرض).

جعل الله ﷻ لكل خلق من خلقه إدراكات، ولكن ظنون الناس وعقولهم لا تتسع لهذا، فكل خلق نراه أمامنا أو لا نراه، يتفاهم مع خالقه مع أننا لا نستطيع أن نتفاهم مع بعضنا

(1) انظر: النبات في القرآن: زغلول النجار، (146-145/4)، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 1425هـ-2004م.

(2) انظر: سفر التكوين، الأصحاح الثاني، من كتاب المقدس (ص4).

(3) سورة ق آية 38.

البعض، ويريد البعض منا ألا يتفاهم مع منهج الله، فالشمس لها حديث مع الله، والأرض لها حديث مع الله، والجبال لها حديث مع الله، وقرأ قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾⁽¹⁾.

خطاب مع الله ﷻ قول السماء والأرض وهي تتاجي خالقها، وهنا نقف قليلاً هل يقال لشيء، أو يقول الشيء. إلا أن يكون هناك فهم من القائل، وهل حديث الشمس أو الأرض الذي ورد في القرآن ليكشف لنا إدراكات هذا الفهم الذي تعجز عقولنا عن فهمه، الله سبحانه وتعالى أخبرنا أنه علم سليمان منطق الطير، وأن سليمان فهم من النملة، وأن الجبال يسبحن مع داود، وعرفنا أن رسول الله كان يسمع تسبيح الحصى وهو في يده، والحصى يسبح سواء كان في يد رسول الله أو بعيداً عن يده، ولكن الله ﷻ أفهم رسول الله لغة الحصى، أسمعه تسبيحه، كما فهم سليمان عن النملة، وجذع النخلة بكى حنيناً إلى رسول الله، إذن كلها عوالم لها إدراكات، بل يضاف لهذه العوالم عواطف، مع أن العواطف مشهور عنها أنها عند الإنسان فقط... ولكن انظر إلى قول الله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ...﴾⁽²⁾.. إذن السماء والأرض لهما بكاء، ومادامت السماء والأرض لم تبكيان على آل فرعون، فإن لهما مناسبات تبكيان فيها، ولو أن السماء والأرض لا تبكيان على أحد لما كان الله ﷻ يخبرنا بذلك، ولكن قول الله: ﴿فَمَا بَكَتْ﴾ يدل على أنهما تبكيان، وهما تبكيان العبد الصالح، الأرض تبكي مكان سجود العبد المؤمن عليها، تبكي مكان صعود دعاء العبد الصالح إليها، فالمكان يصلي فيه الإنسان ويدعو ربه، المكان الذي لم يشهده إلا على طاعة، ولم يره في معصية، ينسجم مع هذا العبد الصالح ويأنس بجلوسه فيه... فإذا فارقه الإنسان بالموت مثلاً يحزن عليه ويبكي.

وهكذا نجد أن الله ﷻ قد أخبرنا أنه خلق انفعالات للأرض والسماء، فإذا قالت شيئاً... أتقوله لي أم لمن خلقها؟ تقوله طبعاً لمن خلقها... ولا يعز على من خلقها أن يتفاهم معها... لأن الأشياء في التكوين منفعلة للخالق... والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽³⁾، وهكذا تصبح الكلمة وجوداً... وكل شيء في الكون موجود بكلمة كن... وكل شيء منفعلة لله ﷻ، لأنه وجد من الله، قال له كن فتم الخلق... ولا يحدث ذلك إلا إذا كان هناك فهم من هذا الشيء لأمر الله ﷻ⁽⁴⁾. سبحان الذي خلق كل شيء فمهده، ويسره.

(1) سورة فصلت آية 11.

(2) سورة فصلت آية 29.

(3) سورة يس آية 82.

(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: الألويسي، (168/13)؛ وفي ظلال القرآن: سيد قطب، (3114/5)؛ ودلائل التوحيد: التليدي، (307)؛ معجزة القرآن: محمد متولي الشعراوي، (263/2-265)، مكتبة التراث الإسلامي، بدون تاريخ.

المطلب الثاني

شكل الأرض وجاذبيتها وتوازنها

أولاً: شكل الأرض.

هناك من يقول، عن القرآن: وصف الأرض بأنها مسطحة.

بينما أثبت العلم أنها كروية. والله أعلم.

فقد جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿وَالْيَ الْأَرْضِ كَيْفَ سَطَّحَتْ﴾⁽¹⁾.

ومثل هذا القول لا يدل على عمق في تدبر آيات القرآن الكريم، وإن هذه الآية فيها حث على التفكير في الكيفية التي نسق بها كل ما على سطح الأرض من بحار، وياابس، وجبال، وصحارى... وغير ذلك من خصائص سطح الأرض، فالحث على التفكير في سطح الأرض ليس فيه معنى يدل على عدم كروية الأرض، بل إن كثيراً من الآيات القرآنية تدل -بوضوح- على كروية الأرض.

أ- كروية الأرض:

قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ...﴾⁽²⁾.

يقول المفسرون ﴿يُكْوِّرُ﴾ من كَوَّرَ العمامة، وهو إدارتها واستدارتها حول الرأس⁽³⁾.

ويقول الشيخ جوهر: "إن التكوير هو اللف واللي، ويقال: كار العمامة على رأسه وكوَّرها، ولا جرم أن كل واحد من الليل والنهار في تتابعهما أشبه بتتابع أكوار العمامة بعضها على بعض"⁽⁴⁾.

وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ مَدَدْتَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ...﴾⁽⁵⁾، فهذه الآية تدل على أن الإنسان، أينما ذهب فوق الأرض، وجدها ممدودة أمامه. وهذا لا يمكن هندسياً، إلا إذا كانت الأرض كروية، إذ أنها لو كانت مسطحة لاختفى هذا المد عند الوصول لحدودها، ولهذا نلاحظ

(1) سورة الغاشية آية 20.

(2) سورة الزمر آية 5.

(3) انظر: روح المعاني: الألوسي، (351/13)؛ الكشف: الزمخشري، (108/4-109)؛ البحر المحيط: لأبي حيان، (396/7)؛ معجزة القرآن: محمد متولي الشعراوي (92/1). بتصرف.

(4) الجواهر في تفسير القرآن: طنطاوي جوهر، (9م/18ص/153)، المكتبة الإسلامية، ط2 1350هـ.

(5) سورة ق آية 7.

دقة التعبير القرآني الذي اختار اللفظ الوحيد المناسب للعصر، فكلمة (مددناها) تعطي المعنى للانبساط، والتكوير فلا تنشأ مشكلة لأن الأرض تبدو منبسطة، ولكنها في نفس الوقت كروية في حقيقتها⁽¹⁾.

ويفهم من مد الأرض وبسطها، أن الأرض مسطحة الشكل، ويفسر الشيخ الشعراوي ذلك بأن الإنسان يرى الأرض مبسوطة أمامه، سواء أكان في القطب الشمالي، أم في القطب الجنوبي، أم في المنطقة الاستوائية، أم في أي مكان آخر على سطح الأرض. وهذا لا يمكن أن يحدث بهذه الصورة إلا إذا كانت الأرض كروية، فلو كانت غير ذلك (مربعة أو مثلثة أو في أي شكل هندسي آخر)، كان لابد للإنسان أن يشاهد حواف للأرض عند أطرافها⁽²⁾.

وقد سبق لكثير من الأئمة المسلمين تأكيد ذلك بهذا المعنى نفسه من قبل، كما جاء في كتابات الإمام ابن حزم الأندلسي⁽³⁾ حيث قال: "إن البراهين قد صحت بأن الأرض كروية لدى العلماء، وإن كانت العامة لا تعتقد هذا الرأي بناء على النظر القاصر والفكر المحدد"⁽⁴⁾. وأيضاً ذهب إلى هذا الرأي أبو القاسم⁽⁵⁾ حيث قال: "صفة الأرض أنها مدورة كتدوير الكرة الموضوععة في جوف الفلك كالمحة في جوف البيضة"⁽⁶⁾.

وقال الألويسي في كتابه: إن مد الأرض هو بسطها... وقد جعل الله حجم الأرض عظيماً لا يقع البصر على منتهاه... وإذا كانت الكرة في غاية الكبر كانت كل قطعة منها تشاهد كالسطح المستوي الامتداد⁽⁷⁾.

(1) انظر: الكون والإعجاز العلمي: منصور النبي، (158-159). بتصرف.

(2) انظر: معجزة القرآن: محمد متولي الشعراوي، (92/1). بتصرف.

(3) ابن حزم هو: أبو محمد علي بن أحمد... ابن حزم مولده بقرطبة 384هـ، كان وزير المنصور أبي عامر، كان متفنناً في العلوم، حجة عاملاً بعلمه زاهداً في الدنيا، له تأليف كثيرة منها: (فقه الحديث، الإيصال إلى فهم الخصال...) [الأعلام: الزركلي، (254/4-255)].

(4) الفصل في الملل والنحل: لابن حزم، (م1/ح2/97)، دار المعرفة، ط2 1395هـ-1975م.

(5) أبو القاسم هو: عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة، ولد في القرن الثالث هجري، ت 903م، اشتغل في منصب صاحب البريد والخبر، وله مؤلفات منها أدب السماع - الطبخ - الشراب... [المسالك والممالك، (8-12)].

(6) المسالك والممالك: لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله، (15)، دار إحياء التراث العربي، ط1 1408هـ-1988م.

(7) روح المعاني: الألويسي، (264/14).

وبذلك لم يقتصر إعجاز القرآن في موضوع كروية الأرض عند هذا الحد، بل تعرض لتفاصيل هذا الشكل الكروي. وهذا ما سوف نتحدث عنه إن شاء الله.

ب - بيضاوية الأرض:

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾⁽¹⁾.

أي: أخرج منها الماء والمرعى، وشقق الأنهار، وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والأحكام، ودحو الأرض: بسطها⁽²⁾.

وتوضح المعاجم اللغوية⁽³⁾ أن كلمة دحاها تؤدي إلى معنى أنه جعلها كالدحية، أي كالبيضة؛ لأن الأدحوة معناها بيضة النعام، أو مكان بيض النعام، ويكون عادة مستدير الشكل. ولاشك أن هذا يطابق شكل الأرض الحقيقي الذي تدل عليه البراهين النظرية، والعملية كما تؤكد الصور التي سجلتها آلات التصوير أثناء رحلات الأقمار الصناعية في الفضاء، حيث تبين أن الأرض مفرطحة⁽⁴⁾ عند قطبيها تفرطحاً بسيطاً جداً، مما يعطيها شكل البيضة. ويفسر العلماء هذا التفرطح بأن الأرض كانت لينة ساخنة كالعجين عند نشأتها، وأن دورانها حول نفسها جعل كرة العجين تبرز قليلاً عند بطنها (خط الاستواء) وتتفرطح عند قطبيها؛ وذلك لأن القوة المركزية الطاردة أكبر ما يمكن عند البطن، وتقل حتى تصل إلى الصفر عند القطبين، ولقد ظل هذا التشكيل مستمراً حتى بردت الأرض⁽⁵⁾. والله أعلم.

ولفظ (دحا) يدل على شيئين، هما: البسط مع الاتساع، والتكوير في التكوين، وهذه روعة في التعبير عن أن الأرض التي نراها أمامنا في الظاهر مبسوطه، فسيحة الأرجاء، وهي في واقع الأمر مستديرة كالبيضة⁽⁶⁾. والله أعلم.

(1) سورة النازعات آية 30-31.

(2) انظر: جامع البيان: الطبري، (439/12)؛ وتفسير العظيم: لابن كثير، (243/14)؛ ومحزر الوجيز، لابن عطية، (310/15)؛ وفي رحاب التفسير: عبدالحميد كشك، (7856/9). بتصرف.

(3) انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (265/2)؛ ولسان العرب: لابن منظور (313/14).

(4) مفرطحة: عرض في وسط الرأس (عريض الرأس) [لسان العرب: لابن منظور (645/2)]

(5) انظر: تفسير القرآن الحكيم: محمد رضا، (211/1)؛ والكون والإعجاز العلمي: منصور النبي، (158)؛ والله والعلم الحديث: عبدالرزاق نوفل، (149).

(6) انظر: الكون والحياة: عبدالرحمن عميرة، (69)؛ والإعجاز العلمي: محمد كامل عبدالصمد، (79)؛ والقرآن وإعجازه العلمي: محمد إسماعيل إبراهيم، (83).

وهذا تقدير العزيز الحكيم الذي أتقن كل شيء خلقه فجعلها ممهدة وبسط قشرتها، بحيث يصبح من السهل السير عليها، وتكوين تربة صالحة للإنبات فيها، فقد قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾⁽¹⁾.

"أي جعلها ممهدة للسير عليها وللحياة والنماء والزرع فيها، وسيظل مدلول هذا النص يتسع ويتعمق ويكشف عن آفاق، مع اتساع المعرفة وتطور العلم البشري، والله ﷻ جعل الأرض مهدياً، وذلك سبل الحياة فيها، وقدر فيها موافقات شتى تسمح مجتمعه بوجود الإنسان وتيسير الحياة له، ولو اختلت إحدى هذه الموافقات لتعذرت الحياة أو تعسرت"⁽²⁾.

وفي هذا دليل على قدرة الله، فكيف في مقدور أمي أن يعرف -قبل ألف سنة- أن شكل الأرض يماثل شكل الدحية إلا بوحى من الله.

ثانياً: جاذبية الأرض وتوازنها.

أ- جاذبية الأرض:

لنفق لحظة نتأمل هذه الكرة الأرضية التي نعيش عليها... إنها معجزة الخالق، فهي معلقة في هذا الفضاء الشاسع، فإننا عندما نركب الطائرة، يعترينا الخوف، والفرع، لأننا نشعر بأننا معلقون في الجو ولكننا في الحقيقة على الأرض لسنا أكثر أماناً من الجو لو لم يمسك الله سبحانه الأرض، لأن الأرض بكل ما فيها وما عليها معلقة في الفضاء، ونحن نمشي في أجزاء الأرض، فمن الذي يشد هذه الأرض ويمسكها؟ أهي الجاذبية، كما قال العلم؟... أم القدرة الإلهية، كما قال القرآن الكريم؛ حيث قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ﴾⁽³⁾.

ففي قوله: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ قولان:

أحدهما: أنها مرفوعة بغير عمد ترونها.

الثاني: لها عمد، ولكننا لا نراها.

وقال ابن عباس: لها عمد على جبل قاف⁽⁴⁾.

(1) سورة الزخرف آية 10.

(2) في ظلال القرآن: سيد قطب، (3178/5).

(3) سورة الرعد آية 2؛ وانظر: سورة لقمان آية 10.

(4) تفسير الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (279/9).

وترى الباحثة أن الرأي الأول هو الراجح؛ لأن في هذه الآية إخباراً عن كمال وقدرة الله، أنه خلق السموات بعمد وبغير أعمدة.

ففي هذه الآية لفظة إلى مظاهر القدرة الإلهية تحرك الوجدان؛ فإن المتأمل إلى هذا المشهد الهائل يدرك أنه ما من أحد يقدر على رفع السماء بلا عمد إلا الله، حتى ولو قيل بتوازن قانون الجاذبية بين النجوم والكواكب، فإن ذلك بخلق الله تعالى⁽¹⁾.

وبذلك فإن الله، كما رفع السموات بغير عمد، أيضاً أمسكها من أن تسقط، فقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿... وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾⁽²⁾.

إن هذه الآية تدل على أن الله هو الذي يمنع اختلال نظام السموات، والأرض ويحفظها بقدرته، فهو يمسك السماء ويمنعها من أن تقع على الأرض فتهلك من فيها، وأنه لو شاء لأذن للسماء فسقطت على الأرض فتهلك من عليها، كما قال: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾⁽³⁾⁽⁴⁾. فإنه رحيم بعباده.

كما أنه رفع ومسك السموات، فهناك ما يدل على قدرته وهي تسخير الطير في جو السماء، ولا يوجد أي ماسك لها، فقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَّا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ...﴾⁽⁵⁾.

إن هذه الآية فيها لفت أنظار الناس إلى حياة هذا الطير، الذي يسير في هذا الفضاء بين السماء والأرض، ويذكرنا بكمال قدرته ودلائل توحيده فإن هذا الجو ليس فيه طريق معبدة، ولا أرض يابسة تصلح للمشي عليها وإنما هو مجرد هواء وفراغ... ومع ذلك نرى هذا الطير الضعيف يطير هنا وهناك، ويقبض جناحيه تارة ويصففها أخرى، ولا نراه يسقط سواء فيه الضخم العظيم أو الضعيف الصغير، ولا يوجد شيء تحته ما يدعمه ولا فوقه ما يتعلق به. فمن الذي يمسكه يا ترى⁽⁶⁾؟

(1) تفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/7ج/13/2422)، دار غريب، 2000م؛ وتفسير المنير: وهبة الزحيلي، (103/13).

(2) سورة الحج آية 65؛ وسورة الروم آية 25؛ وسورة فاطر آية 41.

(3) سورة سبأ آية 9.

(4) معالم التنزيل: البغوي (73/4)؛ وأضواء البيان في إيضاح القرآن: الشنقيطي، (743/5)؛ ط 1400هـ-1979م؛ ؛ التفسير المنير: وهبة الزحيلي، (264/14).

(5) سورة النحل آية 79.

(6) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (336/8-337)؛ و المحرر الوجيز: لابن عطية (481/8)؛ وتفسير الواضح: الحجازي (58/14)؛ وصفوة التفاسير: محمد الصابوني، (137/2)، دار الصابوني، ط9؛ وفي رحاب التفسير عبدالحميد كشك، (2059/3).

ما يمسكه إلا الله تعالى الذي سخره في هذا الفضاء الواسع الفسيح، وهو الذي جعل فيه هواء يحمله فيه.

فهذا كله ما توصلت إليه أن القدرة الإلهية هي التي تمسك وتطير هذا الطير وليس الجاذبية، ولكن لنر ما قاله العلم.

يقول العلم: إن الإنسان كلما نظر إلى نجوم السماء، وكواكبها يراها متماسكة وثابتة في مواضعها... طبقاً لنظام بديع، فقد فسّر العلم هذه القوة الكونية، التي تحفظ السماء والأرض والكون وتصونه من التفكك والاضطراب، أنها قوة الجاذبية، التي اكتشفها عالم رياضيات إنجليزي وهو نيوتن، في أوائل القرن السابع عشر عندما لاحظ يوماً أن تفاحة سقطت من شجرتها على الأرض، فأخذ يفكر في أسباب سقوطها هي وغيرها من الأجسام التي تقع تلقائياً على الأرض...، ولقد وضع بما لا يقبل الشك أن هناك علاقة بين كتل الأجسام المتجاذبة وبين المسافات التي بينها، وقد ساعد قانون الجاذبية علماء الفلك في فهم الكثير من الحقائق الكونية التي كانت مجهولة تماماً من قبل⁽¹⁾.

وقد قيل: لو كانت جاذبية الأرض أقوى مما هي عليه: لتسبب ذلك في تراكم المزيد من غازات الأمونياك، وغاز الميثان في الغلاف الجوي، وبالتالي تصعب الحياة على كوكب الأرض، ولو كانت أضعف مما هي عليه لتسبب في ذلك فقدان الغلاف الجوي الكثير من الماء وبالتالي انعدام الحياة على هذا الكوكب⁽²⁾.

وأيضاً فقد قالوا: إن الأجرام السماوية جميعها واقعة، وفي هبوط مستمر لما فيها من الثقل العظيم؛ ولكن الله جعل في مقابل الجاذبية قوة طرد مركزية، وهي مساوية لقوة الجاذبية، فيقع الجرم الفلكي بين قوتين متعادلتين، مما يتيح له البقاء، متوازياً في فلكه المرسوم ولكن حينما يأخذ الله بنهاية الخلق، تضعف إحدى القوتين عن نظيرتها فيصطدم بعض الكواكب ببعضها الآخر، وذلك ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٣٧﴾﴾⁽³⁾⁽⁴⁾. والله أعلم بذلك.

(1) انظر: القرآن وإعجازه العلمي: محمد إبراهيم، (141-142)؛ ومن علم الفلك القرآني: عدنان الشريف، (67/24)؛ التكنولوجيا برهان على إعجاز القرآن: محمد أبو الرّب، (58)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 1 1424هـ-2003م.

(2) انظر: سلسلة المعجزات: هارون يحيى، (59).

(3) سورة الانفطار آية 1-2.

(4) انظر: تفسير القرآن: عبدالله شحاتة: (م/9ج/17/3411)، وسبعون برهاناً علمياً: ابن خليفة عليوي (107-108)؛ دار الإيمان، ط 3 1408هـ-1988م؛.

وبعد كل ذلك وما تحدثنا عنه وبيناه لكم فمن الذي يمسك السماء ويمسك الطير؟ أهي الجاذبية، أم قدرة الله؟

إنها القدرة الإلهية، ولكن توجد جاذبية كما قال العلم؛ لأننا لو نظرنا إلى الطير فإنه يطير ولكن عندما يضم هذا الطير جناحيه ويوقفهما عن الحركة هل سيبقى معلقاً في الجو، أم يسقط على الأرض كما سقطت التفاحة التي توصل من خلال سقوطها نيوتن إلى الجاذبية. وأيضاً لا نريد أن نبعد فليُنظر الإنسان إلى نفسه، لو لم تكن للأرض جاذبية لآن نحن نطير في الجو، ولكن الجاذبية هي التي تجذبنا نحو الأرض. والله أعلم.

ب- توازن الأرض:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦٧﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾⁽¹⁾.

وقال أيضاً: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ...﴾⁽²⁾.

وتفسير هذه الآيات المباركات قديماً كان يعني، لأهل التفسير من علماء الأمة الأفاضل (رحمهم الله تعالى)، أن الجبال تمسك بالأرض⁽³⁾ وقد اقتربوا من الواقع العلمي كثيراً؛ إذ إن العلم الحديث أثبت أن بفعل دوران الأرض حول نفسها تنشأ القوة النابذة التي تقذف، ما على سطح الأرض إلى الخارج، أما قوة الجاذبية فتجذب ما على الأرض نحو مركزها، وبسبب تعادل هاتين القوتين، فإن الأرض لا تميل ولا تضطرب، ولكي تتعادل القوتان يجب أن تكون قشرة الأرض متوازنة، وبذلك فإن الجبال تلعب دوراً مهماً في توازن القشرة الأرضية، وهذا بفعل جذورها التي تغوص بعيداً في طبقات الأرض، فتكون كأوتاد، وبذلك أصبحت بالنسبة للقارات كالوتد بالنسبة للخيمة، فالوتد يثبت الخيمة... وهكذا الجبال تثبت القارات بالجزء المغروس منها في الطبقة اللزجة التي تقع تحت الطبقة الصخرية التي تتكون منها القارات. وإن هذا الدور الذي تلعبه الجبال لم يكتشفه العلم إلا في القرن التاسع عشر⁽⁴⁾.

(1) سورة النبا آية 6-7.

(2) سورة الحجر آية 19.

(3) انظر: تفسير القاسمي محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، (6033/17)، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ؛ غرائب القرآن و رغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، (3307/4)، دار الصفوة، ط1 1416هـ-1995م.

(4) انظر: من علوم الأرض القرآنية: عدنان الشريف (48)؛ وانظر: الأرض سلسلة ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية: خالد فائق العبيدي، (28-29/4)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1 1426هـ-2005م؛ توحيد الخالق: عبدالمجيد عزيز الزنداني، (48/3)، دار السلام، ط4 1418هـ-1998م؛ والقرآن والكون: محمد عبد الله الشرفاوي، (58)، دار الجيل، بيروت، ط3، 1411هـ-1991م.

"وهناك حقيقة علمية أخرى وصل إليها البحث العلمي في توزيع الجبال، واليابس والماء على سطح الأرض: أحجامها الحالية، علاوة على التوازن بحيث لا تميد الأرض ولا تحيد عن موضعها، وهي أنه لو كانت الأرض بحجمها الحالي مكونة من الماء بنسبة أكبر لبلغ وزنها أقل مما هي عليه الآن، ولما تمكنت من حفظ نسبة بعدها عن الشمس، بل لانجذبت إليها واحترقت، ولو كان أكثرها مكوناً من اليابس ل زاد وزنها عما هي عليه الآن، ولبعدت عن الشمس البعد الذي لا تتحقق معه الحياة؛ لأنها في هذه الحالة تتجمد من شدة البرودة"⁽¹⁾.

وبذلك نقول لهؤلاء الجاحدين، الذين لا يريدون أن يُلینوا عقولهم: من علم النبي علم الجبال؟ وفي أي كتاب من كتب الأقدمين ورد علم الجبال ودورها؟ وهذه الحقائق لم تُعرف إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ولا يعرف ذلك منذ خمسة عشر قرناً، بل من الأزل، إلا الله خالق الجبال ﷻ.

(1) القرآن وإعجازه العلمي: محمد إسماعيل إبراهيم، (65-66).

المطلب الثالث

حركة الأرض ودورانها

أولاً: حركة الأرض حول نفسها.

يقول العلم: إن الأرض تدور حول محورها الوهمي من الغرب إلى الشرق مرة كل 23 ساعة 56 دقيقة، 4 ثوان... ونحن لا نشعر بهذا الدوران إلا من الحركات الظاهرية للأجرام في السماء... فإننا نلاحظ الشمس نهاراً، والنجوم والقمر ليلاً نجدها تشرق من الشرق، وتغرب من الغرب دائماً، مما أدى ذلك إلى الاعتقاد الخاطئ الذي استمر حتى القرن السادس عشر، وهو أن الأرض ثابتة، والسماء هي التي تدور حولها⁽¹⁾. والله أعلم.

وقد اختلف العلماء والمفسرون قديماً وحديثاً في دوران الأرض سواء حول نفسها، أو حول الشمس. وتفصيل ذلك كما يلي:

1- عند القدامى:

قال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾⁽²⁾، فالتكوير هو اللف على الجسم الكروي المستدير، كتكوير العمامة على الرأس⁽³⁾، وقيل: تكوير الليل على النهار: تغشيته حتى يذهب ضوءه ويغشى الليل فيذهب ظلمته. وهذا هو الطلب الحثيث مع جريان كل منهما إلى أجل مسمى، أي في فلكه إلى أن تنصرم الدنيا⁽⁴⁾. وقيل الآجل المسمى هو الوقت الذي ينتهي فيه سير الشمس والقمر إلى المنازل المرتبة، أي يسيران إلى أقصى منزلهما ثم يرجعان إلى أدنى منزلهما لا يجاورانه⁽⁵⁾.

قال تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾⁽⁶⁾، أي يذهب نور النهار ليتم قوام الحياة في الدنيا بمجيء الليل، والتغشية بمعنى إلباس الشيء، أي أن النهار يغشى الليل ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ أي يطلبه دائماً من غير فتور، والحث الإيجال والسرعة⁽⁷⁾.

(1) انظر: الموسوعة العلمية الحديثة: (الكون) كولين مروان، (44) الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1980م،

ومن علم الفلك: عدنان الشريف، (99)؛ وظواهر الجغرافية: فوزي الشربيني، (27). بتصرف.

(2) سورة الزمر آية 5.

(3) انظر: روح المعاني: الألوسي، (351/13)؛ الكشاف: الزمخشري، (108/4-109).

(4) جامع الأحكام: القرطبي، (235/15).

(5) تفسير: ابن كثير، (113/12)؛ والبحر المحيط: لأبي حيان، (396/7).

(6) سورة الأعراف آية 54.

(7) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (235/15).

وقوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾⁽¹⁾.

أي تعاقبهما ومجيء أحدهما بعد الآخر، ومنها ولوج أحدهما في الآخر، وأخذ أحدهما من الآخر، ومنها تغير أحوالهما في البرد والحر وغيرهما⁽²⁾. وهذا يدل على تعاقب الليل والنهار وأنهما يسبحان في فلك.

قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁽³⁾.

أي كل في فلك كفلك المغزل، كما يدل على أن الليل لا يسبق النهار كما بينت الآية الحركة الكلية للفلك وهي التي تتم في كل يوم وليلة دورة⁽⁴⁾.

وقوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾⁽⁵⁾.

أي تدخل ما نقص من أحدهما في الآخر حتى يصير النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات، وكذلك تولى الليل في النهار: يدخل فيها تعاقب الليل والنهار، كأن زوال أحدهما ولوج في الآخر⁽⁶⁾. وهذا الأمر لا يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية وتدور حول نفسها حتى يحدث ذلك التعاقب والإيلاج والتكوير.

2- المعاصرون:

قال تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾⁽⁷⁾.

أي: يغشى الليل النهار ويغشى النهار الليل، أي يغطي الله مكان النهار بظلمه الليل فيصير ليلاً ويغطي مكان الليل بنور النهار فيصير نهاراً.

وبهذا يزحف الليل إثر النهار حالاً محله من طرف، ويزحف النهار إثر الليل حالاً محله من الطرف الآخر في كل بقعة من بقاع الأرض أثناء دورتها اليومية حول نفسها، وذلك في تعاقب مستمر، وهذا يحدث بدوران الأرض حول محورها، وبيان سرعة هذا التعاقب بقوله ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ أي: سريعاً، وبذلك لا يبقى مكان على الأرض دائم الليل أو دائم النهار⁽⁸⁾.

(1) سورة النور آية 44.

(2) تفسير الكبير: الرازي، (15/24).

(3) سورة يس آية 40.

(4) الفصل في الممل والنحل: لابن حزم، (104/2). بتصرف.

(5) سورة آل عمران آية 27.

(6) جامع الأحكام: القرطبي، (56/4)؛ والمحزر الوجيز: لابن عطية، (68/3)؛ تفسير القرآن: عبدالله شحاتة،

(م2/ج3/ص550)؛ تفسير الواضح: محمد حجازي، (51/1).

(7) سورة الأعراف آية 54.

(8) انظر: الكون والإعجاز العلمي: منصور حسب النبي، (162).

قال تعالى: ﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾⁽¹⁾، يكور أي يلف، أو ينشر في اتجاه مستدير ظلمة الليل على مكان النهار على سطح الأرض فيصير نهاراً. وإن لف الأرض الكروية حول محورها أمام الشمس، وذلك حتى يحدث تتابع الليل والنهار في الغلاف الجوي للأرض ويؤيد ذلك آية الإيلاج وتكرار الفعل (يكور)⁽²⁾. قال تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾⁽³⁾. والإيلاج هنا إدخال الشيء في آخر بحيث يحيط به. ومعنى هذا تبادل الليل والنهار بتبادل الأماكن، فيحل الأول محل الثاني وبالعكس وهذا لا يتم إلا بالدوران المغزلي للأرض. والخلاصة أن نظام تولد الليل والنهار، طبقاً للوصف القرآني، يؤدي إلى أن الأرض عموماً خلقت كروية الشكل وتدور حول نفسها حول محور الأرض، يقسمها نصفين متماتلين متساويين حتى يحدث الإيلاج بالمعنى اللغوي⁽⁴⁾ أمام النجوم الملازمة لها فصار الليل والنهار يتعاقبان بالإغشاء والتكوير والإيلاج⁽⁵⁾. وقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ﴾⁽⁶⁾. والسلخ معناه فصل الجلد عن اللحم. والمعنى: دليل على قدرتنا أننا نزيل نور النهار من مكان الليل كما نسلخ الجلد من اللحم فيدخل الناس في الظلام، والغرض بيان أن نور النهار ظاهرة سطحية تنشأ في الغلاف الجوي فقط نتيجة ظاهرة التشتت وأن الليل هو الأصل⁽⁷⁾. ويتضح مما سبق من آيات الإغشاء والتكوير والإيلاج والسلخ بأن الأرض كروية الشكل وأنها تدور حول نفسها. وبذلك فإن القرآن دل على حركة الأرض بنوعيتها، وذلك بالإشارة لا بصريح العبارة، وذلك مراعاة لمقتضى الحال في خفائها، وعدم إحساس الناس بها.

(1) سورة الزمر آية 5.

(2) الكون والإعجاز العلمي: منصور حسب النبي، (163).

(3) سورة آل عمران آية 27.

(4) يولج: إدخال شيء في آخر بحيث يحيط به. انظر: لسان العرب: لابن منظور، (468/2)؛ مقاييس اللغة:

لابن فارس، (142/6)؛ مفردات ألفاظ القرآن: راغب أصفهاني، (569).

(5) الكون والإعجاز العلمي: منصور النبي، (169)؛ ومن الإعجاز العلمي: حسن أبو العينين، (30/2).

بتصرف.

(6) سورة يس آية 37.

(7) انظر: تفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/12ج/23ص/4513)؛ ومحاسن التأويل القاسمي، (5004/14)؛

وانظر: التفسير العلمي: أحمد أبو حجر، (251-252). بتصرف.

فلو أن القرآن صارحهم بحركة الأرض - وهم يحسبونها ساكنة - لكذبوه - فكان من الحكمة البالغة ومن الإعجاز البلاغي - في الأسلوب - أن ينبه الناس في كتاب الله إلى آيته سبحانه في حركة الأرض حول محورها، وفي حركتها حول الشمس بمختلف الإشارات⁽¹⁾.

ثانياً: دوران الأرض حول الشمس.

يقول العلم إنها حركة انتقالية، والأرض تدور بما عليها، ومن عليها مرة حول الشمس كل عام أي كل $365\frac{1}{4}$ يوم، أي كل سنة أرضية، وفي هذا المدار تقترب الأرض من الشمس، وتبتعد لأن المدار ليس دائرياً تماماً... الخ⁽²⁾. والله أعلم.

1- القدامى:

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾⁽³⁾.

"أي: يحسب الناس أنها جامدة، فلأن الأجسام الكبار إذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمات والكيفية ظن الناظر إليها أنها واقفة مع أنها تمر مرّاً حثيثاً"⁽⁴⁾، كمر السحاب التي تنتقل محمولة على الرياح. وهذه الرؤية وحسبان جمود الجبال وثباتها على مكانها، مع كونها متحركة في الواقع بحركة الأرض ودوام مرورها مر السحاب في سرعة السير والحركة، وقوله: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ من المصادر المؤكدة لنفسها وهو مضمون الجملة السابقة، يعني: هذا المرور، هو صنع الله⁽⁵⁾. مع جعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب⁽⁶⁾، وهذا ما يقتضيه أمر الدنيا وليس الآخرة.

(1) انظر: الكون والإعجاز العلمي: منصور حسب النبي، (157-158)؛ وتفسير العلمي: أحمد أبو حجر، (251). بتصرف.

(2) انظر: التفسير العلمي: أحمد أبو حجر، (251)؛ الكون والإعجاز العلمي: منصور حسب النبي،

(157-158)؛ الموسوعة العلمية الحديثة: كولین رونان، (45)؛ والظواهر الجغرافية: فوزي الشربيني،

(28). بتصرف واختصار.

(3) سورة النمل آية 88.

(4) تفسير الكبير: فخر الرازي، (520/24).

(5) تفسير القرآن: لابن كثير، (438/10).

(6) تفسير الكبير: الرازي، (220/24).

2- المعاصرون:

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾⁽¹⁾.

فقوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ فإن الإنسان، وهو أمام هذه الجبال، واهم؛ لأنه يظن بأنها جامدة وهي تمر مر السحاب، فالله ﷻ لم يقل مر الرياح أو أي لفظ آخر؛ لأن السحاب لا يتحرك بنفسه، بل تدفعه قوة ذاتية وهي قوة الريح التي تحمله من المكان الذي هو فيه إلى مكان آخر⁽²⁾.
فالله ﷻ يريد أن يقول لنا: إن حركة الجبال ليست ذاتية إنما تتحرك بحركة الأرض كما تتحرك الرياح السحاب. ولذا قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ ولم يقل تسير أو تجري أو تتحرك، فالله ﷻ استبعد كل الألفاظ التي تعطي الجبال ذاتية الحركة أي أن الذي يتحرك ذاتياً هي الأرض والجبال تتبع هذه الحركة وهي تمر أمامكم مر السحاب الذي لا يملك ذاتية الحركة⁽³⁾، إنما حركتها تابعة لدوران الأرض حول الشمس وهذه الحركة أو هذا السبح للأرض في الفضاء حول الشمس بهذه السرعة، علاوة على سرعة دورانها حول نفسها، فلم يحس الإنسان في يوم ما وهو على ظهر الأرض بدورانها حول الشمس؟ ولم يصبه الدوار جراء هذا الدوران الذي يتكرر مرة كل سنة من العمر؟ وبالتالي لم يعرف السر في دوران الأرض حول الشمس كما عرفه علماء الطبيعة والفلك، حيث تدور جميع الكواكب بما فيها الأرض حول الشمس⁽⁴⁾. والله أعلم بذلك.

ويقول العلم: إن الأرض تجري في مدارها بحيث يكون محورها مائلاً بزاوية قدرها $23\frac{1}{2}$ تقريباً على محورها، على مستوى فلكها حول الشمس، سواء كانت الأرض مقبلة نحو الشمس أم مدبرة عنها، وينتج عن هذا الميل أن الشمس تشرق وتغرب في أي مكان على الأرض في مواقع مختلفة أثناء العام، ومحور الأرض يميل نحو الشمس في صيف نصف الكرة الشمالي، أم في الشتاء فيميل بعيداً عنها، ولولا ميل المحور لاختفت الفصول وتساوى طول الليل والنهار في جميع بقاع الأرض⁽⁵⁾. والله أعلم.

(1) سورة النمل آية 88.

(2) انظر: الله والعلم الحديث: عبدالله الرزاق نوفل، (152)؛ والإعجاز العلمي في الإسلام: محمد كامل عبدالصمد، (80)؛ ومن علم الفلك: عدنان الشريف، (112). بتصريف.

(3) انظر: معجزة القرآن: الشعراوي، (96/1-97)؛ وجوه من الإعجاز القرآني: مصطفى الدباغ، (85-86). بتصريف.

(4) انظر: الكون والإعجاز العلمي: منصور النبي، (167)؛ والمعجزات القرآنية: هارون يحيى، (34-35).

(5) من علم الفلك: عدنان الشريف، (105-106).

ثالثاً: رب المشرقين والمغربين .

قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾⁽¹⁾.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾⁽²⁾.

﴿فَآأَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾⁽³⁾.

وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآيات الكريمة:

الآية الأولى: أي أنه رب كل متجه... رب المشرق والمغرب، وهو الواحد الأحد لا إله إلا هو، والاتكال على الله وحده هو الثمرة المباشرة للاعتقاد بوحدانيته وهيمنته على المشرق والمغرب، أي على الكون كله.

والآية الثانية: إن المقصود بها شروق الشمس وشروق القمر وغربهما كذلك، وذلك بمناسبة ذكر الشمس والقمر، فيما تقدم من آلاء الله في سورة الرحمن. وقد يكون المقصود كذلك مشرقي الشمس المختلفي الموضع صيفاً وشتاءً، ومغربيها كذلك. والمشرقان والمغربان فوق أحدهما من آيات الله، هما من آلاء الله على الجن والإنس بما يتحقق فيهما من الخير لسكان هذه الأرض جميعاً⁽⁴⁾.

وقالوا في الآية الثالثة: إن ذلك قد يعني مشارق النجوم الكثيرة والمغرب المتوالية على بقاع الأرض، وهي تتوالى في كل لحظة على مواقع مختلفة من سطح الأرض عند دورانها المحوري، ففي كل لحظة، مع دوران الأرض حول نفسها أمام الشمس، يطلع مشرق ويختفي مغرب.

وقد قيل: إن الآيات التي ذكرت المشرق والمغرب بلفظ المفرد يراد به النوع كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾⁽⁵⁾.

والآيات التي ذكرت ذلك بلفظ التنبيه يراد بها الإشارة إلى القارة الموجودة على السطح الآخر من الأرض.

(1) سورة المزمل آية 9.

(2) سورة الرحمن آية 17.

(3) سورة المعارج آية 40.

(4) انظر: جامع الأحكام: للقرطبي، (161/17)، (295/18)، (45/19): وفي ظلال القرآن: سيد قطب،

(3746/6)، (3452/6)، (3702/6)؛ وتفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (5558/17).

(5) سورة البقرة آية 115.

والآيات التي ذكرت ذلك بلفظ الجمع يراد بها المشارق والمغارب باعتبار أجزاء الكرة الأرضية⁽¹⁾.

أما الشيخ الشعراوي، فيفسر هذه الآيات في قوله إن مفهوم المشرق هو جهة شروق الشمس، ومفهوم المغرب هو جهة غروبها، وليس هناك تعارض بين العقل والآية في ذلك. وقال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾، ولم يقل رب المشرق ورب المغرب؛ وذلك لأن الشروق والغروب يتمان في وقت واحد. أي أن الشمس تشرق على بلد في الوقت نفسه الذي تغرب فيه عن بلد آخر مع دوران الأرض حول نفسها، وهذا يؤكد كروية الأرض. وقوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾، معناه أنها تجمع بين عمومية الجهة وهي المشرق، وبين الموقع المحدد بالذات لشروق الشمس من جهة المشرق.

وقوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾؛ ذلك لأن كل بلد له مشرق وله مغرب، ولا يوجد مشرق واحد ومغرب واحد لأية دولة في العالم - وبخاصة الكبيرة المساحة - وإنما هي مشارق ومغارب. فزاوية الشروق تتغير من موقع لآخر، وكذلك زاوية الغروب، ولكن الحس لا يدرك ذلك، بل إنه إذا نظرنا إلى الكرة الأرضية نجد أنه في كل جزء من الثانية مشرق تشرق الشمس فيه على مدينة أخرى، أي إن هناك (365) مشرق ومغرب لكل بقاع الأرض⁽²⁾.

خلاصة القول:

الآيات غير متعارضة وإنما متفقة مع بعضها في المعاني حيث إن الأول يعني المطلع الواحد وهو جهة المشرق، أو جهة المغرب. المشرقين والمغربيين: باعتبار أول مطلع لها في جهة المشرق شتاءً وأول مغربها في جهة الغرب شتاءً، والمشرق الثاني آخر مشرقها في الصيف، وآخر مغربها في فصل الصيف، فكان لها مشرقان ومغربان.

(1) انظر: البيان في تفسير القرآن: أبو القاسم الموسوي الخوئي، (75)، دار الزهراء، ط4 1395هـ-1975م. بالتصرف.

(2) معجزة القرآن: محمد متولي الشعراوي، (23-25). بتصرف.

المطلب الرابع وسعها وزينتها

أولاً: **وسعها وزينتها.**

قد نبه القرآن المؤمنين إلى أن الأرض واسعة، وأن خيراتها وثرواتها كثيرة، وأن كل ما فيها مسخر لمصلحة الإنسان، فقد قال تعالى: ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾⁽¹⁾ ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾⁽²⁾؛ وقال: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾⁽³⁾.

فيها قولان؛ أحدهما: أرض الجنة رغبتهم في سعتها... الثاني: هي أرض الهجرة... ويحتمل ثالثاً: أن يريد بسعة الأرض سعة الرزق؛ لأنه يرزقهم من الأرض، فيكون معناه: ورزق الله واسع، وهو أشبه لأنه أخرج سعتها مخرج الامتتان بها⁽⁴⁾.

تري الباحثة ممكن أن تجمع الآراء جميعها وتكون صواباً، محتمل أن تكون أرض الجنة فيرغب الله عباده الصالحين بهذه الجنة جزاء طاعتهم لله ولرسوله.

وأيضاً أن تكون الاحتمال الثاني وهي أرض الهجرة، وهي دعوة إلى من لا يستطيع أن يحافظ على دينه في بلاد الكفر، أن يهاجر إلى بلاد يستطيع أن يحافظ فيها على دينه، وأيضاً العمل على نشره، وهذا يدل على أن أرض الله واسعة. ومحتمل أن تكون الثالثة: لأن الخيرات والثروات الطبيعية في الأرض هي مصادر الرزق للإنسان، وبذلك فإن الرزق يكون كثيراً والدليل على ذلك قول الله ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعًا كَثِيرًا وَسِعَةً﴾⁽⁵⁾.

ومع سعة هذه الأرض إلا أن الله زينها، ولقد نبه القرآن إلى زينة الأرض وجمالها، فقد قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾⁽⁶⁾.

قال ابن قتيبة: زينتها بالنبات، وأصل الزخرف: الذهب، ثم يقال للنقش والنور والزهر وكل شيء زين: زخرف، وقال الزجاج: الزخرف كمال حسن الشيء... وازَّيَّنَتْ: جاءت بالزينة⁽⁷⁾.

(1) سورة النساء آية 97.

(2) سورة العنكبوت آية 56.

(3) سورة الزخرف آية 10.

(4) النكت والعيون: الماوردي، (291/4).

(5) سورة النساء آية 100.

(6) سورة يونس آية 24.

(7) انظر: زاد المسير: لابن الجوزي، (325-324/2).

وأيضاً قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾⁽¹⁾.

الزينة: كل ما على وجه الأرض، فهو عموم، لأنه دال على باريته، وقال ابن جبير عن ابن عباس: أراد بالزينة الرجال... وعن ابن عباس أن الزينة الخلفاء والأمراء... وعنه قال: العلماء زينة الأرض.

وقالت فرقة: أراد النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه، ونحو هذا مما فيه زينة، ولم يدخل فيه الجبال الصم وكل ما لا زينة فيه كالحيات والعقارب. والقول بالعموم أولى، وإن كل ما على الأرض فيه زينة من جهة خلقه وصنعه وإحكامه⁽²⁾.

تري الباحثة أن الزينة: القول بالعموم؛ لأن ذلك بيان لصنع الله البديع الذي يكون فيه هدوء وارتياح للنفس والعقل، وذلك من خلال أن يتأمل هذا الإنسان وينظر إلى الأرض وما تحتوي من زينة، وهذا يشمل البحار، والأنهار والعيون والأمطار، وكذا الجبال والهضاب، والسهول وكذا الأشجار والنباتات والزرورع والثمار، وكذا الأحياء من الإنس والطير والحيوان، وغير ذلك.

ثانياً: طبقات الأرض.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾⁽³⁾.

إن نص الآية لا يدل دلالة قطعية على أن الأرض سبع، وإن كان هو الرأي الغالب. فكتب التفسير لا خلاف بينها أن الأرض سبع كالسماوات، وإن كان نص الآية يمكن أن يفهم بمعنى آخر، وهو أن يكون المقصود منه أن الأرض مثل السماوات أي من جنسها وتركيبها وخصائصها⁽⁴⁾.

بالنسبة لتفسير كلمة ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ فتدل على كمال قدرة الله، وأنه يقدر على البعث والمحاسبة، ويعني أن الأرض سبع مثل السماوات، وقد اختلف فيها على قولين أحدهما -وهو قول الجمهور - أنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والسماء، وفي كل أرض سكان من خلق الله⁽⁵⁾.

(1) سورة الكهف آية 7.

(2) انظر: أحكام القرآن: القرطبي، (354/10).

(3) سورة الطلاق آية 12.

(4) انظر: تفسير الكبير: الرازي، (39/30-40)؛ وجامع الأحكام: القرطبي، (174/18)؛ وفي ظلال القرآن: سيد قطب، (3606/6)؛ تفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/14ج/28-5929-5930). بتصرف.

(5) انظر: جامع الأحكام: القرطبي، (174/18).

ثانيتها: من كونها سبعة أقاليم، على حسب سبع سموات، وسبع كواكب فيها وهي السيارة فإن لكل واحدة من هذه الكواكب خواص، تظهر آثار تلك الخواص في كل إقليم من أقاليم الأرض فتصير سبعة بهذا الاعتبار⁽¹⁾.

تري الباحثة أن هناك حكمة إلهية لا نعرفها نحن البشر حتى الآن، وقد نعرفها في المستقبل، ما سبب ذكر السموات جمعاً وسبعاً في القرآن، بينما لفظ الأرض مفرد إلا في هذه الآية.

وقد ذهب ابن كثير⁽²⁾ إلى أن الأرض سبع حيث قال: «وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» أي: سبعاً أيضاً، كما ثبت في الصحيحين "من ظلم قيد شبر من الأرض طوفه من سبع أرضين يوم القيامة"⁽³⁾.

وفي صحيح البخاري: "خسف به إلى سبع أرضين"⁽⁴⁾.

وقال صاحب الضلال: " أن والسموات السبع لا علم لنا بحقيقة مدلولها وأبعادها وكذلك الأراضي السبع، فقد تكون أرضنا هذه التي نعرفها، واحدة منهن والباقيات في علم الله، وقد يكون معنى «مِثْلَهُنَّ» أن هذه الأرض من جنس السموات فهي مثلهن في تركيبها أو خصائصها، وعلى أية حال فلا ضرورة لمحاولة تطبيق هذه النصوص على ما يصل إليه علمنا، لأن علمنا لا يحيط بالكون حتى نقول على وجه التحقيق، هذا ما يريده القرآن، ولن يصح أن نقول هكذا إلا يوم يعلم الإنسان تركيب الكون علماً يقيناً، وهيئات..."⁽⁵⁾.

ويقول العلم: إن علماء الفضاء اكتشفوا، في النصف الثاني من القرن العشرين، أن الغلاف الجوي مؤلف من سبع طبقات، أي سموات، أما بالنسبة لعدد طبقات الأرض فمختلف فيها، لأن النفاذ في طبقات الأرض محدود جداً ومن الصعوبة بمكان، وتنقسم الأرض إلى ثلاثة أقسام رئيسية يحوي كل قسم منها عدة طبقات:

1- القشرة الأرضية. 2- المعطف. 3- النواة⁽⁶⁾.

والله أعلم.

(1) انظر: تفسير الكبير: الرازي، (39/30-40).

(2) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (44/14).

(3) خ: (46) ك المظالم، (13) ب إثم من ظلم شيئاً من الأرض، (ح2453)، (ص462)، م: ك المساقاة، (30) باب تحريم الظلم وغصب الأرض، (ح1612)، (ص841).

(4) خ: (59) ك بدء الخلق، (2) ب ما جاء في سبع أرضين (ح3196)، (614).

(5) في ظلال القرآن: سيد قطب، (3606/6).

(6) انظر: من علوم الأرض: عدنان الشريف، (21-22). بتصرف.

المبحث الثاني

تسخير الأرض للإنسان

ويشمل ثلاثة مطالب، وتمثل عوامل الحياة على الأرض، وهي:

المطلب الأول: الهواء

المطلب الثاني: الماء

المطلب الثالث: الغذاء

المطلب الأول

الهواء

إذا كان الماء هو السبب في وجود الأحياء جميعها، الحيوانية والنباتية، فإن الهواء بمثابة الروح لها، وإذا كان الإنسان لا يستطيع الصبر بدون ماء ثلاثة أيام فإنه لا يستطيع البقاء بدون هواء لدقيقة واحدة، لذلك يقول العلم: إن الأرض تحاط بغلاف جوي وهو عبارة عن: "مزيج من الغازات يتكون من حوالي 78% من النتروجين، و21% من الأكسجين أما الباقي فيتألف -أساساً- من الأرجون، وثاني أكسيد الكربون، وكذلك يحوي الهواء بخار الماء ولو أن كميته متفاوتة، ويتألف الغلاف الجوي من عدة طبقات غازية ترتب نفسها رأسياً حسب اختلاف كثافتها وهي: التروبوسفير، التروبوبوز، الاستراتوسفير، الميزوسفير، الميزوبوز، الثوموسفير⁽¹⁾، والله أعلم.

ولكن هنا يطرح سؤال: هل الهواء والرياح شيء واحد؟ أو كائنان مختلفان؟

إن آراء المفسرين اختلفت في هذا القول، فمنهم من ذهب إلى أن الهواء والرياح شيء واحد حيث قالوا: إن الريح جسم لطيف لا يمكس ولا يرى وهي - مع ذلك - في غاية القوة، تنقل الشجر والصخر، وتخرب البنيان العظيم، وهي مع ذلك حياة الوجود، فلو أمسكت طرفة عين لمات كل ذي روح، وأنتن ما على وجه الأرض، ولا تتم منافعه إلا بحركته التي يكون بها ريحاً⁽²⁾.

ومنهم من ذهب إلى أن الريح غير الهواء، حيث قال أحدهم: البذرة تحتاج إلى أرض رخوة يتغلغل فيها الهواء، ثم الهواء لا يتحرك إليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحركه، وتضر به بقهر وعنف على الأرض حتى ينفذ فيها، وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَافِحَ﴾⁽³⁾ وإنما إلقاحها في إيقاع الازدواج بين الهواء والماء والأرض⁽⁴⁾.

(1) انظر: مظاهر كونية: محمد محمود عبدالله، (140)، دار مكتبة الحياة، ط1، 1996م؛ الإعجاز العلمي: أبو العنين، (183/2-196)؛ كوكب الأرض: مايكل آبي - نيل كرتس، (21/2) دار العلم للملايين، ط1، 2002م، الظواهر الجغرافية: فوزي الشربيني، (79). بتصرف.

(2) انظر: تفسير الكبير: فخر الرازي، (139/14)؛ لباب التأويل في معاني التنزيل: للبدادي، (243-242/2)، ط2، 1375هـ-1955م.

(3) سورة الحجر آية 22.

(4) إحياء علوم الدين: الغزالي، (146/4).

أولاً: أنواع الرياح الأرضية.

إن القرآن حدد استعماله لألفاظ عناصر الطبيعة تحديداً دقيقاً لا نجده مع غيره. ففرقت آياته بين الرياح الطيبة، والرياح العاصفة العاتية، وإن الرياح جمع ريح، وجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة، ومفردة مع العذاب إلا في سورة واحدة: «وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ»⁽¹⁾، وعلى كل فهذا هي أنواع الرياح الأرضية، كما هي مذكورة في الآيات القرآنية، أوردها لأولي الألباب تذكرة وعظة رجاء تأهبهم ليوم المآب.

مما يجدر ذكره أن هذه الرياح واحدة ولكن لها وظائف متنوعة:

- 1- الذاريات: وهي التي تذرو التراب، والماء ذرواً، أي تثيره وتحركه ليتناثر منهما الغبار والرداذ، ثم تقلهما روح أخرى⁽²⁾. قال تعالى: «وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا»⁽³⁾، «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا»⁽⁴⁾.
- 2- الحاملات: وهي التي تحمل السحب الثقيلة، وترتفع بها إلى الفضاء⁽⁵⁾. قال تعالى: «فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا»⁽⁶⁾.
- 3- الجاريات: هي التي تحمل السحب الثقيلة؛ وتسير بها في الفضاء برفق ولين بعد رفعها بالرياح الحاملات⁽⁷⁾، قال تعالى: «فَالجَارِيَاتِ يُسرًا»⁽⁸⁾.
- 4- المقسمات: وهي التي تُقسم الأمطار على الأقطار بدون زيادة أو نقصان⁽⁹⁾، قال تعالى: «فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا»⁽¹⁰⁾.
- 5- المرسلات: وهي التي يرسلها الله تعالى متتابعات كعرف الفرس، يتلو بعضه بعضاً⁽¹¹⁾، قال تعالى: «وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا»⁽¹²⁾.

(1) سورة يونس آية 22.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (207/13)؛ ومعالم التنزيل: البغوي، (138/5).

(3) سورة الذاريات آية 1.

(4) سورة الروم آية 48.

(5) انظر: مدارك التنزيل: النسفي، (266/4)؛ وتفسير القرآن: عبدالله شحاتة (م/13ج/26/5366).

(6) سورة الذاريات آية 2.

(7) تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (8/27)؛ مدارك التنزيل: النسفي، (266/4).

(8) سورة الذاريات آية 3.

(9) تفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/13ج/26/5366)؛ تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (8/27).

(10) سورة الذاريات آية 4.

(11) جامع البيان: لابن جرير الطبري، (378/12)؛ تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (314/29).

(12) سورة المرسلات آية 1.

6- العاصفات: وهي الرياح شديدة الهبوب وقوية العصف⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾⁽²⁾.

7- الناشرات: وهي التي تنتشر المطر فوق المزروعات والأراضي القاحلة، وتعين الزرع والشجر على الإنبات⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾⁽⁴⁾.

8- الفارقات: وهي التي تفرق السحاب وتبدده في الفضاء⁽⁵⁾، قال تعالى: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا﴾⁽⁶⁾.

9- الملقيات: أي التي تذكر الناس بالله تعالى، وتدعوهم إلى اللجوء إليه⁽⁷⁾، قال تعالى: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿۞﴾ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا﴾⁽⁸⁾.

10- المبشرات: وهي التي ينشرها الله تعالى بعد انطوائها لتبشر بنزول المطر، وهي التي تهب بلين ورطوبة قبل نزوله⁽⁹⁾، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾⁽¹⁰⁾.

11- اللواقح: أي التي تلقح السحاب ليمتلئ بالماء، كما تلقح الزروع والأشجار لتعطي الحبوب والثمار⁽¹¹⁾. قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾⁽¹²⁾.

12- الصرصر: وهي ذات القوة العظيمة، تحدث صوتاً كالصفير، وهي التي أهلك الله بها الأمم، ومنها قوم عاد⁽¹³⁾. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾⁽¹⁴⁾.

(1) مدارك التنزيل: النسفي، (471/4)؛ تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (315-314/29).

(2) سورة المرسلات آية 2.

(3) تفسير الواضح: محمد محمود حجازي، (147/3)؛ أيسر التفاسير: لابن الجزائري، (1434).

(4) سورة المرسلات آية 3.

(5) أيسر التفاسير: لابن الجزائري، (1434)؛ تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (315-29).

(6) سورة المرسلات آية 4.

(7) مدارك التنزيل: النسفي، (471/4)؛ وتفسير الواضح: محمد حجازي، (147/3).

(8) سورة المرسلات آية 5-6.

(9) مدارك التنزيل: النسفي، (248/3)؛ غرائب التفسير: النيسابوري، (2516/3).

(10) سورة الفرقان آية 48.

(11) معالم التنزيل: البغوي، (233/3)؛ غرائب القرآن: النيسابوري، (1948/3).

(12) سورة الحجر آية 22.

(13) محرر الوجيز: لابن عطية، (61/15).

(14) سورة الحاقة آية 6.

13- حاصباً: وهي التي تقوم بعملية الرجم بالحصباء⁽¹⁾. قال تعالى: ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾⁽²⁾.

14- القاصف: وهي التي تكسر السفن، وتخرب الديار، وتفعل الأعاجيب⁽³⁾. قال تعالى: ﴿تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾⁽⁴⁾.

15- ريح الصبا: كانت في ليلة شديدة البرودة، والظلمة، وأرسلها الله على الأحزاب في غزوة الخندق⁽⁵⁾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا...﴾⁽⁶⁾.

وقد روى البخاري ومسلم، وأحمد عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله قال: "نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور"⁽⁷⁾.

16- المعصرات: وهي التي تعصر السحاب عصراً، وذلك من يعصر ثوبه بيده⁽⁸⁾، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾⁽⁹⁾.

وبعد: فهذه هي الرياح الأرضية المذكورة في الآيات القرآنية، وهي من أسمى آيات الإعجاز الدالة على وجود الله، بل إن الإنسان لتصبيه الخشية من الله تعالى، عندما يفكر في نصر الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بريح الصبا، وإهلاك قوم عاد بالدبور، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. هداني الله وإياكم إليه.

(1) معالم التنزيل: البغوي، (297/3)؛ غرائب القرآن: النيسابوري، (2089/3).

(2) سورة الإسراء آية 68.

(3) تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (124/15)؛ غرائب القرآن: النيسابوري، (2089/3).

(4) سورة الإسراء آية 69.

(5) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (398/5).

(6) سورة الأحزاب آية 9.

(7) خ (59) ك بدء الخلق، (5) ب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ الأعراف آية 57، (ح3205) ص (616)؛ م: ك الاستسقاء، (4) ب في ريح الصبا والدبور، (ح900) ص (426) مسند أحمد موسوعة الحديث: شعيب الأرنؤوط، (2013)، (461/3) إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(8) أيسر التفاسير: لابن الجزائري، (1438)؛ محرر الوجيز: لابن عطية، (280/15).

(9) سورة النبأ آية 14.

ثانياً: تصريف الرياح.

قال تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁽¹⁾.

اختلف المفسرون⁽²⁾ في تفسير ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ﴾ فقد قيل إن تصريفها: إرسالها عقيماً، وملقحة وصرأً، ونصرأً وهلاكاً، وحارة وباردة ولينة وعاصفة. وقال بعضهم: إن تصريفها إرسالها جنوباً وشمالاً، ودبوراً وصبأً ونكباءً، وهي التي تأتي بين مهبي ريحين.

وبعضهم قال: أن تأتي السفن الكبار بقدر ما تحملها، والصغار كذلك، ويصرف عنهما ما يضرّ بهما، ولا اعتبار بكبر القلاع ولا صغرهما، فإن الريح لو جاءت جسداً واحداً لصدمت القلاع وأغرقت.

تري الباحثة أن معنى تصريف الرياح هو تحريكها وتوجيهها، وتوظيفها وهذا ملخص ما توصل إليه المفسرون.

ومن ناحية علمية فإن المقصود بتصريف الرياح تحريكها وتوجيهها بواسطة حرارة الشمس ودوران الأرض حول نفسها حتى تقوم بمهمتها من حمل السحب وتلقيحها، أي ومدّها بنويات التكاثف "كأملاح البحر والأكاسيد والأتربة"، التي تتجمع عليها قطرات بخار الماء النامية داخل السحب، وكذلك قيام الرياح بتوزيع الحرارة، وغير ذلك من حكمة الله في هذا التسخير⁽³⁾، والله أعلم بذلك.

ولكي نتعظ بالرياح وأسرارها، ونزداد إيماناً بالله العظيم، موجدّها ومصرفها، لا بد لنا من الوقوف على الحقائق التالية:

1- من آيات الله هنا وأسراره العجيبة، عندما يكون اليوم حاراً يصبح شاطئ البحر ساخنًا، وبسبب سخونته يرتفع الهواء من فوقه، وحينما يرتفع يحل مكانه مباشرة الهواء الأبرد فالأبرد، القادم من فوق البحر...، وإن السر في ذلك هو تطف الجوّ بالقدر الذي تستقيم فيه الحياة جميعها، وهل هذا التصرف يكون بمجرد المصادفة العمياء؟.

(1) سورة البقرة آية 164.

(2) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (140/2)؛ والكشاف: الزمخشري، (209/1)؛ وروح المعاني: الأوسى، (49/2)؛ ومدارك التنزيل: النسفي، (142/1)؛ والمحرر الوجيز: لابن عطية، (51/2)؛ معالم التنزيل: البغوي، (118/1).

(3) انظر: الكون والإعجاز العلمي: منصور حسب النبي، (190).

2- يرتفع الهواء الساخن باستمرار، الذي هو قرب خط الاستواء، ويتجه نحو القطبين معاً، تاركاً وراءه ثغرة كبيرة... تملأ باستمرار الهواء البارد الهابط إلى منطقة خط الاستواء ليلطف الجو هنالك!!!.

3- تهب الرياح الشرقية من المناطق المدارية الشمالية، وهي ما أسموها بالرياح التجارية.

4- إن الرياح الغربية لا تشترك مع الرياح التجارية أبداً، وإنما وظيفتها توليد الدوامات الهوائية.

5- إن تحويل الرياح من البر إلى البحر ومن خط الاستواء إلى القطب الجنوبي⁽¹⁾... الخ، وهذا كله لا يكون بالمصادفة العمياء.

والله أعلم بذلك

ثالثاً: الرياح لواقح السحاب.

قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾⁽²⁾.

اختلف المفسرون في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحٍ﴾، فيقول الأخفش: جعلها على لاقح كأن الرياح لقحت لأن فيها خيراً فقد لقحت بخير⁽³⁾.

ويقول البعض الآخر: الرياح تلقح السحاب فقد يدل على ذلك المعنى لأنها إذا أنشأته وفيها خير وصل ذلك إليه⁽⁴⁾.

ويقول غيرهم: إن الرياح لواقح للنباتات المختلفة التي يتم تلقيحها بانتقال حبوب اللقاح فيما بينها مع حركة الرياح⁽⁵⁾.

تري الباحثة أن المقصود من الرياح لواقح هو أن الرياح تلقح السحاب لأن هذه الآية بعيدة عن فكرة تلقيح الرياح للنبات التي نادى إليها البعض، إذ لم يرد في هذه الآية ذكر للنبات أو الأرض، أو ما يدل على قصر هذه الآية على تلقيح النباتات، وإنما ذكرت أن الرياح إنما هي لواقح للسحب التي يتم بها نزول الماء من السماء...

(1) انظر: سبعون برهاناً: عليوي، (222-225). بتصرف.

(2) سورة الحجر آية 22.

(3) معاني القرآن: أبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري المعروف بالأخفش، (234).

(4) في ظلال القرآن: سيد قطب، (4/2134)؛ وتفسير القرآن: عبد الله شحاتة، (م/7ج/14ص/2573).

(5) تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، (12/7676)، أخبار اليوم قطاع الثقافة.

وبعد: في هذه الآية إشارة إلى أن المرحلة الأولى من تكون الأمطار هي الرياح، وحتى بداية القرن العشرين لم تعرف أي علاقة بين الرياح والأمطار سوى كون الرياح تجلب الغيوم، ولكن اكتشافات علم الأرصاد الحديث أثبتت دور الرياح الإنتاجي في عملية تكون الأمطار.

الوظيفة الإنتاجية للرياح تعمل كما يلي:

على سطح البحار والمحيطات هناك أعداد لا حصر لها من فقاعات الهواء الناتجة عن زيد المياه. وفي اللحظة التي تنفجر فيها هذه الفقاعات آلاف من الجزئيات الدقيقة التي لا يتعدى قطرها الواحد في مئات المليمترات، تقذف في الهواء هذه الجزئيات التي تعرف باسم الهباء الجوي، تختلط بالغبار المحمول من الأرض عبر الرياح وترتفع إلى الطبقات العليا من الغلاف الجوي، تحمل الرياح هذه الجزئيات إلى ارتفاعات أعلى حتى تلتحم مع بخار الماء هناك تتجمع هذه القطرات أولاً مع بعضها على شكل غيم ثم تهطل على الأرض على شكل أمطار.

وكما يرى فإن الريح تلتفح بخار الماء الذي يطفو في الهواء بالجزئيات التي تحملها من البحر، وفي النهاية تساعد في تكوين السحب الماطرة، ولو أن الرياح لم تكن تمتلك هذه الخاصية لكان من غير الممكن أن تتكون قطرات المياه في الطبقات العليا من الغلاف الجوي ولا ننفي وجود المطر⁽¹⁾.

وهناك معنى آخر في الآية هو أن الرياح تلتفح بين السحب المكهربة بالسالب والسحب المكهربة بالإيجاب، فينتج عن ذلك البرق والرعد والمطر، وأن المطر عندما يسقط على الأرض يخصبها ويحيي موتها، وهذا هو التلقيح بأوسع معانيه في الطبيعة، ولقد وردت آيات كثيرة، تشير إلى تلازم السحب والمطر، والرياح بما يؤكد هذا التفسير، منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ...﴾⁽²⁾⁽³⁾.

والنقطة المهمة -هنا- أن هذا الدور الدقيق والحاسم للرياح، في تكون الأمطار، قد ذكر في آية من آيات القرآن الكريم منذ قرون عدة، في زمن كان الناس يعلمون فيه القليل القليل عن الظواهر الطبيعية.

(1) انظر: المعجزات القرآنية: هارون يحيى، (46)؛ الإعجاز العلمي: د. عبدالسلام اللوح، (180)، نقلاً عن عقيدة المسلم وما يتصل بها: عبدالحميد السائح، (271).

(2) سورة الأعراف آية 57؛ سورة الروم آية 48؛ سورة فاطر آية 9؛ سورة فرقان آية 48؛ سورة الروم آية 46.

(3) انظر: عن الإعجاز العلمي: حسن أبو العينين، (208/2-209)؛ والقرآن وإعجازه العلمي: محمد إسماعيل إبراهيم، (133)؛ وظواهر الجغرافية: فوزي الشربيني، (83). بتصرف.

رابعاً: تلازم السحب والمطر والرياح.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾⁽²⁾. وغير ذلك⁽³⁾.

هذه الآيات الشريفة تبين: أن الرياح تفلُّ السحب التي تحمل المطر⁽⁴⁾. ويقرر العلم الحديث مدى تلازم السحب والمطر والرياح، كما أشار إليه القرآن الكريم. ولقد كان الرأي المعروف والمشهور أن مياه المطر إنما تأتي مباشرة من السماء، ولم يكن يخطر ببال أحد أن الرياح هي التي تثير السحاب، الذي يحمل المطر، حيث أثبت علم الأرصاد الجوية أخيراً في عصر النهضة العلمية أن الأصل في إثارة السحب ونزول المطر، هو إرسال الرياح لتتجمع في مكان معين، بل إن تقسيماً علمياً أجري لأنواع السحب والأمطار، عمل بحيث تطابق وتمائل أوصافها طبيعة انسياب الرياح التي تثيرها، فكانت السحب الركامية التي تصاحب التيارات الهوائية الرأسية.

والسحب الطبقيّة التي تصاحب انسياب طبقة من الهواء بأكملها في اتجاه صاعد، ومن الأولى تنزل الزخات، ومن الثانية يهطل المطر. ولقد آمن العلماء بأنه عندما تتوافر أبخرة المياه في الرياح، فإن السحاب يطر طبيعياً، ولا تكون هناك حاجة إلى المطر الصناعي.

أما إذا كانت الرياح عقيماً فلا سبيل إلى إنجاز المطر الصناعي، وسبحان الذي قال: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٦﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾⁽⁵⁾.

ومن الحقائق العلمية أن الرياح لا تغذي السحب ببخار الماء فحسب، بل إنها تمدّها وتلقحها كذلك بجسيمات صغيرة مجهريّة من مساحيق تمتصّها مثل مسحوق ملح الطعام الذي يتطاير مع الرياح من البحار والمحيطات، وإن هذه الجسيمات هي نوى التكاثف وهي المراد من

(1) سورة الأعراف آية 57.

(2) سورة الروم آية 46.

(3) سورة الروم آية 48؛ سورة فاطر آية 9؛ سورة الفرقان آية 48-49.

(4) الأساس في التفسير: سعيد حوى، (3791/7-3792)؛ تفسير الواضح: محمد حجازي، (78/17)؛ تفسير القرآن: عبدالله شحاتة (3630/9). بتصرف.

(5) سورة الواقعة آية 68-69.

كلمة لواقح التي جاءت في القرآن الكريم في قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾⁽¹⁾⁽²⁾.

فما أروع القرآن في إعجازه العلمي في الطبيعة الجوية!!

خامساً: البرد وعواصف البرق والرعد.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْزِقُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾⁽³⁾.

يبين القرآن، من خلال هذه الآية، معجزة علمية، هي أن البرد هو المسؤول عن تلك الشحنات الكهربائية التي تسبب عواصف البرق والرعد، التي كانت في أهم ميادين البحث والتفتيح خلال عشرات السنين، وظهر في هذا السبيل العديد من النظريات، حتى انتهى العلماء إلى تلك الحقيقة التي قررها الحكيم الخبير في كتابه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، ويقف الإعجاز العلمي للآية السابقة عند هذا الحد، بل نجدها تربط بين البرد والبرق⁽⁴⁾.

وعندما يقوى الهواء على عزل الشحنة السالبة العليا، عن الشحنة الموجبة في أسفل يحدث التفريغ الكهربائي على هيئة برق، وينجم عن التسخين الشديد المفاجئ، الذي يحدثه البرق في منطقة انبعائه، أن يتمدد الهواء فجأة ويتمزق محدثاً الرعد...

وما جلجلة الرعد إلا عملية طبيعية؛ بسبب سلسلة الانعكاسات التي تحدث من قواعد السحب، لصوت الرعد الأصلي، وقد يحدث في بعض العواصف أن يتكرر حدوث البرق داخل السحابة أربعين مرة في الدقيقة الواحدة، أما إذا حدث التفريغ الكهربائي بين السحابة وأي جسم مرتفع عن سطح الأرض فإنه يسمى صاعقة.

وعندما صُور بالرادار وُجد أن السحابة الركامية الواحدة تبدأ بأجزاء صغيرة تظهر في السماء، ثم تتحد كل خليتين أو أكثر مع بعضها البعض؛ لتكون الخلية الكبيرة التي سرعان ما تصبح كالجبل الشامخ، وينزل منها المطر، ومن روائع إعجاز القرآن في هذا الشأن تلك الآية التي نحن بصدددها.

(1) سورة الحجر آية 22.

(2) انظر الإعجاز العلمي: محمد عبدالصمد، (108-111)؛ معجزة القرآن: نعمت صدقي، (48) دار الاعتصام، ط2، 1398هـ-1978م؛ توحيد الخالق: الزندانى، (94/1).

(3) سورة النور آية 43.

(4) الإعجاز العلمي: محمد عبدالصمد، (111).

وقد دلت التجارب العلمية الحديثة، على أن المكونات الثلجية عندما تنمو أو تتصهر، تكتسب شحنات كهربائية، كما تشير الآية السابقة في إيجاز رائع، إلى ما يعانيه الطيار من أخطار في حالات عواصف الرعد، لاسيما في المناطق الحارة الرطبة، حيث تبلغ ومضات البرق في الدقيقة الواحدة أربعين ومضة أو شرارة هائلة، فيصيبه فقد البصر، ولا يقوى على الاستمرار في قيادة طائرته⁽¹⁾.

وبذلك لم يكن الرسول ﷺ يملك التلسكوب، ومحطات الأرصاد الجوية، لكنه الوحي الصادق من عند الله خالق الكون، ومدبره، فسبحان الله العظيم.

(1) الإعجاز العلمي: محمد عبدالصمد، (112).

المطلب الثاني

الماء

إن الماء مادة كل خلق حي فقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾⁽¹⁾ أي: أنه هو سبب الحياة على الأرض، لأنه لا حياة لنبات أو حيوان، أو إنسان بدون الماء.

والغلاف المائي لأكثر الأرض: (ممثلاً في كل ما يوجد على سطحها من ماء البحار والمحيطات، والأنهار، والبحيرات، وما يتخلل فجوات الأرض وشقوقها ومنخفضاتها) يغطي 71% من سطح كوكب الأرض، وأما السطح اليابس 29% فتكونت عليه القارات⁽²⁾.

أولاً : مصادر المياه:

للماء ثلاثة مصادر، هي: جوية، وسطحية، وجوفية، وكل مصدر منها يشمل أنواعاً، أو أشكالاً من الحياة، وتفصيل الحديث عن ذلك كما يلي:

أ- المصدر الجوي وأشكاله:

والمقصود به الماء الموجود في السماء على أشكال عديدة، ولقد ورد في القرآن بأسماء مختلفة.

1- ألفاظ تبين أنواع السحاب:

(أولها) السحاب:

وقد جاء وصف السحاب بأوصاف متنوعة ومتعددة كما يلي:

النوع الأول: السحاب المسخر: قال تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁽³⁾.

ولقد أطلق على السحاب هذا الاسم لانسحابه في الهواء⁽⁴⁾. ومعنى التسخير: أي السحاب المذل والمطوع⁽⁵⁾.

(1) سورة الأنبياء آية 30.

(2) العلوم في القرآن: د. محمد جميل الحبال، ومقداد مرعي الجوارى، (23-24)، دار النفائس، ط1 1418هـ-1998م؛ والمياه في القرآن منهاج لتفسير الإرشادات العلمية: أحمد عامر الديمي، (16)، دار النفائس، ط1 1423هـ-2002م؛ (الإسلام والنظر في آيات الله الكونية): محمد عبدالله الشرفاوي، (96-103) مجلة دعوة الحق، العدد (47)، السنة الخامسة. بتصرف.

(3) سورة البقرة آية 164.

(4) انظر: تفسير الكبير: الرازي، (202/4)؛ وجامع الأحكام: القرطبي، (200/2).

(5) انظر: التفسير الكبير: فخر الرازي، (202/4)، وبحر العلوم: للسمرقندي، (173/1).

ولقد سمي السحاب بالمسخر لوجوه:

الوجه الأول: قهر الله له على غير طبعه من النزول لتقلبه، وإبقائه في جو الهواء.

الوجه الثاني: إن زيادته عن قدر الحاجة، ونقصه فيه ضرر، والمصلحة تكمن في إرساله بالقدر المعلوم.

الوجه الثالث: إن السحاب دائم الحركة مع الرياح، وسوقه إلى البلد الذي أراد الله أن يسقيه إياه هو تسخير من الله⁽¹⁾.

الوجه الرابع: سخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله⁽²⁾.

وقد بينت السنة كيف سخر الله السحاب، وكيف ساقه إلى عباده الصالحين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان فتتحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة* فإذا شرجة** من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فنتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمساحته*** فقال له: يا عبدالله ما اسمك؟ قال فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له، يا عبدالله لم تسألني عن اسمي! فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق صديقه فلا لاسمك فما تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلثه وأكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثه"⁽³⁾.

النوع الثاني: السحاب المبسوط: قال تعالى: ﴿الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾⁽⁴⁾.

في هذه الآية يبين الله كيف يخلق السحاب الذي ينزل منه الماء، ويكون ذلك، إما من ماء البحر، أو مما يشاء الله عز وجل ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ﴾ أي يمدّه فيكثره وينميه ويجعل من القليل كثيراً ينشئ سحابة ترى في رأي العين مثل الترس، ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق، وتارة يأتي السحاب من نحو البحر ثقلاً مملوءة⁽⁵⁾.

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (140/2).

(2) تفسير الكشاف: الزمخشري، (209/1).

* حرة هي: هي الأرض ذات الحجارة السود، النهاية في غريب الحديث: لابن الأثير، (198).

** شرجة هي: حجارى الماء من الحر إلى السهل واحدها شرجة، المرجع نفسه، (471)

*** المساحة هي: هي المجرفة من الحديد، المرجع السابق نفسه، (869).

(3) م:ك الزهد والرقائق، (4) ب الصدقة في المساكين، (ح 2984)، (1546).

(4) سورة الروم آية 48.

(5) تفسير العظيم: لابن كثير، (37/11).

وبسط السحاب إما يكون متصلاً، أو متفرقاً، في جو السماء⁽¹⁾، وكيف يشاء الله القادر على كل شيء.

النوع الثالث: السحاب الثقال: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ﴾⁽²⁾.

﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ﴾ نشأ: نشأت السحابة: أنشأها الله، ورأيت نشأ من السحاب، وهو أول ما يبدو⁽³⁾، والسحاب اسم للجنس والواحدة سحابة، والثقال: جمع ثقيلة لأنك تقول: سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول: امرأة كريمة ونساء كرام، وهي الثقال بالماء⁽⁴⁾.

"ويخلقها منشأة جديدة وهي -لكثرة مائها- ثقيلة قريبة من الأرض، وقال مجاهد: السحاب الثقال الذي فيه الماء"⁽⁵⁾، "والأجزاء المائية من السحاب سواء قيل أنها حدثت في جو الهواء، أو تصاعد من أبخرة البخار، لا بد أن يكون حدوثها بإحداث حكيم قادر"⁽⁶⁾.

النوع الرابع: السحاب الركامي: قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾⁽⁷⁾. ويقول الله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾⁽⁸⁾.

ركم: "الراء والكاف والميم أصل واحد يدل على تجمع الشيء تقول ركمت الشيء: ألقيت بعضه على بعض وسحاب مرتكم وركام"⁽⁹⁾.

إن الله يبين في هذه الآية كيف يكون التدرج في تكوين السحاب، حتى يكون ركاماً. يذكر تعالى أنه يسوق السحاب بقدرته، أول ما ينشئها وهي ضعيفة وهو الإزجاء، ويجمع بينه بعد تفرقه، وفي ذلك دلالة على وجودها متقدماً، إذ التأليف لا يصح إلا بين موجودين⁽¹⁰⁾.

(1) الكشاف: الزمخشري، (469/3).

(2) سورة الرعد آية 12.

(3) أساس البلاغة: الزمخشري، (455).

(4) تفسر الكشاف: الزمخشري، (499/2).

(5) تفسير القرآن الكريم: ابن كثير، (120/8).

(6) تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (132/13).

(7) سورة الطور آية 44.

(8) سورة النور آية 43.

(9) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (430/2).

(10) انظر: وتفسير الكبير: فخر الرازي، (13/24)؛ وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (257/10)؛ وبحر

العلوم: للسمرقندي، (443/2)؛ وتفسير المنير: وهبة الزحيلي، (265/18).

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ ثم إنه سبحانه يجعله ركاماً، وذلك تركيب بعضها على بعض، وهذا مما لا بد منه؛ لأن السحاب إنما يحمل الكثير من الماء إذا كان بهذه الصفة، وكل ذلك من عجائب خلقه ودلالة ملكه واقتداره⁽¹⁾.

ويذكر الرازي أن معظم السحاب من البخار المتصاعد، ثم يتكاثف في طبقات الجو العليا، وقليل منه يحدث من تكاثف الهواء، فإن صادف برودة في الجو يتجمع حتى يتعاضم، فإذا كانت البرودة ضعيفة يتقاطر البخار، ويكون سحاباً متراكماً، يكون منه المطر، وأما إذا صادف برودة قوية تكون الثلج والبرد⁽²⁾.

ثانيها) المزن.

وهي تأتي بمعنى السحاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٦﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾⁽³⁾.

المزن: السحاب عامة، وقيل: ذو الماء، وقيل: المزنة السحابة البيضاء وواحدته مزنة. والجمع مزن، والبرد: حب المزن، هو مزن القرية يمزنها مزناً إذا ملاًها. وهو الأصل وما دونه فروع منه⁽⁴⁾.

"والمزن السحاب الثقيل بالماء..."⁽⁵⁾. وبذلك فإن الله خصها بالذكر تذكيراً لهم بالإنعام عليهم.

ثالثها) المعصرات.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾⁽⁶⁾.

المعصرات: مشتقة من عصر بمعنى الضغط على الشيء حتى يتحلب⁽⁷⁾، ويسيل سائله.

وسميت السحب بالمعصرات لأنه ينعصر ويتحلب منها ماء المطر⁽⁸⁾.

(1) تفسير الكبير: فخر الرازي، (13/24).

(2) المرجع نفسه، (13/24).

(3) سورة الواقعة آية 68-69.

(4) انظر: لسان العرب: لابن منظور، (500/13)؛ معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (318/5)؛ والصحاح: للجوهري، (2203/6).

(5) تفسير الكبير: فخر الرازي، (184-183/29).

(6) سورة النبا آية 14.

(7) لسان العرب: (665/54).

(8) أيسر التفاسير: لأبي بكر الجزائري، (1438)؛ وفي رحاب التفسير: عبد الحميد كشك، (7831/9).

(رابعها) الحاملات.

والسحاب سُمي بالحاملات، لأنها تكون مملوءة ومشبعة، وتحمل الماء في طبقاتها، فقد قال الله تعالى: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾⁽¹⁾.

وقر: الواو والقاف والراء: أحمل يدك على ثقل في الشيء. والوقر: الحمل. ويقال: نخلة موقرة أي ذات حمل كثيرة⁽²⁾.

﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ لأنها تحمل المطر. وقرأ أي: كثيراً ثقيلًا⁽³⁾.

ولقد سمي هذا السحاب بالحاملات في هذه الآية، لأن له علاقة بالرياح، وعندما أقسم الله بهذه الأشياء، أراد أن يلفت انتباه الإنسان للقدر الإلهية، التي جعلت هذه السحب تحمل في طبيعتها، هذا الثقل الرهيب، وتحمله الرياح، وذلك بأمر الله، ولذلك قال تعالى: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾، لما فيها من ثقل. فلم يقل فالحاملات ماء.

(خامسها) الغمام.

فقال تعالى: ﴿وَوَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾⁽⁴⁾؛ ﴿وَوَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾⁽⁵⁾.

جاءت هذه الآية لتذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم، وأجرى على يد موسى عليه السلام كثيراً من المعجزات، وكان من النعم التي أنعم الله بها عليهم، أن جعل السحاب يظلهم من حر الشمس الحارقة في صحراء سيناء فترة التيه.

﴿الْغَمَامَ﴾ مشتق من غيم وتدل على ستر شيء لشيء⁽⁶⁾، "ومنه الغمام لكونه ساتراً لضوء الشمس"⁽⁷⁾. والغيم والغمام هو السحاب وجمعه غيوم وغيام⁽⁸⁾.

لما ذكر الله ما رفعه عنهم من الشر، شرع يذكرهم بما أنعم عليهم من النعم فقال: ﴿وَوَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ وهو جمع غمامة "سمي بذلك لأنه يغم السماء". أي يوارئها ويسترها، وهو السحاب الأبيض الذي ظللوا به في التيه ليقبهم حر الشمس⁽⁹⁾.

(1) سورة الذاريات آية 2.

(2) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (132/6).

(3) انظر الكشاف: الزمخشري: (385/4).

(4) سورة البقرة آية 57.

(5) سورة الأعراف آية 160.

(6) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (406/4).

(7) مفردات ألفاظ القرآن: راغب الأصفهاني، (613).

(8) انظر: لسان العرب: لابن منظور، (522/12)؛ والصاحح: للجوهري، (1999/5)؛ والقاموس المحيط: مجد

الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (1031) دار الفكر 1415هـ-1995م.

(9) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (407/1)؛ وزاد المسير: لابن الجوزي، (67/1).

تري الباحثة أنه بعد أن عرفنا معنى الغمام، عرفنا لماذا اختير هذا اللفظ دون غيره، لأنه يفي بالغرض المذكور في الآية، وهو التظليل من الشمس.

(سادسها) العارض.

حيث قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾⁽¹⁾. والعارض: هو السحاب، يعترض في الأفق، أو في ناحية السماء⁽²⁾، والعارض من كل شيء: ما يستقبلك، كالعارض من السحاب ونحوه⁽³⁾.

قال الماوردي: وفي تسميته عارضاً ثلاثة أقوال:

أحدهما: لأنه أخذ في عرض السماء.

الثاني: لأنه يملأ آفاق السماء.

الثالث: لأنه مار من السماء. والعارض هو المار الذي لا يلبث وهذا أشبه⁽⁴⁾.

ووصف الله هذا السحاب بالعارض لكونه ماراً من السماء، ولا يلبث كما تعودوا أن يأتي

السحاب إما بالمطر أو يقلع في السماء ويذهب.

لذلك شعروا بالأمان، فكذبوا نبيهم بما وعدهم من العذاب، فهو غير متوقع أن يلبس هذا

العذاب لباس الخير والحياة⁽⁵⁾.

2- المطر:

إنه الماء النازل من السماء، فيه حياة لكل شيء على الأرض من بشر، وزرع،

وحيوان... الخ، إنه نعمة لا غنى عنها، ولقد جاء ذكر المطر في القرآن على وجهين:

الوجه الأول: الحجارة ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾⁽⁶⁾⁽⁷⁾.

(1) سورة الأحقاف آية 24.

(2) انظر: مفردات ألفاظ القرآن: راغب الأصفهاني، (559)؛ والنهاية في غريب الحديث: لابن الأثير، (607)؛

وبصائر ذو التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (44/4)؛ ط2

1406هـ-1986م.

(3) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (278/4).

(4) تفسير النكت والعيون: الماوردي، (283/5).

(5) انظر: تفسير الكبير: فخر الرازي، (28/28)؛ وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (24/13)؛ ونظم الدرر

في تناسب الآيات والسور: البقاعي، (136/7)، دار الكتب العلمية، ط1 1405هـ-1995م؛ وفي ظلال

القرآن: سيد قطب، (3267/6).

(6) سورة الأعراف آية 84، والشعراء آية 173، والنمر آية 58.

(7) تفسير العظيم: لابن كثير، (347/6).

الوجه الثاني: المطر المعروف لدينا، في قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَدَىٰ مِنْ مَطَرٍ﴾⁽¹⁾. ولكن جاء المطر في القرآن بألفاظ كثيرة، حسب أوصافه مثل: (الغيث، الرحمة، الرزق)، وهذه تتدرج من حيث منافعه وغاية نزوله، أما من حيث شكل ودرجة قوة نزوله على هيئة الضعف والقوة والكثرة هي: (الرجع، الوابل، الطل، الودق، النجاج، الصيب، الغدق) مع أن هذه الألفاظ وصف للمطر، إلا أن كل لفظ له دلالة حسب سياق الآية. ويمكن تفصيل الحديث عن ذلك من خلال التفريغ التاليين:

التفريع الأول: وصفها من حيث المنفعة.
(أولهما) الغيث.

قال أهل اللغة في الغيث: من الغوث وهي الإغاثة، أي الإعانة والنصرة عند الشدة. والغيث هو المطر والكلاً لكون المطر سبباً له، وهو المطر الخاص بالخير الكثير النافع؛ لأنه يغاث به الناس⁽²⁾.

وجاء لفظ الغيث في القرآن في ثلاث آيات من السور هي: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ...﴾⁽³⁾. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾⁽⁴⁾. وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ...﴾⁽⁵⁾.

نلاحظ، من خلال تأملنا في هذه الآيات، أن كل آية تتحدث عن موضوع مخالف للأخرى، فجاءت كلمة الغيث لها مقام خاص في كل آية حسب معنى الآية وغرضها. ففي الآية الأولى جاءت ضمن خمسة أشياء اختص بها رب العزة بها في علمه وهي: علم الساعة، ونزول الغيث، وعلم ما في الأرحام، وعلم أرزاق العباد، وعلم أين تموت كل نفس، وذلك للدلالة على سعة علمه وخبرته، وهذه الخمسة من مفاتيح الغيب التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة النساء آية 102.

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (400/4)؛ وقاموس المحيط: مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (159)؛ ولسان العرب: لابن منظور، (197/2)؛ وتاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، (317/5)، دار الهداية، 1392هـ-1972م.

(3) سورة لقمان آية 34.

(4) سورة الشورى آية 28.

(5) سورة الحديد آية 20.

(6) سورة الأنعام آية 59.

فجاء المطر في هذه الآية بلفظ الغيث، لبيان أن إغاثة الناس متى وكيف لا يعلمها إلا الله؛ لأن ذلك داخل في أمر الرزق. والغيث فيه حياة ورزق الناس عامة، ولكن الرزق المذكور في الآية هو خاص بالفرد لقوله: «وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا»⁽¹⁾، والكسب كذلك هو عام، ليس في الرزق خاصة فهو في الأعمال والأفعال والأرزاق⁽²⁾.

فذكر الغوث في الآية مناسب، وبليغ ولا يقوم مقامه أي كلام آخر.

وفي الآية الثانية: «وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ»⁽³⁾.

يقول ابن كثير: "أي من بعد إياس الناس من نزول المطر ينزله عليهم في وقت حاجتهم ووفرهم إليه كقوله تعالى: «وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ»⁽⁴⁾؛ وقوله جل جلاله: «وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ» أي يعم بها الوجود على أهل ذلك القطر وتلك الناحية⁽⁵⁾.

وفي الآية الثالثة «كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ...» والغيث هو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس كما قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا» ويكونه يعجب الكفار نباته إذا فهو قد أغاثهم، وأعانهم ورحمهم به. ودخوله في المثل سبب في ما أعجب الزراع من نبات الزرع وما أعجب الكفار من أحوال الدنيا. وكيف يفرحون بالزرع النامي والغيث بعد القنوط بالدنيا المقبلة عليهم بعد حرمانهم أو قلة اليد فيها⁽⁶⁾.

(ثانيها) الرحمة:

يطلق الله اسم الرحمة على المطر؛ والرحمة تدل على الرقة والعطف والرفقة⁽⁷⁾، "وسمى الله الغيث رحمة لأنه برحمته ينزل من السماء"⁽⁸⁾، أو لأنه بالمطر يرحم خلقه أو بالاثنين معاً، وهو الأرجح.

(1) سورة لقمان آية 34.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (454/3)؛ وفتح القدير: الشوكاني، (303/4)؛ والتفسير القرآني للقرآن: عبدالله شحاتة، (م/11 ح/4205/21).

(3) سورة الشورى آية 28.

(4) سورة الروم آية 49.

(5) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (270/12).

(6) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (428/13).

(7) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (498/2).

(8) لسان العرب: لابن منظور، (27/12).

والآيات في هذا عديدة قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾⁽¹⁾.
 وقال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾⁽²⁾.
 وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾⁽³⁾.
 هذه الآيات كلها تذكر الرحمة، ولما رجعت إلى كتب التفاسير وجدت المفسرين يفسرونها بأنها المطر، والماء النازل من السحاب⁽⁴⁾.

ثالثها) الرزق.

الرزق: هو العطاء، وقد سمي المطر رزقاً⁽⁵⁾.
 فقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾⁽⁶⁾.
 وقال أيضاً: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾⁽⁷⁾، ويقول كذلك: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾⁽⁸⁾.
 وسمي المطر رزقاً لأنه سبب الرزق⁽⁹⁾، ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ﴾ أي دلائل توحيده وعلامات قدرته ﴿وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ يعني المطر فإنه سبب الأرزاق. جمع سبحانه بين إظهار الآيات وإنزال الأرزاق، لأن بإظهار الآيات قوام الأديان، وبالأرزاق قوام الأبدان، وهذه الآيات هي التكوينية التي جعلها الله سبحانه في سمواته وأرضه وما فيهما وما بينهما⁽¹⁰⁾.
 وإلى هنا انتهت أوصاف المطر من حيث منافعه.

-
- (1) سورة الأعراف آية 57، وسورة الفرقان آية 48.
 (2) سورة الروم آية 50.
 (3) سورة الروم آية 46.
 (4) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (37-36/11)؛ وجامع الأحكام: القرطبي، (45-44/14)؛ وروح المعاني: الألوسي، (81-78/12)؛ ومحرز الوجيز: لابن عطية، (469/11).
 (5) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (388/2).
 (6) سورة الجاثية آية 5.
 (7) سورة غافر آية 13.
 (8) سورة الذاريات آية 22.
 (9) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (357/12)؛ وتفسير الكشاف: الزمخشري، (278/4)؛ وفتح القدير: الشوكاني، (4/5).
 (10) انظر: تفسير الكبير: فخر الرازي، (42/27)؛ تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (177/12)؛ وفتح القدير: الشوكاني، (5/5).

التفريع الثاني: أوصاف المطر من حيث القوة والضعف.

(أولها) الرجع:

الرجع هو الغيث، وهو المطر في قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾⁽¹⁾، وذلك أنها تغيث وتصب ثم ترجع تغيث⁽²⁾.

﴿ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ الماء⁽³⁾، قال أهل اللغة: الرجع المطر منهم الزجاج والخليل، ووجه تسمية المطر رجعاً ما قاله القفال: إنه مأخوذ من ترجيع الصوت وهو إعادته، وكذا المطر لكونه يعود مرة بعد أخرى سمي رجعاً. وقيل إن العرب كانوا يزعمون أن السحاب تحمل بخار الماء من بحار الأرض، ثم يرجعه إلى الأرض، وقيل سمته العرب رجعاً لأجل التفاؤل ليرجع عليهم، وقيل: لأن الله يرجعه وقتاً بعد وقت⁽⁴⁾.

تري الباحثة أن الراجح من هذه الأقوال ما ذهب إليه العرب، وهو أن السحاب يحمل بخار الماء من البحار ثم يرجعه إلى الأرض، وهكذا تتكرر العملية، وهذه تسمى الدورة المائية في الطبيعة. كما سيأتي والله أعلم.

(ثانيها) الوايل:

ويل: يدل على شدة وتجمع، والويل والوايل: المطر الشديد⁽⁵⁾، وقيل: المطر الشديد الضخم القطر⁽⁶⁾؛ وقيل أيضاً: النقال القطر⁽⁷⁾.

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ﴾⁽⁸⁾. وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ...﴾⁽⁹⁾.

(1) سورة الطارق آية 11.

(2) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (490/2)؛ لسان العرب: لابن منظور، (143/8).

(3) مجاز القرآن: أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، (294/2)، مكتبة الخانجي، دون تاريخ.

(4) انظر: فتح القدير: الشوكاني، (420/5)؛ الكشاف: الزمخشري، (723/4).

(5) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (82/6).

(6) لسان العرب: لابن منظور، (860/11).

(7) مفردات ألفاظ القرآن: راغب الأصفهاني، (852).

(8) سورة البقرة آية 264.

(9) سورة البقرة آية 265.

هاتان الآيتان جاءتا في ضرب المثل؛ ففي الآية الأولى ضرب الله المثل في حال المنفق رثاء وسمعة، ليقول عنه الناس أنه منفق، فإنه كالصخر الأملس، وعليه شيء من التراب فجاء المطر فعصف هذا التراب، ولم يبق أي شيء، وهكذا مثل المنفق رثاء في الآخرة لم يجد شيئاً ينفعه.

وفي الآية الثانية (أي المقابلة) ضرب مثلاً بالمؤمن الذي ينفق في سبيل الله، كالجنة التي تثمر، وتنتج ضعف ما كانت تنتج منه من قبل بسبب المطر الكثير، وإن جاءها مطر قليل، فلا يضر ذلك في شيء⁽¹⁾.

(ثالثها) الطل:

الطل: هو أضعف المطر، وهو ماله أثر قليل، وجمعه طلال، ثم يليه الرذاذ والبغش، وهو الندى فيقال: للحباب الذي على النبات يصبح عليه الطل⁽²⁾. وقد سقنا الآية كاملة في البند السابق ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾⁽³⁾. ولما كان الوابل قد لا يوجد قال: ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ أي فيصيبها لعلوها طل، وهو الندى الذي ينزل في الضباب، وهو سن من أسنان المطر، خفي لا يدركه الحس حتى يجتمع، فإن المطر ينزل خفياً عن الحس وهو الطل، ثم يبدو بلطافة وهو الطش، ثم يقوى وهو الرش، ثم يزداد ويتصل وهو الهطل، ثم يكثر ويتقارب وهو الوابل، ثم يعظم سكبه وهو الجود...⁽⁴⁾.

(رابعها) الودق:

الودق: المطر، يقال: هو هيدب السحاب. ما تهدب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط، والودق المطر كله شديده وهينه⁽⁵⁾، وقيل: الودق السحاب أو المطر الشديد⁽⁶⁾.

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (463/2)؛ وفتح القدير: الشوكاني، (360/1-361)؛ والكشاف: الزمخشري، (308/1-309)؛ وكتاب التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن جزى الكلبى، (125/1)؛ دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 1415 هـ - 1995 م.

(2) انظر: ومختار الصحاح: محمد أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، (397)، دار الفكر بيروت، دون تاريخ؛ ولسان العرب: لابن منظور، (484/11)؛ والنهاية في غريب الحديث: لابن الأثير، (568)؛ مفردات ألفاظ القرآن: راغب الأصفهاني، (522).

(3) سورة البقرة آية 265.

(4) نظم الدرر: البقاعي، (519/1).

(5) مختار الصحاح: الرازي، (715)؛ ولسان العرب: لابن منظور، (449/10).

(6) الكشاف: الزمخشري، (239/3).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾⁽²⁾.
الودق: عند جمهور المفسرين: أنه المطر⁽³⁾.

والرياح تثير سحاباً، فيبسطه الله في السماء كيف يشاء، ويجعله كسفاً أي قطعاً متراكمة، وسرعان ما يفتق هذا السحاب عن ودق، أي مطر يدق الأرض، ويترك عليها آثاره، وإذا الذين يستقبلون هذا المطر، قد لبسوا ثوب البشر، ونزعوا ما كانوا قد لبسوا من قبل، من همّ وكرّب⁽⁴⁾.

خامسها) الثجاج:

الثجّ: هو صب الشيء، يقال ثج الماء إذا صبه؛ وماء ثجاج أي صباب⁽⁵⁾، والثجّ: الصبُّ الكثير، وخص بعضهم به صبّ الماء: كثير، ومطر ثجاج: شديد الانصباب⁽⁶⁾.
فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾⁽⁷⁾.

والثجاج المنصب بكثرة على جهة التتابع، يقال ثج الماء: أي أساله بكثرة⁽⁸⁾ والرازي أجمل الكلام الكثير بقوله: "وبالجملة فالمراد تتابع القطر حتى يكثّر الماء فيعظم النفع به"⁽⁹⁾.
فجاء لفظ (ثجاجاً) مناسباً لعصر السحب.

سادسها) الصب:

الصوب: يدل على نزول شيء واستقراره.. والصوب، نزول المطر، والنازل صوب أيضاً...

(1) سورة النور آية 43.

(2) سورة الروم آية 48.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (37/11)؛ وفتح القدير: الشوكاني، (285/4)؛ والكشاف: الزمخشري، (469/3).

(4) تفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/11ج/4161/21)؛ وانظر: تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (106/21).

(5) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (367/1)؛ مختار الصحاح: الرازي، (82).

(6) لسان العرب: لابن منظور، (251/2).

(7) سورة النبأ آية 14.

(8) انظر: فتح القدير: الشوكاني، (365/5).

(9) تفسير الكبير: فخر الرازي، (9/31).

ويقال: الصيب السحاب ذو الصوب... وهو خالص ماء السحاب، فكأنها مشتقة من ذلك⁽¹⁾. قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾⁽²⁾.

"والصيب هو المطر الغزير، وكأن السماء تحولت إلى أفواه القرب، ومن السماء بالذات، ليعطي المعنى قوة دافعة، لا يستطيع أحد ردها، بحكم ما أودعه الله في الكون من قانون الجاذبية. هذا الوابل الصيب فيه ظلمات، ظلمة الليل، والسحاب، والمطر. ويتخلل هذا الصيب رعد وبرق..."⁽³⁾.

(سابعها) الغدق:

الغدق: يدل على غزر وكثرة ونعمة، ومن ذلك الغدق، وهو الغزير الكثير⁽⁴⁾، وهو المطر الكثير العام، وقد غيّدق المطر: كثر، وهو الماء الكثير ﴿وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَاهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾⁽⁵⁾⁽⁶⁾. وقال تعالى ﴿وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَاهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾⁽⁷⁾.

اختلف المفسرون في معنى هذا على قولين:

أحدهما: وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام، وعدلوا إليها واستمروا عليها، ﴿لَأَسْقِيَنَاهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾، أي: كثيراً. والمراد بذلك سعة الرزق، كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾⁽⁸⁾.

والقول الثاني: ﴿وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾: الضلالة: ﴿لَأَسْقِيَنَاهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾، أي: لأوسعنا عليهم في الرزق استدراجاً، كما قال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾⁽⁹⁾.

(1) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (318/3)؛ مختار الصحاح: الرازي، (354).

(2) سورة البقرة آية 19.

(3) الكشاف: الزمخشري، (89/1)؛ في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك، (106/1).

(4) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (415/4).

(5) سورة الجن آية 16.

(6) لسان العرب: لابن منظور، (339/10).

(7) سورة الجن آية 16.

(8) سورة الأعراف آية 96.

(9) سورة الأنعام آية 44.

ولكن ما يهمننا هنا المقصود بـ «مَاءٌ غَدَقًا». هو الماء الكثير وهذا ما ذهب إليه بعض المفسرين⁽²⁾.

وخصص الماء الغدق (الكثير) بالذكر؛ لأنه أصل الرزق والسعة والعطاء والعزة.

3- جبال من برد:

البرد خلاف الحر. يقال برد فهو بارد، وبرد الماء حرارة جو في يبردها... وسحاب برد، إذا كان ذا برد⁽³⁾.

قال تعالى: «وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ»⁽⁴⁾.

قيل في ذلك قولان: أحدهما: أن معناه وأن الله ينزل من السماء من جبال في السماء من برد.

والثاني: أن الله ينزل من السماء قدر جبال⁽⁵⁾.

وذكر الرازي: في «مِنَ» المتكررة في الآية وجوه:

«مِنَ» الأولى لابتداء الغاية؛ لأن ابتداء الإنزال من السماء، و«مِنَ» الثانية للتبعيض؛ لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال التي في السماء، و«مِنَ» الثالثة للتبيين لأن جنس تلك الجبال جنس البرد⁽⁶⁾.

ومن خلال مناقشتي مع المشرف لقد كان رأيه الشخصي أن الجبال يقصد بها الغيوم والسحب، فهي في شكلها كالجبال للناظر في الأرض، وبصورة أوضح للراكب في الطائرة. فمن جبال الغيوم ينزل الله البرد عن طريق التكثيف والتجميد من خلال ظروف طبيعية معينة. وإذا صعدنا إلى السماء (فوق السحاب) فلا نرى جبلاً من برد متجمد تحمله الرياح وتسير به السحب⁽⁷⁾.

(1) انظر: جامع البيان: الطبري، (268/12-269). بتصرف؛ وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (152/14-153).

(2) انظر: المحرر الوجيز: لابن عطية، (144/15)؛ وإرشاد العقل السليم: لأبي السعود، (412/6)؛ كتاب التسهيل: لابن الجزري الكلبى، (496/2).

(3) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (241/1).

(4) سورة النور آية 43.

(5) جامع البيان: الطبري، (338/9).

(6) تفسير الكبير: الرازي، (15/24).

(7) ما ذهب إليه الدكتور جمال محمود الهوبى.

وأخيراً يأتي العلم ليضع لمساته الأخيرة، ويؤكد ما جاء به القرآن قبل ذلك، فقال: "إن الغيوم قد يرافقها نزول البرد"⁽¹⁾. وليس دائماً.

ب - المصدر الجوفي:

المصدر الجوفي للماء يشتمل على العديد من المصادر المنبثقة عنه، وتفصيل الحديث عن ذلك كما يلي:

1- العيون أو الينابيع:

العين: وهي ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجري، والجمع أعين وعيون⁽²⁾. وذكرت كتب اللغة معاني كثيرة للعين، وهذا المعنى هو الذي يعنينا، حيث ذكر تاج العروس أكثر من أربعين وجهاً⁽³⁾.

نبع: "هو نبوع الماء، والموضع الذي ينبع منه ينبوع، ومنابع الماء مخارجه من الأرض"⁽⁴⁾. ونبع الماء ينبع نبعاً ونبوعاً إذا خرج من العين... ولذلك سميت العين ينبوعاً... وجمعه ينيابيع، وقيل: الجدول الكثير من الماء⁽⁵⁾. ومنبع غزير ومنابع⁽⁶⁾.

ومن هذا التعريف لأهل اللغة يتبين لنا أن العين والينبوع واحد فهو الماء الذي يخرج جاريةً من الأرض فهما لفظان مترادفان.

ومن وجوه ذكر العين في القرآن، العين: منبع الماء الجاري، في قوله تعالى: ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾⁽⁷⁾، والعين: النهر في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾⁽⁸⁾ كما ذكره ابن الجوزي⁽⁹⁾.

(1) انظر: المياه في القرآن: أحمد الديمي، (39).

(2) لسان العرب: لابن منظور، (370/13).

(3) تاج العروس: الزبيدي، (225/22-230)؛ وانظر مجمل اللغة: لأبي الحسين بن فارس البغوي، (640/3)، مؤسسة الرسالة، ط2، 1406هـ-1986م.

(4) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (581/5).

(5) تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، (8/3)، دار المصرية، دون تاريخ.

(6) أساس البلاغة: الزمخشري، (444).

(7) سورة البقرة آية 60.

(8) سورة الإنسان آية 6.

(9) الوجوه والنظائر: لابن الجوزي، (86).

وذكر القرآن العيون والينابيع في مواضع مختلفة من سور القرآن الكريم، ومن وجوه مختلفة، فتراه تحدث عن تفجيرها ودرجة التفجير، وكذلك أنواعها حسب المادة الخارجة منها، ودرجة جريان وتدفق الماء منها واستخدامها للنعمة والإهلاك. وتفصيل ذلك كما يلي:

(أولها) تفجير العيون وقوة الانفجار:

فقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾⁽¹⁾، أي "تفجير العيون آية عظيمة؛ لأن الأرض أجزاءها بحكم العادة لا تصعد، ونحن نرى منابع الأنهار والعيون في المواضع المرتفعة، وذلك دليل القدرة والاختيار"⁽²⁾.

ففي هذه الآية دليل على نعمة الله للإنسان حيث فجر له العيون لتسقى الحقائق والبساتين والزروع، وهذا الامتتان بنعم الله على الإنسان ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾⁽³⁾ على هذه النعم التي لا تحصى. ولتفجير العيون درجات بين القوة والضعف، وساق لنا القرآن ذلك في قوله ﷻ ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾⁽⁴⁾. وفي موضع آخر قال: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾⁽⁵⁾.

إن خروج الماء من الحجر عند ضرب سيدنا موسى ﷺ له كان على قوتين: إحداهما أشد من الأخرى وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ في سورة البقرة، لأنه كان يتحدث عن قلوب بني إسرائيل التي استحجرت فيها كالحجارة أو أشد قسوة. و﴿فَانْبَجَسَتْ﴾ في سورة الأعراف، لأنه كان يتحدث عن إحياء أمة بهذا القرآن. إن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج في شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع⁽⁶⁾. ويرى الرازي لهذا الاختلاف وجوهاً ثلاثة:

الوجه الأول: الفجر الشق في الأصل، والانفجار الانشقاق ومنه الانبجاس اسم للشق الضيق القليل، فهما مختلفان اختلاف العام والخاص فلا يتناقضان.

(1) سورة يس آية 34.

(2) تفسير الكبير: الرازي، (67/26).

(3) سورة يس آية 35.

(4) سورة البقرة آية 60.

(5) سورة الأعراف آية 160.

(6) مفردات ألفاظ القرآن: راغب أصفهاني، (65).

الوجه الثاني: لعله انبجس أولاً ثم انفجر ثانياً، وكذا العيون يظهر الماء منها قليلاً، ثم يكثر لدوام خروجه.

الوجه الثالث: لا يمتنع أن حاجتهم إلى الماء كانت تشتد فينفجر، أي يخرج الماء كثيراً، ثم كانت تقل فكان الماء ينبجس أي يخرج قليلاً⁽¹⁾.

تري الباحثة أن القول الثاني هو المناسب والراجح مع ما هو مشاهد في عالمنا، فإننا نلاحظ أن خروج الماء في بداية الأمر يخرج من شق صغير ويكون الماء الخارج قليلاً، ومع استمرار خروج الماء من نفس المصدر (أي الشق) يتسع ويصبح الماء الذي يخرج كثيراً.

(ثانيها) أنواع العيون حسب المادة الخارجة منها:

بين الله أكثر من نوع من أنواع العيون، حسب المادة الخارجة منها، يقول تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾⁽²⁾. وقال سبحانه: ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾⁽³⁾، هذه الآيات وغيرها تتحدث عن عيون الماء العذب سواء كان في الدنيا أو الآخرة.

وهناك عيون أخرى، يخرج منها الماء الساخن والطين ممزوجاً بمائها، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾⁽⁴⁾.

لقد ذكر الرازي أن معنى عين حمئة أنها عين من ماء وطين على قول، وقول آخر: على أنها حامية أي ساخنة، ورجح أن تكون الأولى مع إمكانية الجمع بين الاثنين في نفس الحين. فقال: "واعلم أنه لا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز أن تكون العين جامعة للوصفين جميعاً..." وأنه يتراءى للناظر أن الشمس تغرب في هذه العين، كما يظهر للرائي أن الشمس تغرب في البحر وهي ليست كذلك⁽⁵⁾.

(ثالثها) درجة جريان الماء:

لقد وصف الله تعالى في القرآن درجة جريان الماء من هذه العيون في موضعين: قال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾⁽⁶⁾، وقال بعدها: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾⁽⁷⁾.

(1) تفسير الكبير: الرازي، (96/3).

(2) سورة الإنسان آية 6.

(3) سورة يس آية 34.

(4) سورة الكهف آية 86.

(5) انظر: تفسير الكبير: الرازي، (167/166/21)؛ وتفسير المنير: وهبة الزحيلي، (24/16).

(6) سورة الرحمن آية 50.

(7) سورة الرحمن آية 66.

الجري: هو انسياح الشيء، يقال: جرى الماء جرياناً وجرياً، فأما السفينة فهي الجارية⁽¹⁾ (أي تنساح داخل الماء انسياحاً).

"أي في هاتين الجنتين عينان تجريان، بالماء العذب... وهذا الماء السلسبيل المتدفق من العيون الجارية، هو في نفسه نعمة إلى جانب نعمة الجنة، وإلى ظلها الممدود"⁽²⁾.

أما النفخ: "شدة فور الماء في جيشانه، وانفجاره من ينبوعه، وهو ما كان من سفلى إلى علو... وعين نضاخة تجيش بالماء، وفي الآية أي: فوارتان"⁽³⁾.

أي في هاتين الجنتين عينا ماء تضحان الماء ضخاً، وفي دفعات متتالية، ولا ترسلانه متدفقاً كهاتين العينين اللتين في الجنتين السابقتين، كما يقول سبحانه ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ وفي ذلك تفرقة لأهل الإحسان في العطاء، حيث ينزل كل منها منزلة الذي هو أهل له، وذلك عدل الله، الذي يجري مع إحسانه ويضبط موازينه⁽⁴⁾.

ونصل إلى أن العينين الجاريتين يسيل مأوهما بين أشجار الجنة كأنهما النهر الجاري، أما العينان النضاختان فهما تفوران في المكان مثل النافورة، وحولهما الأشجار. والله أعلم.

(رابعها) استخدامها للنعمة والهلاك:

لقد تحدث القرآن عن العيون ضمن حديثه عن إنعامه على عباده.

لقد خاطب هود عليه السلام قومه عاد بدعوتهم للتقوى، مذكراً إياهم بما من الله عليهم وأمدهم من النعم التي يعلمونها حيث قال: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٤٧﴾ وَجَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ ﴿١٤٨﴾﴾⁽⁵⁾: أي من أنعام وبنين، وبساتين تجري فيها العيون⁽⁶⁾، وهذه زيادة في دعائهم إلى الآخرة وزجراً لهم عن حب الدنيا والانشغال بالسرف والحرص والتجبر، ثم وصل هذا بالوعظ ما يؤكد القبول. وهو التنبيه على نعم الله تعالى⁽⁷⁾.

(1) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (448/1).

(2) تفسير القرآن للقرآن: عبد الله شحاتة، (م/14 ج/27 ص/5573).

(3) لسان العرب: لابن منظور، (461/3).

(4) انظر: تفسير الكبير: الرازي، (29/122-134)؛ وتفسير جامع الأحكام: القرطبي، (17/185)؛ وفي رحاب

التفسير: عبدالحميد كشك، (7/6114)؛ وتفسير المنير: وهبة الزحيلي، (27/224).

(5) سورة الشعراء آية 132-134.

(6) صفوة التفاسير: محمد الصابوني، (2/389).

(7) انظر تفسير الكبير: الرازي، (24/157).

وأيضاً نجد صالحاً عليه السلام يعظ قومه كذلك، مذكراً إياهم لن يتركوا في هذا النعيم من البساتين وعيونها وتطمعون في ذلك وأنه لا دار للمجازاة على أعمالكم. فالأمن والاستقرار في النعيم لا يكون بدون تقوى الله و طاعته وطاعة رسوله ⁽¹⁾ فيقول لهم: «أَتُرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿٢٠﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ ﴿٢١﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿٢٢﴾».

هذا في جانب النعمة أما في الهلاك فقال تعالى: «وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَاتْتَقَى الْمَاءَ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَرٍ ﴿٣٠﴾» ⁽³⁾.

في هذه الآية وصف الطوفان، الذي أغرق به قوم نوح عليه السلام وذلك عندما عصوا رسولهم، وأنكروا دعوته، ولقد وصف القرآن هذا الطوفان وصفاً يدل على البلاغة، حيث قال: وفجرنا عيون العذاب، وهذا بيان لمواضع العيون الكثيرة... «فَالْتَقَى الْمَاءُ» له معنى جميل، وذلك أنه تعالى لما قال: «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿٤٠﴾» ⁽⁴⁾ ذكر الماء وذكر الانهمار، وهو النزول بقوة فلما قال: «وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا» كان من الحسن البديع أن يقول، يفيد أن الماء نبع منها بقوة، فقال: «فَالْتَقَى الْمَاءُ» أي من عين فار الماء بقوة حتى ارتفع والتقى مع ماء السماء. ولو جرى جرياً ضعيفاً لما كان يلتقي مع ماء السماء ⁽⁵⁾.

فسبحان الله الذي أنعم هذه العيون لتكون نعمة وخيراً ورزقاً للناس أيضاً، جعل منها عقاب وهلاك من يعصيه، فإذن العيون سلاح ذو حدين سلاح خير، وسلاح دمار وهلاك.

2- الآبار:

الآبار أيضاً من المياه ذات المصدر الجوفي من باطن الأرض، العيون يفجرها الله تعالى ولكن الآبار يفجرها الإنسان. ولقد ذكر القرآن الآبار بلفظين، الأول: البئر وورد مرة واحدة بلفظ البئر المعطلة، حيث لا يستقي منها أحد.

فقال تعالى: «فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٦٠﴾» ⁽⁶⁾.

بئر معطلة في اللغة بمعنى: لا يُستقى منها ولا ينتفع بمائها، وقيل: بئر معطلة لبئود أهلها ⁽⁷⁾...

(1) انظر تفسير القرآن للقرآن: عبد الله شحاتة، (م/10/ج/19/ص3816).

(2) سورة الشعراء آية 146-148.

(3) سورة القمر آية 12.

(4) سورة القمر آية 11.

(5) تفسير الكبير: الرازي، (251/29).

(6) سورة الحج آية 45.

(7) انظر: مختار الصحاح: الرازي، (440)؛ ولسان العرب: لابن منظور، (543/11).

بينما ذهب المفسرون إلى أن معنى بئر معطلة: متروكة؛ قاله الضحاك وقيل: خالية من أهلها لهلاكهم، وقيل: غائرة الماء، وقيل: معطلة من دلالتها وأرشيبتها⁽¹⁾. ترى الباحثة أن جميع المعاني هذه تدور حول معنى واحد، وبذلك فإن المعاني كلها متقاربة.

ومعنى الآية: لا يستقى منها ولا يردّها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها⁽²⁾. هذا بالنسبة للفظ الأول، بينما اللفظ الثاني جاء بمعنى الجب، وورد مرتين في سورة يوسف. فقد قال تعالى: ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ﴾⁽³⁾؛ وأيضاً قوله ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ﴾⁽⁴⁾.

وجاء معنى الجب عند أهل اللغة بمعنى: البئر مذكر، وقيل: هي البئر لم تطو (أي لم تُبن بالحجارة)⁽⁵⁾، وقيل: هي الحيدة الموضع من الكلاء، وقيل: هي البئر الكثيرة الماء، البعيدة القعر، وسميت البئر جباً لأنها قطعت قطعاً ولم يحدث فيها غير القطع من طي وما أشبه⁽⁶⁾. بينما المفسرون قالوا في الجب أنه بئر بيت المقدس⁽⁷⁾، وقال وهب: بأرض الأردن⁽⁸⁾. وقالوا: إن الجب في قفرة بعيدة من العمران، إنما هو للريادة والمجتاز، وكان ماؤه ملحاً فعذب حين ألقى فيه يوسف⁽⁹⁾.

ترى الباحثة ومن خلال تطلعي على كتب اللغة والتفاسير وجدت أن هناك فرقاً بين البئر المعطلة، والجب، فإن البئر المعطلة عامرة بالماء، ومعها آلات الاستقاء إلا أنها عطلت، أي: تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها، وأنها تكون في وسط المدينة، وماؤها عذبة يشرب منها جميع الأهالي والحيوانات أيضاً. بينما الجب أنها عاملة بدليل ورود السيارة عليها للشرب، ولكن

(1) انظر: جامع البيان: الطبري، (169/9)؛ وجامع الأحكام: القرطبي، (74/12).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (79/10).

(3) سورة يوسف آية 15.

(4) سورة يوسف آية 19.

(5) مختار الصحاح: الرازي، (91).

(6) لسان العرب: لابن منظور، (296/1).

(7) انظر: جامع الأحكام: القرطبي، (152/9)؛ فتح القدير: الشوكاني، (16/3).

(8) بحر المحيط: ابن حيان، (285/5).

(9) انظر: جامع الأحكام: القرطبي، (152/9)؛ الكشف: الزمخشري، (435/2)؛ تفسير الكبير: الرازي،

(105/18)

الاختلاف في مكان ورودها فهي خارج البلدة، وأيضاً فإنها لا تكون مبنية كما تكون البئر. والله أعلم.

3- البحيرات الجوفية.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾⁽¹⁾.

في هذه الآية بيّن الله تعالى أنه أنزل من السماء ماء، وهو المطر، وقيل كل ما كان في الأرض فهو من السماء، ثم إنه تعالى ينزله إلى بعض المواضع ثم يقسمه فيسلكه ينابيع في الأرض، أي فيدخله وينظمه ينابيع في الأرض عيوناً ومسالك ومجاري كالعروق في الأجسام، ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه⁽²⁾.

"أي أدخله في الأرض فجعله ينابيع، يعني عيوناً في الأرض تتبع"⁽³⁾.

"أي مضار جاريةاً تحتها ينبع منها"⁽⁴⁾، "ويكون في باطنها شرايين تتجمع"⁽⁵⁾.

وبعد هذه النقول من التفاسير قديمها وحديثها، يتضح أن الله ينزل الماء من السماء فيدخل شقوق الأرض، ويسكن الماء في الأرض، والمقصود بالإسكان (سكون المياه الجوفية) وذلك بدليل أن جملة "في الأرض" تعني في باطن الأرض، إلا أن هذه العبارة قد يكون لها معنى أعم وأشمل، فليس المقصود منها الماء الموجود في باطن الأرض فقط، بل يشمل مصادر المياه على سطح الأرض أيضاً، وذلك كقوله ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾⁽⁶⁾ أي على سطحها وظهرها.

والآية الكريمة الأولى تشير إلى معاني علمية، تعد -في حد ذاتها- إعجازاً علمياً وسبقاً قرآنياً يتجلى في عدة كلمات في الآية ﴿فَأَسْكَنَاهُ﴾، وقوله ﴿بِهِ لِقَادِرُونَ﴾ ومن هذه الدلائل العلمية:

(1) سورة المؤمنون آية 18.

(2) تفسير الكبير: الرازي، (88-89).

(3) تفسير بحر العلوم: السمرقندي، (135/4).

(4) أيسر التفاسير: لأبي بكر الجزائري، (1270).

(5) تفسير القرآن للقرآن: عبد الله شحاتة، (م/9ج/18ص/3467).

(6) سورة الجمعة آية 1.

1- إن إسكان الماء يعني استقراره في اتزانته، سواء أكان هذا الماء على ظهر الأرض في البحار والمحيطات والأنهار، أم غير ذلك من مسطحات مائية، وسواء تسرب هذا الماء إلى باطن الأرض ليكون المياه الجوفية، أم استقر في أحواض شاسعة تحت سطح الأرض، كالتالي توجد تحت الصحراء الغربية الليبية...، فتحيا أرض الصحراء الميتة إذا سيق الماء إليها... ومن ذلك يتجلى لنا الإعجاز العلمي في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾⁽¹⁾.

2- إن لفظة (الإسكان) تعني أنه لا بد من وجود الفراغ الذي يمكن أن تستغله المياه، وفي حالة المياه الجوفية، فإن هذا الفراغ ما هو إلا المسام الموجودة بين الصخور⁽²⁾.

3- إنه لا بد من وجود مسارات بين الصخور، يمكن أن ينساب خلالها الماء وإمكان حدوث الثورات الجيولوجية، أو حدوث صدوع والتواءات في قشرة الأرض، مما يؤدي إلى هجرة المياه الجوفية في الطبقات الصخرية الرسوبية إلى مسافات طويلة، بحيث تصبح هذه المياه غائرة في الأرض، فلا يمكن للإنسان أن يصل إليها بأدواته أو آلاته، ومن ذلك يتجلى لنا الإعجاز العلمي في قوله: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾⁽³⁾⁽⁴⁾.

ج- المصدر السطحي:

ويشمل هذا المصدر الأساسي مصادر فرعية كلها بارزة للعيان على وجه الأرض، والتفصيل كما يلي:

1- الأنهار:

لقد تحدث القرآن عن ظواهر طبيعية كثيرة، للدلالة على قدرة الله -جل شأنه- في خلق السماوات والأرض وما بينهما، ومن ضمن هذه الظواهر الطبيعية الأنهار، والنهر واحد الأنهار، وقوله ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾⁽⁵⁾ أي أنهار، وقد يعبر بالواحد عن الجمع، وأنه الخليج الكبير، وأنهار الجنة ليست إلا المياه لأنها تجري من غير أهدود⁽⁶⁾، ويجمع أنهر وأنهار ونهر ونهور: المجرى الذي تجري فيه المياه⁽⁷⁾.

(1) سورة السجدة آية 27.

(2) انظر: جامع الأحكام: القرطبي، (111/14)؛ منتخب في التفسير، (4251).

(3) سورة الكهف آية 41.

(4) الإعجاز العلمي: محمد عبدالصمد، (85)؛ المياه في القرآن: أحمد الديمي، (24-25).

(5) سورة القمر آية 54.

(6) انظر: مختار الصحاح: الرازي، (682)؛ الكليات: الكفوي، (910).

(7) انظر: المرام في المعاني والكلام: د. مؤنس رشاد الدين، (864)، بيروت، ط1، 1420هـ-2000م.

ولقد بين الله سبحانه للإنسان مصدر وجود الأنهار، حيث ذكر نزول الماء من السماء، وهو سبب من أسباب جريان الأنهار، فقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ...﴾⁽¹⁾.

وكذلك تفجرها من الصخور والجبال. فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾⁽²⁾.

أي من الحجارة، لما يصدع فيخرج منه الماء فيكون إما عيناً، أو نهراً جارياً؛ أي أن الحجارة قد تفيض بالماء الكثير والماء القليل⁽³⁾.

ولقد أثبتت البحوث الجيولوجية أن الحجارة قد تتأثر وتتفاعل تحت ظروف خاصة، تقوم بعمليات من التفاعل بينها في باطن الأرض الحار جداً، ينتج عن هذا التفاعل تفجر الماء منها...، ومن حرارة التفاعل الهائل ينتج الماء الذي يخرج من طبقات الأرض من بين الصخور كذلك، فتتشق الأرض عنه...، أو يخزن في تجاويف الأرض مع المياه الجوفية، فإذا كثرت المياه ولم تتسع له هذه المحاضن الجوفية بحث له عن مكان يخرج منه إما بانفجار من بين الصخور، أو بالتشقق، وتسيل المياه بشكل أضعف من الانفجار، بحيث يمكنها أن تكون الأنهار أو الينابيع⁽⁴⁾.

من أسباب وجود الأنهار الجبال أيضاً، حيث قرن الله بين الجبال والأنهار، فقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾⁽⁵⁾.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ أي "جعلها متسعة ممتدة، في الطول والعرض، وإرساها بجبال راسيات شامخات، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون؛ ليسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح"⁽⁶⁾.

ولقد عطف الأنهار على الجبال مباشرة؛ لأنها سبب تولدها وتبعها، ولا يمنع انبساط الأرض للحياة في أجزائها أنها غير كروية أو مسطحة في حجمها الكلي، ولذلك كانت هناك علاقة قوية في قرن الجبال بالأنهار؛ لأن المياه الجوفية المتكونة تحت هذه الجبال عندما تتعاضد؛

(1) سورة الأنعام آية 6.

(2) سورة البقرة آية 74.

(3) تفسير الكبير: الرازي، (130/3) بتصرف.

(4) انظر: الإعجاز العلمي في الإسلام: عبدالصمد، (86). بتصرف.

(5) سورة الرعد آية 3.

(6) تفسير العظيم: لابن كثير، (104/8).

فلكثرتها وقوتها تنقب وتخرج وتسيل على وجه الأرض، ومن هنا كانت الأنهار تتولد وتتبع متفجرة من الجبال⁽¹⁾.

وترى الباحثة أن الجبال لها علاقة بالأنهار من ناحية أخرى، وهي بعلوها وارتفاعها يتساقط عليها ماء السماء (المطر) ثم ينزل إلى أسفل ليصنع بكثرتة الأنهار، أو على الأقل يغذيها.

ومن حكمة الله ﷻ أن جعل مياه الأنهار عذبة وليست مالحة ليستغلها الإنسان في حياته، فقد قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾⁽²⁾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ يعني البحار العذبة؛ لتشربوا منها وتسقوا وتزرعوا، والبحار المالحة لاختلاف المنافع من الجهات⁽³⁾.

ويقول الإمام الرازي: "واعلم أن ماء البحر قلما ينتفع به في الزراعات، لا جرم ذكر تعالى إنعامه على الخلق، بتفجير الأنهار والعيون حتى ينبعث الماء منها إلى مواضع الزرع والنبات، وأيضاً ماء البحر لا يصلح للشرب، والصالح لهذه المهمة مياه الأنهار"⁽⁴⁾.

وبذلك فإن الأنهار في الأرض هي شرايين الحياة؛ وهي تنتشر فيها في كل اتجاه، بعد أن تكونت من منابعها في الجبال وكذلك من الأمطار، فتجري وفق طبيعة الأرض؛ ﴿أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِثَالَهَا أَنْهَارًا﴾⁽⁵⁾.

فإن الخالق هو القادر على تكوين السحاب وإنزال المطر، وجريان الأنهار، فقال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾⁽⁶⁾.

﴿وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا﴾ أي جعل فيها أنهاراً تجري من مكان إلى مكان آخر، رزقاً للعباد ينبع في موضع، وهو رزق لأهل موضع آخر، فيقطع البقاع ويخترق الجبال... فيصل إلى البلد الذي

(1) انظر: تفسير الكبير: الرازي، (4/19)؛ وجامع الأحكام: القرطبي، (280/9)؛ وتفسير المنير: الزحيلي، (105/13).

(2) سورة إبراهيم آية 32.

(3) تفسير جامع الأحكام: القرطبي، (367/9).

(4) تفسير الكبير: الرازي، (128/19).

(5) سورة النمل آية 61.

(6) سورة النحل آية 15.

سخر لأهله، وهي سائرة في الأرض في جميع النواحي، ... بحسب ما أراد وقدر وسخر ويسر الله رب كل شيء⁽¹⁾.

وبعد كل هذا أيجرؤ أحد أن يقول إن أحداً غير الخالق المدبر قد شارك في خلق هذا الكون على النحو الذي هو عليه، وجريان الأنهار حقيقة واقعة يراها المشركون، فمن ذا أوجد هذه الحقيقة؟ أإله مع الله؟. فلا إله إلا هو ولا رب سواه.

2- الأودية:

الوادي: هو الماء، ويطلق على المكان الذي يجتمع فيه الماء ويسيل؛ وسمي مكانه باسمه مجازاً للمجاورة...، وقيل الوادي: المفرج بين الجبلين الذي يسيل فيه الماء، ويجمع أودية⁽²⁾. فإن الأودية تسيل بمقدار طاقتها وحاجتها، ومن حق الماء أن يستقر في الأودية، ومن حقه أن ينبسط على الأرض.

فقد قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾⁽³⁾.

ففي هذه الآية أطلق الفعل (سال) على الأودية ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ ولم تطلق على الماء، وفي هذا دليل على الماء يسيل على جميع مساحة الوادي، ولم يقتصر سيلانه على مساحة محددة منه⁽⁴⁾.

وإن ماء المطر يأتي على طريق المناوبة بين البقاع، فجاءت لفظة ﴿أَوْدِيَةٌ﴾ نكرة؛ وجاءت أيضاً بصيغة الجمع، وكان من الممكن أن تأتي بصيغة المفرد مع أن السيل جاء بصيغة المفرد فقال تعالى: ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾. فالمعنى: يوصي بأن الأودية قد جمعت الماء في سيل واحد، وفي هذا إشارة علمية مهمة إلى أنه من النادر أن يكون للنهر واد واحد يغذيه، فتجد عادة أن للنهر عدة أودية يصب بعضها في بعض، ويصب الجميع في المصب الأخير، ثم يخرج النهر بحجمه النهائي⁽⁵⁾. والله أعلم.

(1) انظر تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (301/8)؛ وتفسير المنير: وهبة الزحيلي، (100/14). بتصرف.

(2) انظر مختار الصحاح: الرازي، (715)؛ القاموس المحيط: فيروز آبادي، (1729).

(3) سورة الرعد آية 17.

(4) انظر: تفسير العظيم: لابن كثير، (130/8). بتصرف.

(5) انظر: المياه في القرآن: أحمد الديمي، (44). بتصرف.

وإذا تأملت كلمة «رَائِبًا» في الآية أدركت أنها تعني -هنا- تراكم الزبد، وتراكبه طبقة فوق طبقة في نهاية المطاف حينما يلقي السيل بحمله، وإن هذه القدرة تتناسب مع سرعة المياه، والسرعة تتعلق بالميل أو الانحدار، وكلما زادت سرعة المياه ازداد ما تحمله معها وكلما قلت السرعة زاد معدل ترسيب المواد العالقة بالمياه؛ ولذلك فإنه حينما تصطدم مياه الأنهار - عند المصببات - بمياه البحر، فإن كل المواد التي تحملها المياه معها تترسب في القاع، ومع مرور الزمن تتراكم طبقة الروسيبات، ويظهر ما يعرف باسم دلتا النهر⁽¹⁾. والله أعلم.

وكل هذا ندركه من قول الله: ﴿فَاحْتَمِلْ السَّيْلُ زَبَدًا رَائِبًا﴾.

3- المحيطات والبحار والبحيرات:

البحر: الماء الكثير، مالحاً كان أو عذباً، وهو خلاف البر، سمي بذلك لعمقه واتساعه، وقد غلب على الملح حتى قل في العذب، وجمعه أبحر وبحور وبحار⁽²⁾.

المحيط: البحر الواسع؛ الوسط الذي يعيش فيه الإنسان⁽³⁾.

البحيرة: يقال للبحر الصغير بحيرة، وهي تجمع الماء الذي تحيط به اليابسة من كل جانب⁽⁴⁾. هذا بالنسبة للغة، أما ما ورد في القرآن، فلم يورد فيه إلا البحار ولم يورد في القرآن أي آية عن المحيطات والبحيرات.

فجاء ذكر البحر في القرآن بلفظ البحر ثلاثاً وثلاثين مرة، وبالمثنى خمس آيات، وبالجمع ثلاث آيات، ولفظ اليم ثماني آيات، فيصير العدد تسعاً وأربعين آية، ووردت هذه الآيات في خمس وعشرين سورة بلفظ البحر، واليم في أربع سور، فيكون مجموع السور تسعاً وعشرين سورة، وهذا ما يعادل قرابة ربع سور القرآن، مما يدل على مدى اهتمام رب العزة بالبحر⁽⁵⁾. ولكن ما يجدر ذكره -هنا- أوصاف مياه البحار، وما فائدته التي ينتفع بها الناس.

(1) الإعجاز العلمي في الإسلام: عبدالصمد، (92).

(2) انظر لسان العرب: لابن منظور، (47/4)؛ مختار الصحاح: الرازي، (41)، المرام: مؤنس رشاد الدين، (160).

(3) انظر: المرام: مؤنس رشاد الدين، (759).

(4) انظر: لسان العرب: لابن منظور، (50/4)؛ والمرام: مؤنس رشاد، (160).

(5) القرآن الكريم والبحار: محمد محمد زيتون، مجلة الأزهر، (144)، العدد رجب 1441هـ - ديسمبر يناير 1994م، السنة السادسة والستون.

أ - أوصاف مياه البحار:

لقد ذكر الله تعالى في محكم كتابه العزيز آيتين تصف كلاهما مياه البحار بوصفين:
الأول: الملح، والثاني: الأجاج، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾⁽¹⁾.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبُحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾⁽²⁾.

عذب: عذب الماء يعذب عذوبة، فهو عذب: طيب وأعذب القوم إذا عذب مأوهم واستعذبوا إذا استقوا وشربوا عذباً⁽³⁾.

والعذب من الشراب والطعام: كل مستساغ، والعذب: الماء الطيب، ماء عذبة وركية عذبة وفي القرآن ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾⁽⁴⁾.

فرات: كلمة واحدة: وهي الماء الفرات، وهو العذب، يقال ماء فرات: ومياه فرات⁽⁵⁾، والفرات أشد الماء عذوبة، وقد فرت الماء يفرت فروتة إذا عذب، فهو فرات⁽⁶⁾.

الملح: الماء الذي تغير طعمه التغير المعروف، وتجمد، ويقال له ملح إذا تغير طعمه، وإن لم يتجمد فيقال ماء ملح، وقلما تقول العرب ماء ملح⁽⁷⁾.

الأجاج: الماء الأجاج، الملح شديد الملوحة والحرارة من قولهم أجاج النار، والمياه المتموجة لكثرة اضطرابها⁽⁸⁾.

نلاحظ أن الآيتين ذكرتا وصفين من أوصاف الماء المالح مقابل وصفين للماء العذب وهما العذب الفرات، والملح أجاج؛ فإن العذب يقابل المالح، والفرات يقابل الأجاج.

ففي آية فاطر ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ...﴾.

قال أكثر المفسرين: أن المراد من الآية ضرب المثل في حق الكفر والإيمان، أو الكافر والمؤمن، فالإيمان لا يشتبه بالكفر في الحسن والنفع، كما لا يشتبه البحران العذب الفرات والملح الأجاج... والأظهر أن المراد ذكر دليل آخر على قدرة الله، وذلك من حيث إن البحرين يستويان في الصورة ويختلفان في الماء، فإن أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج، ولو كان ذلك

(1) سورة فاطر آية 12.

(2) سورة الفرقان آية 53.

(3) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (259/4).

(4) لسان العرب: لابن منظور، (680/1).

(5) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (498/4).

(6) لسان العرب: لابن منظور، (74/2)؛ مفردات ألفاظ القرآن: الأصفهاني، (388).

(7) مفردات ألفاظ القرآن: الأصفهاني، (492).

(8) مفردات ألفاظ القرآن: راغب الأصفهاني، (6).

بإيجاب لما اختلف المتساويان، ثم أنهما بعد اختلافهما يوجد منهما أمور متشابهة فإن اللحم الطري يوجد فيهما. والحلية تؤخذ منها ومن يوجد في المتشابهين اختلافاً وفي المختلفين اشتباهاً لا يكون إلا قادراً مختاراً، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ إشارة إلى أن عدم استوائهما دليل على كمال قدرته ونفوذ إرادته⁽¹⁾.

وزاد في هذه الآية عن الآية اللاحقة ﴿سَائِعِ شَرَابُهُ﴾ لبيان سهولته في الشرب وقبول طعمه للنفس.

أما في آية سورة الفرقان ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ...﴾.

فيدلل الله على عظيم قدرته، ووجوب توحيده، من خلال التقاء البحرين: الملح الأجاج، والعذب الفرات؛ فلا يختلط ماؤهما حتى أن هذا البحر العذب الفرات تزداد عذوبة مائه حتى يصير إلى الحلاوة، والأجاج نقيضه الفرات وأنه سبحانه بقدرته يفصل بينهما، ويمنعهما التمازج، وجعل من عظيم اقتداره برزخاً حائلاً من قدرته⁽²⁾.

وبمشيئة من تدبر هذا الكون، مرج البحرين، وجعل بينهما برزخاً وحاجزاً من طبيعتهما، ومن طبيعة هذا التماسق، الذي تجري مقاديره بمشيئته، الذي ترك البحرين، الفرات العذب، والملح الأجاج يجريان ويلتقيان، فلا يختلطان ولا يمتزجان، إنما يكون بينهما برزخ فمجارى الأنهار غالباً أعلى من سطح البحر، ولا يقع العكس إلا شذوذاً، حيث ثبت علمياً أن مياه الأنهار التي تصب في المحيطات، كثافتها أقل من كثافة المياه المالحة، فتظل سابحة فوق المياه المالحة، فلا تختلط بها، فمن عجائب قدرة الله تعالى أنه جعل ماء النهر، لا يؤثر في ماء البحر، فيغير ملوحته، كما لا يؤثر ماء البحر في ماء النهر، وقد روعي في نواميس هذا الكون، ألا تغطي مياه المحيطات المالحة على الأنهار، ولا على اليابسة، حتى في حالات المد والجزر التي تحدث من جاذبية القمر⁽³⁾. والله أعلم

"وجاء في تقرير لبعثة علمية مشتركة بين الجامعة المصرية، وجامعة (أوبرة) الإنجليزية، لدراسة أعماق البحر والمحيط الهندي جنوب عدن، وجدت البعثة أن المياه في خليج العقبة، تختلف خواصها وتراكيبها الطبيعية والكيميائية عن المياه في البحر الأحمر (كلاهما ماء مالحة)، واستطاعت البعثة بواسطة قياس الأعماق، إيجاد حاجز مغمور عند مجمع البحرين، يبلغ

(1) انظر: التفسير الكبير: الرازي، (11-10/26).

(2) المرجع نفسه: (100/24).

(3) الإعجاز العلمي: محمد عبدالصمد، (123-124)؛ والإسلام يتحدى: وحيد الدين خان، (142-143)؛ ومظاهر كونية: محمد عبدالله، (138)؛ الكون والإعجاز العلمي: منصور حسب النبي، (177)؛ والمعجزات القرآنية: هارون يحيى (48). بتصرف.

ارتفاعه أكثر من ألف متر، ويمائل ذلك ما وصلت إليه السفينة "مباحث" في رحلتها الأولى في المحيط الهندي، والبحر الأحمر، إذ حققت وجود حاجز مغمور بين البحرين، وأثبتت بالمشاهدة والتحليل الكيماوي والطبيعي أن مياه المحيط الهندي تختلف عن خواصها الطبيعية والكيماوية عن مياه البحر الأحمر⁽¹⁾. والله أعلم

وللمحيطات أهمية كبيرة في حياة الإنسان، لأن هذه المحيطات تعكس أشعة الشمس أقل مما تعكسه اليابسة، وهكذا تكتسب طاقة شمسية أكبر مما تكتسبه اليابسة، وإن شفافية الماء تساعد الطحالب الموجودة في المحيطات على القيام بعملية التركيب الضوئي، وكذلك يمتاز الماء بالتمدد عند التجمد⁽²⁾ والله أعلم.

وإن أوسع محيط في العالم هو الهادي، ويغطي نسبة 46% من مساحة المحيطات، وتبلغ مساحته دون البحار المتصلة به (166240000) كم² أما بالنسبة للبحيرات، فأكبر بحيرة هي البحيرة العليا التي يقع قسم منها في الولايات المتحدة والآخر في كندا، وتبلغ مساحتها (82350) كم²، أما البحيرة التي تتسع لأكبر حجم من الماء العذب بحيرة (بايكال)، إذ تتسع لـ (24000) كم³، أما أعلى بحيرة في العالم التي يمكن الملاحة فيها هي بحيرة (بينتكاكا) التي تقع بين (بيروود بوليفيا)، وتوجد بحيرة متجمدة في جبال الهملايا بالقرب من قمة إفرست⁽³⁾.

ترى من الذي أخبر محمداً ﷺ بهذه السنن الإلهية التي كانت خفية ودقيقة بما في البحار من ذهاب واختلاط، وأن بينهما جداراً حاجزاً فلا يطغى أحدهما على الآخر.

ب - فوائد البحار:

جاءت آيات البحر بذكر منافع كثيرة وتفصيل ذلك فيما يلي:

1 - الثروة السمكية:

إن صيد السمك معروف منذ القدم فمن الدول من تمارسه تجارياً ومنها من تمارسه للعيش على الأسماك.

وتتمثل الأسماك مصدراً هاماً للبروتين الحيواني، وهي أنواع منها ما يعيش بالقرب من سطح الماء، مثل: السردين، والتونه، والجمبري والحوت وغيرها، ومنها ما يعيش في أعماق المياه مثل البقلة والهادوك وغيرها وهذا على سبيل المثال⁽⁴⁾.

(1) القرآن والكون: محمد عبدالله الشرقاوي، (99-100).

(2) العظمة في كل مكان: هارون يحيى، (24).

(3) انظر إلى: مظاهر كونية: محمد عبدالله، (88-89). بتصرف.

(4) انظر: الجغرافيا الاقتصادية: محمد محمود إبراهيم الديب، (348)، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1981م.

"لقد أورد القرآن العظيم ذكر الأسماك على اختلاف ألوانها وأنواعها وأشكالها وأحجامها باسم "اللحم الطري" وقد جاء بهذه العبارة مرتين، الأولى: في سورة النحل قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾⁽¹⁾. والثانية: في سورة فاطر قوله تعالى ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾⁽²⁾⁽³⁾.

ولكن انفرد القرآن بتعدد ذكر أضخم وأكبر أنواع الأسماك وهو الحوت الذي يعرف بملك البحر، ولقد سجل التنزيل حدثاً عن الحوت فيما حكاه القرآن عن نبي الله موسى عليه ﷺ وغلّامه فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾⁽⁴⁾.

قال ابن عباس: "كان حوتاً مملحاً في زنبيل* وكانا يصيبان منه غداءً وعشاءً، فلما انتهيا إلى الصخرة على ساحل البحر وضع فتاه الممثل فأصاب الحوت جري البحر فتحرك الحوت في الممثل، فقلب الممثل وانسرب الحوت"⁽⁵⁾.

وكذلك جاء ذكر الحوت في قصة سيدنا يونس ﷺ والذي لقب بصاحب الحوت ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾⁽⁶⁾.

كما جاء ذكر الأسماك في قصة أهل السبت من اليهود الذين حاولوا التحايل على أوامر ربهم بمنع الصيد يوم السبت، فكانوا يضعون شباكهم ليلة السبت ويسبتون يوم السبت ليسحبوها نهار الأحد، معتقدين أنهم يستهزئون بالله، فاستهزأ بهم الله تعالى ووصفهم بالفاسقين.

﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾⁽⁷⁾.

ومن خلال ذلك يتبين لنا مشروعية اتخاذ الأسماك غذاء طيباً، وكذلك في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ فإن في ذكر لفظ (الطري) مزيد فائدة؛ وذلك لأنه لو كان السمك كله مالحاً لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري فإنه لما خرج من البحر

(1) سورة النحل آية 14.

(2) سورة فاطر آية 12.

(3) انظر: عالم الحيوان بين العلم والقرآن: محمد محمود عبدالله، (33)، دار مكتبة الحياة، ط1 1996م.

(4) سورة الكهف آية 61.

* زنبيل: لغة في الزبيل، لسان العرب، لابن منظور، (373/11).

(5) جامع الأحكام: القرطبي، (14-13/11).

(6) سورة الصافات آية 142.

(7) سورة الأعراف آية 163.

الملح الزعاف الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة، علم أنه إنما حدث لا بحسب الطبيعة، بل بقدرة الله وحكمته حيث أظهر الضد من الضد⁽¹⁾.

في هذه الآية بيان أن الأسماك تعيش في البحر المالح، ولكن هناك أسماك تعيش في الماء العذب ولا يمكنها العيش في الماء المالح، وأخرى تعيش في الماء المالح ولا يمكنها العيش في الماء العذب، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلٌّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾⁽²⁾.

المقصود بالعذب الأنهار، ولقد بين ذلك فيما سبق؛ وفي كل من هذين البحرين المتناقضين في الطعم والطبيعة والحجم، لكل أسماكه وأنواعه المختصة به، ولكل طعمه المميز له، ويجمع بينهم القرآن بلفظ ﴿وَمَنْ كُلٌّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾⁽³⁾.

وبذلك فإن القرآن حث الإنسان على الانتفاع بما في البحر من ثروة سمكية من خلال حلية الصيد، حيث قال تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْسَيَّارَةِ﴾⁽⁴⁾. فتبارك الخلاق فيما خلق.

2- الملاحه:

والمقصود من ذلك السفن، حيث ذكرت حكمة السفينة في القرآن أربع مرات، ثلاث منها في سورة الكهف وواحدة في سورة العنكبوت، ووردت السفن بلفظ آخر وهو الفلك ثلاثاً وعشرين مرة، وكذلك بلفظ آخر وهو الجوار مرتين؛ مرة في الشورى ومرة في الرحمن بلفظ الجمع، أما في الحاقة فلقد جاءت بلفظ المفرد مرة واحدة⁽⁵⁾. وبالنظر إلى الألفاظ التي ذكرها القرآن في معنى السفينة وهي: الفلك والجواري، نجد أنها متقاربة المعنى، بينما كتب اللغة ذكرت أن معناها واحد وكلها تدل على السفينة، ولكن بعد تطلعي على كتب اللغة، وجدت أن السفينة تدل على تحية الشيء عن وجه الشيء كالقشر⁽⁶⁾.

وهذا ينطبق على حركة السفينة داخل الماء، فهي تقشط وتقشر وجه الماء قشراً بمقدمها، فتصبح كالإسفين تشق الماء شقاً، وكذلك الجارية فإنها تدل على حركة السفينة في الماء، فهي انسياح الشيء؛ يقال جرى الماء جرياناً وجرياً فأما السفينة فهي الجارية⁽⁷⁾.

(1) تفسير الكبير: الرازي، (206/14).

(2) سورة فاطر آية 12.

(3) عالم الحيوان بين العلم والقرآن: محمد محمود عبدالله، (33).

(4) سورة المائدة آية 96.

(5) معجم الفهرس الألفاظ القرآن: محمد فؤاد عبدالباقي، الصفحات، (205 / 637 / 432).

(6) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (79/3).

(7) انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (448/1).

وأما الفلك فتدل على استدارة الشيء، من ذلك فلكة المغزل، أما السفينة فتسمى فلكاً، ويقال أن الواحدة والجمع فيها سواء⁽¹⁾.

فإن الألفاظ دلت على حركة السفينة في الماء، حتى أن القرآن فرق في تعبيره عن حركة السفينة في الماء بالتدرج من البطيء حتى السريع، فقد قال تعالى: «رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ»⁽²⁾، وقال تعالى: «وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ»⁽³⁾، وقال تعالى: «وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرًا»⁽⁴⁾.

فجاءت الحركة بالإزجاج وهو السير البطيء بيسر ولين، ثم الجري، وذلك أسرع وأقوى، ثم المخر وهو أقوى وأعنف⁽⁵⁾. فمن هنا تبين كيف فرق القرآن في تعبيره عن حركة السفن في الماء.

ولقد عبر القرآن أيضاً عن المنافع التي ينعم بها البشر بهذه السفن وهي الشحن، فقال تعالى: «إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكَ الْمَشْحُونِ»⁽⁶⁾ أي المملوءة⁽⁷⁾، وعبر عنها مرة بلفظ الحمل قال تعالى: «وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكَ تُحْمَلُونَ»⁽⁸⁾.

وللسفن منافع أخرى غير شحن البضائع وحمل الناس وأمتعتهم، أيضاً تستخدم للصيد واستخراج اللؤلؤ والمرجان من قاع البحر، وكل هذه المنافع للسفن لغاية وهي «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»⁽⁹⁾. ولقد تحدث القرآن عن مهنة الملاحة في آية الكهف فقال: «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ»⁽¹⁰⁾.

قال المفسرون في هذه الآية: إن هؤلاء المساكين الذين يعملون على هذه السفينة هم ضعفاء يعملون بأجرة، ومنهم من قال: إنهم يملكون هذه السفينة، أو إنهم كانوا تجاراً، ولكن من

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (4/452)؛ ولسان العرب: لابن منظور، (10/579)؛ ومختار الصحاح: الرازي، (511).

(2) سورة الإسراء آية 66.

(3) سورة إبراهيم آية 32.

(4) سورة النحل آية 14.

(5) تفسير الكشاف: الزمخشري، (4/201).

(6) سورة الصافات آية 140.

(7) تفسير الأساس: سعيد حوى، (11/351).

(8) سورة غافر آية 80.

(9) سورة فاطر آية 12.

(10) سورة الكهف آية 79.

حيث هم مسافرون عن قلة في لجة البحر، وبحال ضعف عن مرافعة خطب عبر عنهم بمساكين⁽¹⁾. فالحمد لله الذي خلق لنا البحر وسخر لنا الفلك لتسير في هذا البحر العميق.

3- الحلية واللؤلؤ والمرجان:

الحلية، وهذه الزينة هي موضوع هذا الغرض وستعرض له كما يلي:

الحلية: كالحلي، الجمع: حلي وحلي وهو كل حلية حُلِّيت بها امرأة أو سيف ونحوه، والجمع حُلِّي⁽²⁾ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾⁽³⁾.

اللؤلؤ: الدر وينشأ في أصداف بعض أنواع المحار، واللؤلؤة واحدة لؤلؤ، والجمع لآلئ⁽⁴⁾.

المرجان: صغار اللؤلؤ؛ وهي عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف⁽⁵⁾.

قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾⁽⁶⁾.

في الآية السابقة ذكر منافع البحر منها، وأهمها الأكل، ثم ثنى بما يتزين به وهي الحلية من اللؤلؤ والمرجان، ونبه على غاية الحلية وهو اللبس، رغم أن فيها منافع غير اللبس كالشراء والتجارة وقيل: إن العذب يخرج منه لؤلؤ لا يلبس إلا قليلاً إنما يتداوى به، ويقال: إن في الزمرد بحرياً فأما لتأكلوا، فعام في النساء والرجال، وقوله: ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ خاص بالنساء، والمعنى: يلبسها نساؤكم. وأسند اللبس إلى الذكور؛ لأن النساء إنما يتزينن بالحلية من أجل رجالهن فكانها زينتهم ولباسهم⁽⁷⁾.

ولكنّ المفسرين اختلفوا من أين تستخرج هذه اللآلئ والمرجان، من البحر المالح أم العذب أم معاً؟

(1) جامع الأحكام: للقرطبي، (34/11).

(2) انظر: لسان العرب: لابن منظور، (207/14).

(3) سورة النحل آية 14.

(4) انظر: مؤنس رشاد الدين، (721).

(5) انظر: المرجع نفسه، (767)؛ ولسان العرب: لابن منظور، (499/13).

(6) سورة الرحمن آية 22.

(7) انظر: البحر المحيط: لأبي حيان، (465/5)؛ التفسير الكبير: الرازي، (451/29).

منهم من ذهب أنه من المالح فقط⁽¹⁾، ومنهم من قال من مجموعهما أي من المالح والعذب، وإذا وجد ذلك لأحدهما كفى كما قال تعالى: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ»⁽²⁾، والرسول إنما كانوا في الإنس خاصة دون الجن، وقد صح هذا الإطلاق⁽³⁾.

ويقول العلامة: ابن عاشور «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ» إن كان المراد بالبحرين معروفين من البحار المالحة تكون من في قوله (منهما) ابتدائية؛ لأن اللؤلؤ والمرجان يكونان من الملح، وإن كان المراد بالبحرين البحر الملح كانت من قوله (منها) للسببية كما في قوله تعالى: «فَمِنْ نَفْسِكَ»⁽⁴⁾.

أي يمزج اللؤلؤ والمرجان بسببهما، أي بسبب مجموعهما، أما اللؤلؤ فأجوده مكانة في مصب الفرات على الخليج العربي، قال الرّماني: "لما كان الماء العذب كاللقاح للماء المالح في إخراج اللؤلؤ قيل: يخرج منهما كما يقال يتخلّق الولد من الذكر والأنثى"⁽⁵⁾ فلقد حار المفسرون في تلك الآية، إذ كيف يفسرون أن اللؤلؤ والمرجان والحلية تخرج من أنهار تعاملوا معها كالنيل والفرات ودجلة وغيرها، وهي فعلاً خالية منها، ولكن بعد 1400 عام.

اكتشف بأن الأنهار تختلف في مواصفاتها كالحرارة والكثافة، وأمور أخرى، وفعالاً وجدوا أن أنهار العرب تلك لا يوجد فيها حلي مما وصفه القرآن؛ لأن مواصفاتها لا تسمح لها بتكوين تلك الحلي، ولكن اكتشفت هناك أنهار أخرى في العالم في أوروبا وأمريكا تتكون فيها تلك الحلي، وأيضاً من الخليج العربي والبحار المحيطة بجزيرة سيريلانكا⁽⁶⁾... الخ، فمن أخبر رسول الله ﷺ بذلك.

والآن حق لنا أن نتعرف كيف يتكون هذا اللؤلؤ والمرجان ونعرف طبيعته والبيئة التي يعيش فيها، فإن العلم يقول: إن المراحل التي يتم خلالها تشكل اللؤلؤ تعد بدورها مثيرة للحيرة، ويتشكل اللؤلؤ بصورة عامة داخل أجسام المحار التي تعدّ نوعاً من أنواع الصدفيات... وتمتاز قشور هذه الصدفيات بالمقاومة العالية لأنها تحتوي على كربونات الكالسيوم بنسبة عالية، وأيضاً لهذه الكربونات دور كبير في تشكل اللؤلؤ داخل أجسام الصدفيات... وذلك عندما تدخل قطع

(1) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي مسعود، (331/4).

(2) سورة الأنعام آية 130.

(3) انظر: تفسير العظيم: لابن كثير، (318/13).

(4) سورة النساء آية 79.

(5) التحرير والتتوير: طاهر بن عاشور، (51/3).

(6) انظر: المياه والبحار: خالد العبيدي، (42). بتصرف.

الخصباء أو الرمل داخل أجسام الصدفيات... فتقوم الصدفيات بإفراز مادة الصدف عليها... فهذه الأجسام الغريبة تعد نواه لتشكل اللؤلؤ.

ولكن كيف تتكون مادة الصدف داخل أجسام هذه الصدفيات؟ تتكون في الطبقات الداخلية لجلد المحار. فهناك مادتان أساسيتان تفرزان في تلك الطبقة؛ الأولى: تدعى (أراكونايت) وهي المادة الأساسية في تركيب اللؤلؤ؛ والثانية: تدعى (كونشيو لاين) وهي مادة لزجة تقوم بمسك طبقات الأراكونايت مادة شفافة تكسب اللؤلؤ بريقاً ولمعاناً، وإن وسيلة الدفاع لدى اللؤلؤ هي في نفس الوقت وسيلة من وسائل الزينة والتجميل بالنسبة إلى الإنسان⁽¹⁾. والله أعلم

هذا بالنسبة للؤلؤ، فسبحان الله في خلقه، وفي ملكوته.

أما المرجان فإنه يعيش في المياه الضحلة الاستوائية، وتتشكل من تكلس أجساد الكائنات المرجانية الميتة، وتعد هذه الشعب المرجانية مأوى مثالياً لكثير من الأحياء البحرية... وهذه الكائنات تعيش عيشة تكافلية مع الطحالب الموجودة في السطح الداخلي لأنسجتها الجسمية، وتحتوي الطحالب على الكلورفيل، وبهذا التكافل يستطيعان الاستمرار في الحياة؛ لأنهما لا يقويان على ذلك بمفردهما. وهذا يعني أن الطحالب الموجودة في أجسام الحيوانات المعوية الجوف توفر ما تحتاجه من مواد، وهي في الوقت نفسه تكون قد وجدت لنفسها ملجأً آمناً من الأعداء، فإن هذه الحيوانات المعوية الجوف تأخذ جزءاً من الغذاء الذي تنتجه الطحالب، وبذلك تستطيع أن تحصل على الطاقة اللازمة لبناء هيكلها الكلسية. وأيضاً إن الطحالب والحيوانات كل واحدة تحصل على ما هو ضروري لها من الأخرى⁽²⁾. والله أعلم

ثانياً: دورة المطر في الطبيعة.

إن مصادر المياه سواء كانت جوفية، أو سطحية، أو جوفية التي قد تحدثنا عنها، ليست منفصلة كل واحدة على حدة، وإنما هناك علاقة وثيقة بين هذه المصادر جميعاً.

فقد قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾⁽³⁾⁽⁴⁾.

الرجع: السحاب والمطر، وهنا أقسم الله بالسماء ورجعها بالمطر؛ لأنه يرجع كل عام بالرزق⁽⁵⁾.

(1) انظر: العظمة في كل مكان: هارون يحيى، (74). بتصرف.

(2) انظر: المرجع السابق، (72)؛ ومظاهر كونية في معالم قرآنية: محمد محمود عبدالله، (109). بتصرف.

(3) الرجع: ماء المطر؛ أو الغدير فيه الماء [انظر: لسان العرب: لابن منظور، (143/8)].

(4) سورة الطارق آية 11

(5) انظر: جامع البيان: الطبري، (539/12) بتصرف. والمحرم الوجيز: لابن عطية، (403/15)؛ وفي رحاب

التفسير: عبدالحميد كشك، (7951/9).

فإن مياه الأرض السطحية بأنواعها منها ما يتبخر فيصعد إلى السماء، ويتجمع على هيئة غيوم وسحب، ثم تنزل إلى الأرض على هيئة أمطار فستقي الإنسان والحيوان والنبات، ومنها ما يعود إلى مصدره الأول الذي تبخر منه مرة ثانية، ومنها ما يستقر في جوف الأرض، فيخرج على هيئة عيون وآبار، ومنه ما يجري على سطح الأرض من الأنهار والأودية فتتكون البحريات وهكذا... الخ.

وقد قرر ذلك العلم حيث يرى أن الإشعاع الحراري للشمس يثير تبخر الماء في المحيطات وجميع المسطحات المائية، فيتصاعد منه بخار الماء، فيشكل سحباً وعندئذ تتدخل الرياح لتؤدي دورها في نقل السحب، بعد تشكيلها إلى مسافات متنوعة، فهناك سحب لا تعطي مطراً، وسحب تعطي مطراً، وسرعان ما تتم الدورة بوصول المطر إلى البحار، أما المطر الذي يصل الأرض، فقد يمتص جزئياً بواسطة النبات، والجزء الآخر يتسلل بمقدار إلى التربة ليتجه نحو المحيطات عبر مجاري الماء، أو قد يتسرب في التربة ليعود عن طريق الينابيع أو الأماكن التي يخرج منها الماء إلى السطح⁽¹⁾. والله أعلم بكل شيء

ثالثاً: أهمية ووظائف المياه العذبة.

أ- حياة كل حي:

إن الماء سر الحياة وروحها، فإنه العنصر الأساسي للحياة واستمرارها لجميع الكائنات والنباتات، فلا حياة بدونه. فالإنسان قد يعيش فترة طويلة دون طعام، ولكن إذا فقد الماء، فقد حياته.

فقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽²⁾.

أي: جعلنا بقدرتنا وحكمتنا ونظامنا الماء أصل كل الأحياء، فلا يعيش بدونه إنسان، ولا حيوان، ولا شجر، ولا أي نبات، ومنه خلق الجميع⁽³⁾، فقد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾⁽⁴⁾، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾⁽⁵⁾.

"وتقرر هذه الآية حقيقة علمية أثبتتها أكثر من فرع من فروع العلم، فقد أثبت علم الخلية أن الماء هو المكون المهم في تركيب مادة الخلية، وهي وحدة البناء في كل كائن حي، نباتاً كان

(1) الإعجاز العلمي: محمد عبدالصمد، (121-122)؛ ومعجزة القرآن: نعمت صدقي، (46)؛ والكون والإعجاز العلمي:

منصور حسب النبي، (177-178)؛ ومن آيات الإعجاز العلمي: زغلول النجار، (73/2). بتصرف واختصار.

(2) سورة الأنبياء آية 30.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (400/9 - 401)؛ وتفسير الجلالين، (429)؛ في ظلال القرآن:

سيد قطب، (2376/4)؛ صفوة التفاسير: محمد الصابوني، (261/2)؛ المنتخب، (476). بتصرف.

(4) سورة النور آية 45.

(5) سورة الفرقان آية 54.

أو حيواناً، وأثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحويلات التي تتم داخل جسم الأحياء، فهو إما وسط أو عامل مساعد، أو داخل في التفاعل أو ناتج عنه. وأثبت علم وظائف الأعضاء أن الماء ضروري لقيام كل عضو بوظائفه التي بدونها لا تتوفر له مظاهر الحياة ومقوماتها⁽¹⁾.

وبذلك فكل شيء قائم على الماء؛ من المعروف أن الإنسان يعتمد في غذائه على النباتات والحيوان، وأن كلاً من الإنسان والحيوان يعتمد في غذائه على النبات، وأن النباتات تعيش على الماء، ولها دور أساسي في مد الغلاف الجوي بالأكسجين، فهي غذاء ومصدر حياة للحيوان والإنسان. والله أعلم

فالحمد لله الذي خلق الماء و سخره لنا.

ب- إحياء الأرض (الأرض الهامدة والأرض الخاشعة):

ويمكن إدراك ذلك من قول الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾⁽²⁾.
وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽³⁾.

الأرض الهامدة:

ففي الآية الأولى، يخاطب الله الناس جميعاً، إن كانوا في شك وريب من هذا اليوم العظيم من يوم القيامة الذي يحيي الله به الكائنات، فهاكم الدليل الذي لا جدال فيه.
فالآية تصور مشهداً عن مقدرة الله في بدء الخلق ليكون اليقين مضاعفاً ويزداد إيمان الذين آمنوا... فهذه الأرض الهامدة التي لا نبات فيها ولا حياة، يابسة مجدبة قاحلة، وقد أخذ الشح منها مأخذه فبدت صفراء شاحبة⁽⁴⁾، وإذا برحمة الله تأتي لتعيد رسم الصورة من جديد بألوان تعطي للحياة روحها وللأشكال والموجودات ألوانها ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾، حقاً إنها عظمة الخالق تتألف من خلال آياته الكونية.

(1) هامش كتاب تفسير المنتخب، (476)؛ وانظر: البيئة من منظور إسلامي: صالح وهبي (65).

(2) سورة الحج آية 5.

(3) سورة فصلت آية 39.

(4) القاموس المحيط: الفيروز أبابى، (419).

فحين نزول المطر على الأرض أنبتت من كل زوج بهيج [وبهيج الشيء: حسن ونضر (فلان): فرح وسر، وأبهجت الأرض: حسن نباتها]⁽¹⁾. فهذه البهجة التي تمتعت بها هذه المخلوقات إنما تدل على أول الخلق، فهي في أول مراحل نموها أو في مرحلة شبابها، حتى إذا تجاوزت عمر الشباب والقوة لتدخل مرحلة الكهولة والشيخوخة فلا ترى عليها بهجة، ولن تراها ناضرة: فقد أخذ الزمان منها مأخذ⁽²⁾.

وهكذا، وبعد أن دبت الحياة في هذه الأرض، فقد أمر الإنسان بأن يسير فيها ليتعرف على مخلوقات الله ويرى من آياته، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾⁽³⁾.

الأرض الخاشعة: ﴿أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾.

خشع: خضع وذل، وخاف (والشيء) سكن، والورق ونحوه: ذبل⁽⁴⁾، فالأرض الخاشعة، أرض فيها من الحياة والنبات، بيد أنها حياة تلفظ أنفاسها الأخيرة، تنرح على شفا جرف هار، فقد أحاط بها من العذاب الشديد، تستغيث بخشوع وتذل لما أصابها من جفاف وقلة ماء⁽⁵⁾. فمن مظاهر الخشوع أنك ترى الأرض مليئة بالنباتات المختلفة في أنواعها وأشكالها، ولكنها مشتركة في صفة واحدة، أنها جميعاً مهتدة الأغصان مصفرة الأوراق أو تكاد، فأكدت الآية أنك لو نظرت إليها لعلمت أنها بحاجة إلى قطرات ماء حتى تجدد نشاطها الذي كاد أن يتوقف.

فلقد أثبت العلم أن النبات يمر بمرحلتين ذبول، الأولى تسمى نقطة الذبول المؤقت والثانية تسمى نقطة الذبول الدائم، وما بين هاتين النقطتين يكون النبات على قيد الحياة المهتدة بالموت، فإذا بلغ النبات نقطة الذبول المؤقت يكون بذلك قد دخل مرحلة الخطر، إلا أنه يعود ليستأنف حياته الطبيعية إذا زود بالماء، فإذا ما تجاوز نقطة الذبول الدائم فإنه لا رجعة له بعد ذلك إلى حياة، أي أنه يكون قد ذبل ومات⁽⁶⁾. والله أعلم

(1) مختار الصحاح: الرازي، (67).

(2) تفسير في ظلال القرآن: سيد قطب، (2411/5).

(3) سورة الحج آية 46.

(4) انظر: لسان العرب: لابن منظور، (85/8).

(5) انظر: زاد المسير: لابن الجوزي، (53/4)؛ الأساس: سعيد حوى: (3528/7).

(6) المياه في القرآن: أحمد الديمي، (147).

وأخيراً لو عقدنا مقارنة بين الآيتين الكريميتين في سورتي الحج وفصلت، محاولة منا حصر العوامل المشتركة بينهما لوجدناهما مشتركين في لفظين هما: «اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ». فمعنى اهتزت: أي اهتز الشيء وتحرك، والنبات: نما وطال، والأرض أخصبت وأنبئت⁽¹⁾.

ربت: ربا الشيء: نما وزاد، والأرض: زادت وانتفخت لما بداخلها من الماء والنبات، ويقال ربا المال: أي زاد بالربا⁽²⁾.

وبعد، لقد ذكرنا في شرح آية الحج، أن هذه التربة هي تربة طينية بدليل أن الله قد خلق الإنسان من طين، وهي نفس الأرض التي اهتزت وربت.

وبذلك فإن العلم الحديث يوافق هذه الآية وهي اهتزاز الأرض وازدياد حجمها بالمطر، فالبحوث العلمية دلت على أن الأرض مسام يتخلله الهواء، وأن نزول المطر على الأرض يدفع الهواء ويحل محله...، وعند امتلاء مسام الأرض بالماء تتحرك جزيئات الطين بقوة دفع الماء في المسام. هذا وإن علم الكيمياء أثبت لنا أن الطين يتمدد بالماء وينكمش بالجفاف، فعندما ينزل المطر على الأرض تتحرك وتزداد في الحجم⁽³⁾. والله أعلم

فتشرب البذور وغيرها، وتنبت البذور تحت سطح التربة ببزوغ الجذير والريشة. وبذا تكون الأرض قد أنبتت، ثم يظهر التنتب فوق سطح التربة ويكبر ويثمر معطياً رزقاً للعباد، ويتم كل هذا وفق ترتيب محكم وزمن متقن؛ لأنه من صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه⁽⁴⁾.

﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽⁵⁾. لا إله إلا الله، وسبحانه ونحمده على كل شيء.

ج - النظافة والتطهير:

وقد أشار القرآن الكريم إلى الجانبين المعنوي والمادي للماء، وأن الماء هو أساس التطهير والتنبيت، وأن الله ﷻ خلق من الماء كل شيء حي.

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُنَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾⁽⁶⁾.

(1) المعجم الوسيط: (73/1).

(2) المعجم الوسيط: (73/1).

(3) روح الدين: عفيف طيارة، (57)؛ المياه في القرآن: أحمد الديمي، (150-155). بتصرف.

(4) مجلة الإعجاز العلمي: مقال (اختلاط الماء بالأرض الهامدة)، د. قطب عامر فرغلي، (29)، العدد الثامن، شوال 1421هـ.

(5) سورة الروم آية 50.

(6) سورة الأنفال آية 11.

وتظهر هذه الآية الكريمة أهمية نعمة الماء، واستخدامه في تطهير الأجسام مما علق بها أو تطهيرها من أضرار⁽¹⁾ الجنابة، كما تتمثل المنفعة المعنوية للماء في الربط على القلوب وتثبيت الأقدام⁽²⁾ يقول الله ﷻ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾⁽³⁾.

"الطهارة ضربان: جسمانية، ونفسانية وحمل عليها عامة الآيات"⁽⁴⁾.

طهر: لفظ يدل على نقاء وزوال الدنس ومن ذلك الطهر: خلاف الدنس...، والطهور: الماء⁽⁵⁾.

"واسم الماء الطهور وكل ماء نظيف: طهور، وماء طهور أي يتطهر به، وكل طهور طاهر، وليس كل طاهر طهوراً. وقال الشافعي ﷻ كل ماء خلقه الله نازلاً من السماء أو نابحاً من عيون في الأرض، أو بحر، لا صنعة فيه لأدمي غير الاستقاء، ولم يغير لونه شيء يخالطه ولم يتغير طعمه منه فهو طهور"⁽⁶⁾.

وأجمعت الأمة، لغةً وشريعةً، على أن وصف الماء (طهوراً) ولا يتعدى إلى سائر المعائنات وهي طاهرة، وإنهم يقصدون بذلك أن زوال الطهور هو المطهر⁽⁷⁾.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ وغير الله الأسلوب مظهراً للعظمة أي حيث لا ممسك للماء فيه غيره سبحانه فقال ﴿مَاءً﴾، ثم أبدل فيه بياناً للنعمة به فقال ﴿طَهُورًا﴾⁽⁸⁾.

إن هذه الأفعال تدل على البعث ولكن بنوع من الخفاء، أتبعها ثمرة هذا الفعل، فقال معبراً عن الأحياء، كذلك معللاً للطهور المراد به البعد عن جميع ما يدنسه مما يمنع كمال الانتفاع به⁽⁹⁾.

(1) أوزار: خلاف المنفعة [انظر: لسان العرب: لابن منظور، (1556/4)].

(2) انظر: تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (267/9)؛ ومن الإعجاز العلمي: حسن أبو العينين، (250/2).
بتصرف.

(3) سورة الفرقان آية 48.

(4) مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، (317)؛ وانظر: بصائر ذو التمييز: الفيروزآبادي، (528/3)-
(529).

(5) انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، (626).

(6) لسان العرب: لابن منظور، (582/4).

(7) انظر: أحكام القرآن: أبو بكر محمد عبدالله المعروف بابن العربي، (1416/3).

(8) نظم الدرر: البقاعي، (325/5).

(9) المرجع السابق نفسه.

﴿لُنْحِي بِه بِلْدَةٌ مِيَّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾⁽¹⁾.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ "هذا التعبير يلقي على الحياة ظل الطهارة، فإله سبحانه أراد الحياة طاهرة نقية وهو يغسل وجه الأرض بالماء الطهور الذي ينشئ الحياة في الموات ويسقي الأناسي والأنعام"⁽²⁾.

والمراد بـ "رحمته" المطر؛ لأنه رحمة للناس والحيوان بما ينبته من الشجر والمرعى⁽³⁾. وهي استعارة بديعة استعيرت فيها الرحمة للمطر، ثم رشحت لأن البشير يتقدم المبشر به ويجوز أن تكون تمثيلية ﴿بَشْرًا﴾ من تنمة الاستعارة داخل في جملتها⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿مَاءً طَهُورًا﴾ مبالغة في طاهر، وقيل مطهر للناس في الوضوء وغيره، وبهذا المعنى يقول الفقهاء: ماء طهوراً، أي مطهر، وكل مطهر طاهر، وليس كل طاهر مطهر⁽⁵⁾. ووصف الماء بالطهور في هذا المقام، إدماجاً لمنة في أثناء المنن المقصورة، ويكون كقوله تعالى: ﴿وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾⁽⁶⁾. وصف الطهارة الذاتية وتطهيره، فيكون هذا الوصف إدماجاً، ولولا ذلك لكان الأحق بمقام الامتتان وصف الماء بالصفاء أو نحو ذلك⁽⁷⁾.

هذا ما ذهب إليه المفسرون في معنى "الماء طهوراً" بينما ما قاله العلم الحديث: مع اكتشاف المكروبات والجراثيم يستطيع أن يقول: إن الماء الطهور هو كل ماء خلا من الجراثيم والأحياء المجهرية المضرة؛ وذلك لأن بخار الماء المتصاعد من الأرض يحتوي على كثير من الأحياء المجهرية المضرة وكذلك الرياح التي تحمل هذا البخار، ولكن أشعة الشمس، ما فوق البنفسجية وما تحت الحمراء، وغاز الأوزون - وهو غاز مطهر قاتل للجراثيم - والبرق، ومركبات كيميائية موجودة في طبقات الغلاف الجوي، هي التي تجعل الماء طهوراً بقتلها للجراثيم⁽⁸⁾. والله أعلم

(1) سورة الفرقان آية 49.

(2) تفسير الكبير: الرازي، (91/24)؛ والكشاف: الزمخشري، (276/3)؛ وفي ظلال القرآن: سيد قطب، (171/6)

(3) انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور، (61/14).

(4) محاسن التأويل: القاسمي، (251/4).

(5) التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزى الكلبي، (20/3).

(6) سورة الأنفال آية 11.

(7) التحرير والتنوير: لابن عاشور، (48/19).

(8) من علوم الأرض القرآنية: عدنان الشريف، (93).

ومما يجدر ذكره أن أهمية الماء ليست محصورة فيما ذكرناه، بل أيضاً تستخدم في الصناعة والتبريد، وهذه تحتل المرتبة الثانية بعد الاستخدامات الزراعية، وإن العلم يقول: بأن الإنسان يحتاج إلى (20) ألف لتر من الماء لإنتاج طن من الصلب، و(22) ألف لتر من الماء لإنتاج طن من الطوب، وغير ذلك من الصناعات التي تحتاج إلى آلاف اللترات من الماء؛ لذلك تحتاج الصناعة النامية -سنوياً- كميات كبيرة من الماء⁽¹⁾. والله أعلم

د - الشرب والسقاية:

إن من فوائد الماء الشرب؛ لأنه لا غنى للإنسان عن شرب الماء، وليس الإنسان فقط، بل كل ما حول الإنسان من حيوان ونبات إذا انقطع عنه الماء ذبل وجف ومات...
فقد ذكر القرآن آيات كثيرة تبين نعمة سقي الماء وشربه منها ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾⁽²⁾، ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾⁽³⁾، ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْفُسِيَّ كَثِيرًا﴾⁽⁴⁾، ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٍ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾⁽⁵⁾، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾⁽⁶⁾، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾⁽⁷⁾.

ولنأخذ هذه الآية على سبيل المثال ألا وهي: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

أي: أفرايتم أيها الناس الماء الذي تشربون، ءأنتم أنزلتموه من السحاب فوقكم إلى قرار الأرض أم نحن منزلوه لكم؟ ولو نشاء جعلنا ذلك الماء، الذي أنزلناه من المزن لكم، ملحاً وهو الأجاج، وبذلك لا تنتفعوا به في شرب ولا غرس ولا زرع، فهلا تشكرون ربكم على إعطائه ما أعطاكم من الماء العذب لمنافعكم وشربكم⁽⁸⁾

(1) انظر: النبات في القرآن: زغلول النجار، (4/131)؛ البيئة من منظور إسلامي: صالح وهيبي، (70).
بتصرف.

(2) سورة الشعراء آية 79.

(3) سورة الحجر آية 22.

(4) سورة الفرقان آية 49.

(5) سورة الفرقان آية 53.

(6) سورة النحل آية 10.

(7) سورة الواقعة آية 68-70.

(8) انظر: جامع البيان: الطبري، (10/61)؛ وجامع الأحكام: القرطبي، (9/161-162).

"وخص الماء بالذكر لأنه ألطف وأنظف، أو تذكيراً لهم بالإنعام عليهم"⁽¹⁾.

هذا في القرآن، بينما في السنة ذكرت من خلال الترغيب في سقي الماء والترهيب من منعه؛ لما لهذا الماء من أهمية تتوقف عليها حياة الأرض ومن عليها.

فقد أولت السنة الإنسان اهتماماً أكبر فجعل منع الماء عن إنسان ظمآن من موجبات العذاب الألمي فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل..."⁽²⁾.

أما بالنسبة للنبات فقال رضي الله عنه: فيما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: "لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلاء"⁽³⁾.

أما بالنسبة للحيوان فقال رسول الله ﷺ: "بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرّب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملاً خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له. قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: نعم في كل ذات كبد رطبة أجر"⁽⁴⁾.

فلما منّ الله على الإنسان بشرّب الماء العذب لم يتركه هكذا بلا آداب، بل هناك آداب للشرب كما للطعام فقال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾⁽⁵⁾.

قال ابن عباس: أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة. فأما ما تدعو الحاجة إليه وهو ما سد الجوع وسكن الظمأ، فمندوب إليه عقلاً وشرعاً، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس، ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال؛ لأنه يضعف الجسد ويميت النفس، ويضعف عن العبادة، وذلك يمنع منه الشرع ويدفعه العقل⁽⁶⁾.

(1) تفسير الكبير: الرازي: (183/29).

(2) ح: (42) ك المساقاة، (6)؛ إثم من منع ابن السبيل من الماء، ح (2358)، (ص 484)، وم: (ك) الإيمان، (46) ب غلط تحريم اسبال الإزار، والمن بالعطية، (ح 108). (ص 72).

(3) خ: (42) ك المساقاة، (3) ب من قال إن صاحب الماء أحق بالماء، (ح 2353)، (ص 483)، وم: (ك) المساقاة، (18) ب تحريم فضل بيع الماء، الذي يكون بالقلادة ويحتاج إليه لرعي الكلاء، (ص 817)، (ح 1566).

(4) خ: (42) ك المساقاة، (10) ب فضل سقي الماء، (ح 2363)، (ص 485).

(5) سورة الأعراف آية 31.

(6) جامع الأحكام: القرطبي، (138/4).

وتتمة للفائدة من بعض آداب شرب الماء: أن من هدي الرسول ﷺ أنه شرب قاعداً أكثر الأحيان وشرب واقفاً لبيان الجواز، ويبدأ باسم الله وبحمد الله بعد الشرب فيقول: الحمد لله الذي منّ علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا، وربما قال الحمد لله الذي أطعم وسقا وسوغه، وكان إذا شرب ناول من على يمينه وإن كان من على يساره أكبر منه سناً⁽¹⁾. وكان من هدية أيضاً أن أنس ﷺ قال: "إن الرسول ﷺ كان يتنفس في الشراب ثلاثاً"⁽²⁾ "وعن أبي قتادة ﷺ أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء"⁽³⁾.

هذا من ناحية آداب الشرب وأيضاً إن لشرب الماء فوائد للإنسان منها:

- 1- شرب الماء بمثابة عمل حمام لأعضاء الجسم.
- 2- تنشيط وظائف الكلية.
- 3- تنظيم حرارة الجسم.. فهو يخفض درجة حرارته مع ارتفاع درجة حرارة الجو الخارجي.
- 4- تجديد حيوية كل خلايا الجسم.
- 5- تنشيط الجهاز الهضمي وأعضاء الإخراج.
- 6- تخفيف سوائل الجسم.
- 7- يمنح الجسم الرطوبة اللازمة مما يكسب الجسم الليونة، ويحفظ للعينين البريق⁽⁴⁾.. وغير ذلك من الفوائد.

(1) انظر: زاد المعاد: لابن قيم الجوزي، (57/1)؛ مكتبة الصفا، ط1، 1423هـ/ 2002م.
(2) خ: (74) ك الأشربة، (25) ب النهي عن التنفس في الإناء، ح (5631)، (ص 1184)؛ وم: ك الأشربة، (16) ب كراهية التنفس في الإناء، واستحباب التنفس ثلاثاً خارج الماء، (ح=2=028) (ص 1083).
(3) المصادر السابقة نفسها.
(4) الماء في القرآن الكريم: فتحي عبدالعزيز العبادسة، ص(66)، 1422هـ/2002م؛ رسالة ماجستير.

المطلب الثالث

الغذاء

أولاً: النبات.

إن أنواع النبات متعددة وكثيرة لا تحصى، منها ما هو مأكّل الإنسان، ومنها ما هو مأكّل الحيوان، ومنها ما هو علاج ودواء، ومنها ما هو داء، وإن النباتات تتلاءم مع بيئتها تلاؤماً مناسباً لا يمكن لغير الله أن يصنعه، فلكل بيئة نباتات معروفة وخاصة بها، وهي مختلفة بالطبع عن غيرها، في كافة أجهزتها ما يجعل المتأمل يعجب ويستغرب من صنع وملك الله.

أ- عوامل نمو ونضج النبات.

1- التربة:

إن النبات عالم قائم بذاته، مازال العلماء مجتهدين في دراسته، وفي كل يوم يقطعون في كشف خصائصه أشواطاً شاسعة... وينبت النبات عموماً من بذرة تتوافر فيها خصائص وتتوافر لها ظروف خاصة، مثل توفر الماء الضروري للإنبات، والحرارة، والهواء، وكذلك التربة، والإضاءة⁽¹⁾..

أولها: اختلاف تربة الأرض.

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَّرَعٌ وَخَيْلٌ صِنُونٌَ وَغَيْرُ صِنُونٍَ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْصِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁽²⁾.

يقرر علماء النبات أن جذور النباتات تمتد في التربة لتمتص الغذاء من العناصر الملائمة⁽³⁾.

بينما علماء الجيولوجيا يقررون أن تربة القشرة الأرضية، التي تحطمت وتفتتت بفعل عوامل التعرية، جعلتها لا تتحد في عناصرها، بل صار لكل تربة طبيعتها وخواصها الذاتية... وهذا هو المعنى العلمي الذي تشير إليه الآية بأن قطعة الأرض الواحدة تتكون من عدة أجزاء متجاورة ومتلاصقة ولكنها تشمل في تكوينها مواد معدنية أو عضوية، أو بكتيرية مختلفة،

(1) الله والعلم الحديث: عبدالرزاق نوفل، (76-77). بتصرف.

(2) سورة الرعد آية 4.

(3) الإعجاز العلمي في القرآن: د. عبدالسلام اللوح، (ص202).

وعندما تستقي قطعة الأرض الواحدة نجد أن ثمارها متنوعة؛ لأن بها أجزاء طينية، وأخرى رملية إلى الثالثة مكسية، وإن كلاً منها يختلف عن الآخر اختلافاً تاماً، وعندما تستقي الأرض نجد أن ثمارها متنوعة في أشكالها، وألوانها وطعومها، من عنب، وخضر، ونخل، ورمان مع أنها كلها سقيت بماء واحد⁽¹⁾.

وإن سبب اختلاف لون التربة -على رأي (دافيد)- يرجع إلى مخلفات تربة النجوم القديمة التي تم طحنها، وإذا كان الأمر كذلك، فهذا يعني أن التربة الحمراء، الساقطة من الفضاء بصورة غبار دقيق تهبط في أمكنة معينة باستمرار لتصبح الأرض حمرة بها، وكذلك بالنسبة للسوداء والصفراء... الخ. وإن هذا سر بالغ الأهمية والاعتبار لما فيه من تنظيم غريب عجيب، وإذا أردت التأكد من صحة هذا الأمر نلاحظ اختلاف التربة على ظهر الكرة الأرضية من خلال شق الطرقات، أو في الحفريات، ستري اختلاف لون التربة بعد متر أو مترين عن سطح الأرض الحقيقي⁽²⁾، وهذا الأمر لا يتم عقلاً إلا بتخصيص الإله العظيم الفاعل المختار، القائل جل جلاله ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾⁽³⁾.
أي حسب ما تقتضيه حاجة ومصالح العباد، بدون زيادة أو نقصان، جل جلاله ما أعظم شأنه.

ثانيهما: الزراعة في الأرض المرتفعة.

قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾⁽⁴⁾.

إن لفظ «رَبْوَةٍ» في الآية الكريمة ما وضع إلا لحكمة سامية؛ وذلك لأنها تعني المكان المرتفع من الأرض، وأشجار الربي أحسن منظراً وأزكى ثمرًا للطافة هوائها وفعل الشمس فيها⁽⁵⁾.

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، (8/105-106)؛ والإعجاز العلمي: محمد عبدالصمد، (84)؛ والقرآن وإعجازه العلمي: محمد إسماعيل إبراهيم، (145)؛.

(2) انظر: سبعون برهان: عليوي، (253-255) بتصرف نقلاً عن كتاب الكون: دافيد برجاميني.

(3) سورة الحجر آية 21.

(4) سورة البقرة آية 265.

(5) انظر: معالم التنزيل: البغوي، (1/237)؛ ومحاسن التأويل: جمال القاسمي، (3/681). بتصرف؛ وفي

رحاب التفسير: عبدالحميد كشك، (1/508)

ولكن العلماء قالوا: إن الإعجاز العلمي في ذلك، أن الجئات، التي تنشأ في تربة تعلقو بنسبة كافية عن مستوى الماء والأرض، يجد المجموع الجذري لأشجارها متسعاً للنمو والتعمق والامتداد في الأرض، خاصة أن جذور أشجار الفاكهة تنزل إلى الأعماق أكثر من التي تنزل إليها جذور نباتات الحاصلات، وبذلك يتضاعف عدد شعيراتها الماصة، فتقوى على امتصاص أكبر كمية لازمة لتغذية سيقانها ومجموعها الجذري، على وجه عام، وبذلك يتضاعف محصولها ويبارك الله في ثمارها.

وهذا بخلاف البساتين التي تنزرع في تربة مستوى الماء الأرضي فيها قريب من سطح الأرض؛ إذ إنه في هذه الحالة تتعدم التهوية الكافية في منطقة الجذور، فيختنق الكثير منها ويموت، فتضعف الأشجار، ويزيدها ضعفاً عدم استطاعة هذه الجذور أن تمتد امتداداً حراً في التربة، من أجل هذا كان من الواجب على من أراد أن ينشئ بستاناً، أن يلاحظ ارتفاع الماء الأرضي⁽¹⁾. والله أعلم.

2- الماء:

معلوم ما للماء من أهمية في حياتنا، كما سبق وأن فصلنا ذلك⁽²⁾، فهو العامل المشترك الأعظم في كل العمليات الحياتية التي تحدث داخل جميع الكائنات، فقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيًّا﴾⁽³⁾.

وللماء في كيمياء النبات أمر عجيب، فقد تظل البذرة في التربة سنوات عديدة لا تنبت ولا تتحرك إلى أن ينزل عليها الماء فتبدأ العملية العجيبة (عملية الإنبات)، وهو ما أشار إليه القرآن في موضعين.

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾⁽⁴⁾، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽⁵⁾.

وقد سبق أن فصلنا هاتين الآيتين، من ناحية ما قاله علماء التفسير، ولكن هنا أذكر ما قرره العلم الحديث، حيث قال أحد العلماء وهو الدكتور: كارم السيد غنيم (وفور دخول الماء إلى

(1) الإعجاز العلمي: محمد عبدالصمد، (133-134).

(2) انظر: الدراسة، (ص 99-107).

(3) سورة الأنبياء آية 30.

(4) سورة الحج آية 5.

(5) سورة فصلت آية 39.

البذرة تحدث تغيرات فيزيائية، فتنتفخ البذرة لتزداد في الحجم، ولذا يتمزق الغلاف، وفي نفس الوقت تحدث عمليات كيميائية معقدة، فيبدأ الجنين بإفراز فيض من الأنزيمات المحللة للمواد الغذائية المدخرة في البذور والحببيات، فتحولها من مواد معقدة التركيب إلى مواد بسيطة التركيب صغيرة الجزيئات تنفذ خلال جدران الخلايا، وتقوم هذه الأنزيمات بتحليل بعض المواد الصلبة وتحولها إلى مواد رخوة لبنية اللون والقوام حلوة الطعم سهلة الهضم والامتصاص⁽¹⁾.

وإن الماء يتميز بخاصية الشد السطحي، والنباتات -بواسطة هذه الخاصية- تقوم بضخه من أعماق نقطة تحت سطح التربة إلى أعلى نقطة فوقه... فالقنوات الناقلة الموجودة في جذور النبات وأوعيته الناقلة مصممة كي تستفيد من هذه الخاصية، فهي تزداد ضيقاً كلما اتجهت إلى أعلى، وهذا الضيق يساعد الماء على التسلق نحو الأعلى، ولو كان الشد السطحي للماء قليلاً لما استطاعت النباتات البرية العيش على الإطلاق⁽²⁾.

وإن في هذا دليلاً على أن الطبيعة والكائنات الحية لا يمكن أن تكون قد ظهرت بمحض المصادفة، بل إنها مخلوقة من قبل الله خالق السموات والأرض وما بينهما، ولو لاحظنا أن آيات القرآن الكريم قد ركزت مراراً على أهمية المطر في إحياء الأرض الميتة، وأيضاً ذكرت أهمية الري الطبيعي عن الري الصناعي فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾⁽³⁾، أي: "أنها ليست مذلة بالحرارة ولا معدة للسقي في الساقية"⁽⁴⁾.

وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾⁽⁵⁾.

وقد تحدثنا في هذه الآية فيما سبق. ولكن الحقائق العلمية والفائدة الناتجة من هذا الأمر أن الأشجار التي تروى بماء السماء، خاصة الواابل الضخم القطر، الذي ينزل إلى باطن الأرض، يحث الجذور على التعمق في التربة، بخلاف الأشجار التي تروى رياً صناعياً، خفيفاً متكرراً، وكما هو الحال في مصر فيصبح أكثر جذورها قريبة من سطح الأرض فتتزاحم وتتعرض للعطش إذا ما جفت الطبقة السطحية من التربة، مما قد يؤثر تأثيراً كبيراً على مجموعها الخضري⁽⁶⁾. والله أعلم

(1) النبات والنبات: خالد العبيدي، (13/7).

(2) انظر: العظمة في كل مكان: هارون يحيى، (26)؛ معجزة النبات: هارون يحيى، (116-117). بتصرف.

(3) سورة البقرة آية 71.

(4) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (451/1).

(5) سورة البقرة آية 265.

(6) الإعجاز العلمي: محمد عبدالصمد، (135).

هذه حقيقة توصل إليها العلماء من خلال الري الطبيعي بالمطر والواابل خاصة، وكذلك بالري الصناعي القليل المنقطع؛ فالأول يعطي ثماراً أكثر من الثاني.

وهناك حقيقة علمية تحتاج إلى تحليل ودراسة علمية، وهي أن الواابل أثناء نزوله من السماء، ومروره في الغلاف الجوي للأرض، يذيب في طريقه مواد هامة صالحة لتغذية النبات والأشجار، مزيدة في درجة خصوبتها إلى درجة محسوسة جداً... ومن المواد التي يذيبها الواابل في الهواء، في طريقه إلى الأرض ويمد بها البستان، جزئيات دقيقة من الحديد الذي لا غنى عنه، لتكوين الكلوروفيل، والمساعدة على إجراء عمليتي الأكسدة والاختزال داخل خلايا النباتات ومحتويات نشادرية... وغير ذلك من المحتويات، وأيضاً فإن هذا الواابل يغسل النبات وينظفها، ويزيل ما قد تراكم عليها من الغبار، ويزيل كل ما على الورقة مما يعطل أداء وظائفها الأخرى⁽¹⁾... الخ.

وهذا الخير موجود في المطر الواابل النازل من السماء، لا نجده في الري الصناعي بالرش أو أي وسائل أخرى، لما في ماء السماء من بركة تزيد الأرض خصوبة، وفي ذلك دعوة إلى التأمل في آيات الله الكريمة حتى يستغل الإنسان أرضه أحسن استغلال، حتى يعود على الإنسان الخير والمنفعة. والله أعلم

ولكن يطرح هنا سؤال: هل حياة النبات ترتكز على الماء فقط ؟

إن نمو النبات لا يرتكز على الماء فقط وإنما للتربة أهمية ودور في نمو النبات ولكن بجزء ضئيل جداً جداً.

وإن الذي جعلنا نقول: ليس التركيز على الماء، أن هناك عنصراً لنمو النباتات هو غاز النيتروجين الذي بدونه لا ينمو، وهناك وسيلتان يدخل بواسطتهما النتروجين في التربة الزراعية وهي عن طريق عواصف الرعد، فكلما أومض البرق وحد بين عنصرين هما: الأوكسجين والنيتروجين، فيسقطهما المطر على الأرض كنيتروجين مركب، أما الوسيلة الثانية فعن طريق نشاط جراثيم بكتيريا معينة تسكن في جذور النباتات البقلية... وهذه الجراثيم تأخذ نتروجين الهواء، وتحوله إلى نيتروجين مركب، وحين يتحلل النبات يبقى هذا النيتروجين المركب في الأرض⁽²⁾.

وهذا لا يدل على أن الماء لا فائدة له ولكن الحياة كلها به.

(1) المرجع السابق، (135-136)؛ معجزة النبات: هارون يحيى، (107-108). بتصرف.

(2) انظر: روح الدين: عفيف طيارة، (73)؛ سبعون برهاناً: عليوي (190-192)؛ النبات والإنبات: خالد العبيدي، (14/7-15). بتصرف.

3- الهواء:

يعد الهواء، بما فيه من أوكسجين، من الأهمية بمكان لاستمرار الحياة، والمحافظة عليها، وتحتاج كل الكائنات الحية إلى الأوكسجين لإتمام وظائفها الحيوية.

ولقد نبهنا القرآن الكريم إلى أن للهواء وظائف عديدة منها تلقيح الأزهار، فقد قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾⁽¹⁾.

إن هذه الآية سبقت الإشارة⁽²⁾ إليها وهي أن الرياح تلقح السحاب فينزل بذلك الماء، وهي أقرب إلى هذا المعنى، خاصة وأنه لم يرد في الآية ذكر النبات، ولكن ما هو مطابق للواقع أنه يتم تلقيح النبات عن طريق الرياح، فإنها تقوم بدور فعال في نقل مادة اللقاح من الذكر إلى الأنثى، وهذا أمر ثابت علمياً بين كثير من النباتات؛ فكثيراً ما يشاهد في جو الغابات غيم كأنه عاصفة رملية، وما هذا الغيم إلا حبوب اللقاح يحملها الهواء إلى حيث يتم إخصاب النبات⁽³⁾.

وقد جاء في تفسير المنار (عن مستر أجنيري) المستشرق الذي كان أستاذ اللغة العربية في مدرسة أكسفورد في القرن الماضي أنه قال: "إن أصحاب الإبل قد عرفوا أن الريح تلقح الأشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوروبا بثلاثة عشر قرناً نعم إن أهل النخيل اهتموا إلى إنائها، ولكنهم لم يكونوا يعلمون أنا لرياح تفعل ذلك ولم يفهم المفسرون هذا من الآية، بل حملوها على المجاز"⁽⁴⁾.

يقول اللورد أفيري في كتابه: (محاسن الطبيعة وعجائب الكون): "وقد ثبت عندنا الآن أن المقصود من ظهور الزهر بألوانه البديعة وتعطره بالروائح الزكية... كل هذه وسائل لاجتذاب الحشرات، وأن تلك الحشرات التي تنتقل من زهرة إلى زهرة، تنتقل معها الغبار مما يعلق بأرجلها وأجنحتها وسائر جسمها... وبواسطتها يتم تلقيح قسم كبير من النباتات... أما الوساطة الأخرى فهي الرياح، ومن آيات حكمة الطبيعة أن الأزهار المعمول في تلقيحها على الرياح تكون صغيرة جداً... ولكنها كثيرة على الشجرة الواحدة، وفيها من الغبار الشيء الكثير؛ وذلك لأن احتمال انتقال اللقاح من غبار الزهرة الواحدة إلى فم المبيض من زهرة إلى أخرى احتمال قليل، وإذا اتفق ذلك أن ترى في جو غابة من الصنوبر غيماً من الذرات المتطايرة في

(1) سورة الحجر آية 22.

(2) انظر الدراسة ص (59)

(3) القرآن وإعجازه العلمي: محمد إبراهيم، (133).

(4) تفسير المنار: محمد رشيد رضا، (210/1).

الهواء، وكنت تعلم أنه ليس عفراً، ولا عثيراً، أو غباراً اعتيادياً، فاعلم أنه غبار الزهر المحمول على أجنحة الريح هباءً منثوراً⁽¹⁾ أ. هـ. والله أعلم

4- سنة الله في الإنبات:

إن الله سنة في الإنبات، وبث الحياة في الموات فهو سبحانه القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾^(**) وَالنَّوَى^(***) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا...﴾⁽²⁾.

لهذه الآية معنى ظاهر وباطن... وليس هناك من هو أقدر على فهم باطنها إلا من أوتي بذخيرة علمية ثقيلة...

فإن معناها الظاهر: إن الله هو الذي يهيم بقدرته على مصير الحبة الجافة، والنوأة الساكنة، فيهب كليهما الحياة، وتنشق كل منهما عن جنين بعد سكون، فنراها وقد ارتفع ساقها واتجه جذرها إلى الأرض باحثاً عن عناصر الغذاء⁽³⁾.

أما المعنى الباطني: أن النظرة العلمية ترى في الآيتين معاً، أن هناك علاقة وطيدة بين قوله تعالى ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾، ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ فظهور الضياء بانفلاق الصباح من الظلام هو حد ذاته عنصر أساسي في نمو النبات والأشجار وهو الضوء، وذلك فإن الحب والنوى هو اليبس الميت الذي لا حراك فيها أمام الناظر، فإنه تتفلق منه الحياة عند غرسها في التربة وتعهدها بالري... وأيضاً حتى تتفلق تحتاج إلى ضوء الشمس، فضاء الشمس يقوم بعملية التمثيل الكلوروفلي الذي تنتج عنه المادة الخضراء اللازمة لتكوين المادة الغذائية داخل عروق النبات، وفي ذلك دلالة على أن الحي من النبات يستمد حياته من الأرض، ومن الضياء وهما شيئان ميطان⁽⁴⁾. والله أعلم

(1) انظر: سبعون برهاناً: عليوي، (210-211)؛ والنبات والإنبات: خالد فائق العبيدي، (20/7)؛ معجزة النبات: هارون يحيى: (34-36). بتصرف.

(*) فالق: الفلق والفتق الشق في الشيء مع إيانة بعضه عن بعض. [لسان العرب: لابن منظور، (372/10)]

(**) الحب: الثمر يكون في الأكمام والسنبل. [لسان العرب: لابن منظور، (346/1)]

(**) النوى: جمع نوأة، ما تكون في التمر والزبيب وما شامله. [مختار الصحاح: الرازي، (687)]

(2) سورة الأنعام آية 95-96.

(3) انظر: تفسير الواضح: محمد حجازي، (82/7)؛ وتفسير المنار: محمد رشيد رضا، (630/7)؛ تفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/4ح/7-1321-1322). بتصرف.

(4) انظر: القرآن وإعجازه العلمي: محمد إبراهيم، (131)؛ والإعجاز في الإسلام: محمد عبدالصمد، (142)؛ ومعجزة القرآن: نعمت صدقي، (61)؛ والنبات والإنبات: خالد فائق العبيدي، (19/7). بتصرف.

ب - أصناف وأنواع وزوجية النبات:

1- أصناف ونوعية النبات:

إذا أردت أن تطلع على بعض أنواع النبات فانظر إلى قول الله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿۱﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿۲﴾ وَزَيَّتُونَا وَنَخْلًا ﴿۳﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿۴﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿۵﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾⁽¹⁾.

ينزل الماء من السماء صبا متخللاً الأرض إلى الحبة، فتبعث الإرادة الإلهية الحياة الكامنة فيها فتتطلق في اتجاهين: الجذر للأسفل، والمجموع الخضري للأعلى، ولكنه ضعيف لا يقوى على شق الأرض فيشقها الخالق لتخرج هذه الأوراق الضعيفة ثم تكبر لتكون النوع الذي أراد الله لها أن تكون مما ذكر في الآيات من طعام للإنسان أو حتى للأنعام⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿۳﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾.

فقد قال طنطاوي جوهر: "علم أن أعداد النبات على الأرض، على حسب ما قال اللورد أفبري" في كتابه "محاسن الطبيعة": يبلغ خمسمائة ألف صنف، وهذا مجرد عدد. ويقول: أما الخواص والمنافع فالمعلوم منها قليل، وإن هناك نباتات محفوظة في متاحف لم يسمها الناس باسم لأنها من النباتات المنقرضة، وكل يوم يعثر الناس على أصناف جديدة من النبات، فهناك نباتات مجهولة محفوظة، وأخرى لم يعثر عليها، فإذا ضم المجهول المحفوظ في المتاحف إلى ما يكشف كل يوم كان العدد أكثر من ذلك، فمن هذه النباتات ما هو للتغذية، ومنه ما هو للملبس، ومنه ما هو لدواء، ومنه ما هو فاكهة، ومنه ما هو مطعم البهائم"⁽⁴⁾.

وقد أشار الله إلى هذه الأنواع، فقد ذكر بعض من الخضروات مثل: القثاء والثوم والبصل واليقطين... الخ، فقد قال تعالى: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتَبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾⁽⁵⁾.

(1) سورة عبس آية 24-32.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (14/251-253)؛ والتحرير والتوير: طاهر بن عاشور، (15/130)؛ وفي ظلال القرآن: سيد قطب، (6/3832)؛ وتفسير الرازي، (31/62). بتصرف.

(3) سورة الشعراء آية 7-9.

(4) الجواهر في تفسير القرآن: طنطاوي جوهر، (13/5).

(5) سورة البقرة آية 61.

وكذلك الفاكهة قال تعالى: ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿١﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢﴾ وَحَدَائِقَ غُبَا ﴿٣﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٤﴾﴾. ذكر في هذه الآية الفاكهة عامة، ولقد خصص في ذكر العنب والنخل فقال: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِمَّنْ طَلَعَهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ ﴿٢﴾﴾، وقال ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴿٣﴾﴾.

ويقول الرازي: "اعلم أنه (تعالى) ذكر هنا خمسة أنواع من الأشجار: الزرع والنخل والعنب والزيتون والرمان، وإنما قدم الزرع على الشجر؛ لأن الزرع غذاء، وثمار الأشجار والفواكه. والغذاء مقدم على الفاكهة وإنما قدم النخل على سائر الفواكه؛ لأن التمر يجري مجرى الغذاء بالنسبة إلى العرب... وإنما ذكر العنب عقب النخل لأن العنب؛ أشرف أنواع الفواكه، ولقد فصل الرازي فوائد كل نوع من أنواع هذه الفواكه فمن أراد أن يستفيد من ذلك يرجع إلى كتاب التفسير" (4).

﴿جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾ أي بساتين ممسوكات مرفوعات ﴿وَعَيْرٍ مَّعْرُوشَاتٍ﴾ غير مرفوعات وقال ابن عباس "معروشات: ما انبسط على الأرض مما يعرش مثل الكروم والزرورع والبطيخ، وغير معروشات على ساقه كالنخل وسائر الأشجار (5)، والأشجار أكبر النباتات حجماً وقد يفوق ارتفاع بعضها مبنى مكون من ثلاثين طابقاً، وتستمر الأشجار في النمو طوال حياتها والشجرة هي أكبر الأحياء المعروفة عمراً، حيث يبلغ عمر بعض الأشجار آلاف السنين... الخ (6). وللنباتات فوائد كثيرة وفضائل تختلف عن بعضها باختلاف أعضاء التذكير والتأنيث فيها، فلكل نبات ذكر وأنثى، وهكذا سائر الزروع والشجر والأزهار، إما أن تكون جميلة كالورود والرمان والبرتقال، وإما أن تكون غير جميلة كالصفصاف والإثل (7). لذلك عني القرآن بذكر الشجرة عناية فائقة وأبرز ما فيها من منافع، وهذا ما سوف نتحدث عنه - إن شاء الله - لاحقاً.

وكل هذا فيه علامة واضحة على وجود الله ووحدانيته وكمال قدرته.

(1) سورة عبس آية 28-31.

(2) سورة الأنعام آية 99.

(3) سورة الأنعام آية 141.

(4) تفسير الكبير: الرازي، (211/3).

(5) انظر: جامع الأحكام: القرطبي، (98/7).

(6) الموسوعة العربية، (63/25-65)، مؤسسة أعمال الموسوعة، ط2، 1419هـ-1999م.

(7) انظر: الإعجاز العلمي: د. عبدالسلام اللوح، (202)؛ ودلائل التوحيد: التليدي، (278).

2- زوجية النبات:

تأمل السنة الإلهية في النبات وغيره كالحوانات، وأيضاً الإنسان نفسه، وهي الزوجية، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ...﴾⁽¹⁾.

"قرر العلم الحديث أن أزهار -النباتات على اختلاف أنواعها- تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أزهار مذكرة، وأزهار مؤنثة، وأزهار خنثى تجمع الناحيتين من عضو التذكير وعضو التأنيث معاً، ومن الأمثلة الموضحة لذلك النخيل منه نوع مذكر وآخر مؤنث، ونبات الذرة يحمل في وقت واحد أزهاراً مذكرة وأخرى مؤنثة، ونبات الفول له زهرة تجمع بين عضوي التأنيث والتذكير معاً، وبذلك تتوالد الأنواع وتتكاثر"⁽²⁾. والله أعلم

وهكذا جميع الأشجار المثمرة، والنباتات المزهرة، والنجليات ذات البذور نوات الفلقة أو الفلقين، فقد خلق الله فيها أعضاء للتذكير وأخرى للتأنيث، وبها يستمر مصنع الحياة بالدوران، فينتج ذكوراً وإناثاً من كل زوج بهيج، وهذا ما لا يصدق العقل على الإطلاق بأنها وجدت هكذا بالمصادفة العمياء، وما هي هذه المصادفة التي تحقق ميزان التعادل بالتساوي في خلق الذكور والإناث، وهذا ما نلاحظه في تساوي أعضاء النباتات وهذا التساوي يكون في جميع الحيوانات حسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية⁽³⁾. والله أعلم

فيقول الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾⁽⁴⁾، زوجين: أي صنفين، كالذكر والأنثى والسماء والأرض والشمس والقمر والسهل والجبل... الخ⁽⁵⁾.

(1) سورة الرعد آية 3.

(2) القرآن وإعجازه العلمي: محمد إسماعيل إبراهيم، (125)؛ النبات والنباتات والحيوانات والحشرات: خالد العبيدي، (20/7).

(3) انظر: سبعون برهاناً علمياً: عليوي، (203)؛ النبات في القرآن: زغلول النجار، (161-158/4). بتصرف.

(4) سورة الذاريات آية 48-49.

(5) انظر: تفسير العظيم: لابن كثير، (221/13)؛ تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، (693).

وينطبق هذا على ما في الذرة من نواة مركزية لها شحنة كهربائية موجبة، يدور حولها عدد من الإلكترونات التي هي عبارة عن جسيمات مشحونة بكهرباء سالبة⁽¹⁾.

والله أعلم بكل شيء

ويقول ﷺ: «سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ»⁽²⁾، فقله تعالى: «مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ» بيان للأزواج، وكذا قوله تعالى: «وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ» فبين تعالى أن الأزواج محصورة وفي هذه الأمور الثلاثة: التي لا يخرج عنها شيء من أصناف المخلوقات، وهي:

1- ما تنبته الأرض كافة زوجان.

2- وما تلده الحيوانات من الذكور والإناث زوجان.

3- ومما لا نعلمه كما في أصناف البحر والبر، سماء وأرض، وليل ونهار، وما فيها وما عليها وكلها مخلوقة ذكوراً وإناثاً⁽³⁾. وإن هذا كله لم يهتد إليه الإنسان إلا بعد نزول القرآن.

ج- فوائد النبات:

للنباتات أهمية كبيرة بالنسبة لحياة الإنسان والحيوان سواء كانت أشجاراً، أو أزهاراً لما تعود عليه بالمنفعة، إما أن تكون دواء أو غذاء، ولقد خلق الله ﷻ الملايين من الأنواع النباتية. ويذكر القرآن العديد من هذه الثمار والحبوب منها العنب والتين والزيتون وغيرها. وأمرنا الله ﷻ بالمحافظة عليها وعدم الإسراف فيها أو إتلافها، يقول الله تعالى: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى»⁽⁴⁾، وغيرها من الآيات⁽⁵⁾.

ولقد حث الإسلام على الزراعة وعدم ترك الأرض بدون زراعة، ومنع قطع الأشجار إلا لمنفعة ظاهرة؛ فقد قال رسول الله ﷺ: "من أحيا أرضاً ميتاً فهي له"⁽⁶⁾. ويمكن أن نلخص أهم فوائد النباتات فيما يلي:

(1) انظر: روح الدين: عفيف طبارة، (55)؛ المعجزات القرآنية: هارون يحيى، (37). بتصرف.

(2) سورة يس آية 36.

(3) سبعون برهاناً: عيلوى، (204).

(4) سورة طه آية 53.

(5) سورة المؤمنون آية 19-20؛ سورة الأنعام آية 99-141؛ سورة الأعراف آية 57-58؛ سورة الحجر آية 20-19.

(6) خ: (41) ك الحرث والمزارعة، (15) ب من أحيا أرضاً مواتاً، (ح2335)، (ص480).

1- الغذاء:

لقد أمدنا خالقنا - الذي خلق لنا بطوناً تجوع - بما يشبعنا ويسد حاجتنا من ألوان الطعام المختلفة، فأمر التراب الصالح والبذور النابتة والرياح والمطر، والبحار والليل والنهار والهواء، وغيرها، أن تتعاون جميعاً في نظام منسق لإعداد طعام الإنسان في هذا المطعم الأساسي الذي كونه ربه لتوفير طعام ساكني الأرض، سواء كان إنساناً أو حيواناً ولقد ذكر القرآن الكثير من هذه النباتات، فقد أشار القرآن للغذاء الأساسي والأهم للبشر والذي تشترك فيه كل شعوب الأرض وهو القمح والشعير، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنبَلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾.
وإذا تأملنا قصة سيدنا يونس فقد ذكر نبات اليقطين حيث قال تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾⁽²⁾.
واليقطين لغة هو نبات القرع.

بعد معاناة شديدة لسيدنا يونس عليه السلام من نقص الأوكسجين وظلمة بطن الحوت وحرارته وألم سلخ الجلد، جراء الإفرازات المعدية للحوت، فضلاً عن ما دخل في جوفه من هذه الإفرازات، ناهيك عن الرعب.. الذي يصاحب تلك الأجواء المخيفة، خرج سيدنا يونس عليه السلام من بطن الحوت بأمر ربه ﴿فَنَبِّدْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾⁽³⁾، كان هذا الخروج مرآ... أمر الله نباتاً موجوداً في تلك الأرض يدعى اليقطين وهو القرع كما أسلفنا، أن يلتف حول جلد هذا النبي الصابر، وهذا النبات اليوم يعد غذاء؛ لأنه نبات سهل الهضم، كثير النفع للمعدة والأمعاء.

وغير ذلك ذكر القرآن من النباتات كالغذاء للإنسان كالزيتون والنخيل والرمان والأعشاب، فقد قال تعالى: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهِ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٤٥﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلَّاتِكِينَ﴾⁽⁴⁾، فإن هذه الشجرة المباركة تثمر زيتوناً تصنع منه الزيوت التي يدهن بها وتتخذ إداماً للآكلين.

يقرر العلم أن شجرة الزيتون من الأشجار الخشبية التي تعمر طويلاً... وتفيد الأبحاث العلمية أن الزيتون يعد مادة غذائية جيدة، ففيه نسبة كبيرة من البروتين، كما يتميز بوجود الأملاح الكلسية والحديدية والفسفاتية، وهي مواد هامة وأساسية في غذاء الإنسان، وعلاوة على ذلك فإن الزيتون، الذي يحتوي على نسبة عالية من الدهون السائلة، تفيد الجهاز الهضمي عامة،

(1) سورة البقرة آية 261.

(2) سورة الصافات آية 146.

(3) سورة الصافات آية 145.

(4) سورة المؤمنون آية 19-20.

والكبد خاصة. ويفضل زيت الزيتون كافة أنواع الدهون الأخرى النباتية أو الحيوانية؛ لأنه لا يسبب أمراضاً للدورة الدموية، كما أنه ملطف للجلد، إذ يجعله ناعماً مرناً⁽¹⁾... الخ.

هذا بالنسبة للزيتون فالنظر إلى النخيل والرمان فقد قال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَتَخْلُ وَرْمَانٌ﴾⁽²⁾. فانظر إلى شجر النخيل، وما ينتجه من ثمرة مفيدة في الغذاء وقد أمر الله مريم لما جاءها المخاض أن تهز إليها بجذع النخلة ليتساقط عليها رطب جني؛ والتمر يحتوي على نسبة مرتفعة من السكريات (76% تقريباً)، ويستفيد الجسم من التمر في إنتاج طاقة عالية وسعر حراري عالٍ، كبير علاوة على ما يحتوي عليه من عناصر الكالسيوم والحديد والفسفور وكميات من الفيتامينات الواقية من مرض البلاجرا، مما يجعل التمر غذاءً كاملاً⁽³⁾. وغير ذلك من النبات الذي فيه غذاء سواء ذكر في القرآن أم لم يذكر.

2- العلاج:

كما بينا أن النبات غذاء فإنه علاج أيضاً، فيما سبق تحدثنا عن أن الزيتون غذاء للإنسان، وأيضاً فإنه علاج لكثير من الأمراض، فلقد قام الدكتور حسان شمسي باشا - استشاري أمراض القلب بمستشفى الملك فهد بجدة - بإجراء بحث معمق في هذا الموضوع، اعتماداً على بحوث عالمية أخرى نشرت في مجلات طبية. وقد توصل الباحث إلى استنتاجات مهمة عديدة تتعلق بدور زيت الزيتون الحيوي في علاج الأمراض وتقوية الجسم، منها:

- 1- يقلل من معدل الكوليسترول في الدم.
- 2- يقلل الإصابة بالجلطة القلبية.
- 3- يقلل من معدلات الوفيات.
- 4- يقلل من استخدام أدوية ضغط الدم.
- 5- يقلل من الإصابة بالسرطان، ومنها سرطان الثدي والرحم والمعدة والأمعاء والجلد والقولون.
- 6- يقتل قمل الرأس.
- 7- يقلل قرحة المعدة.

(1) الإعجاز العلمي في القرآن: د. عبد السلام اللوح، (206)

(2) سورة الرحمن آية 68.

(3) القرآن وإعجازه العلمي: محمد إسماعيل إبراهيم، (157).

8- يقلل من الإصابة بالتهاب المفاصل نظير الرثوي.

9- يقوي إنتاج الحليب عند الأمهات المرضعات⁽¹⁾. والله أعلم

هذا بالنسبة إلى شجرة الزيتون فانظر إلى شجر النخيل، وما ينتج من ثمرة مفيدة في الغذاء والدواء، ولذلك جعله الله من شجر الجنة، وقد أمر الله مريم، لما جاءها المخاض، أن تهز إليها بجدع النخلة ليتساقط عليها رطباً جنياً، وقد قال تعالى أيضاً: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾⁽²⁾⁽³⁾.

"يثبت العلم أن أكثر الطعام للإنسان الفاكهة بأنواعها المختلفة، فقد جمع فيها سبحانه من الغذاء والدواء ما جعلها مكتملة العناصر اللازمة لصحة الأبدان، وقد خص الله العليم الخبير بعض أنواع الفواكه بأنها ذات فائدة؛ فإن الرمان يحتوي لبه على نسبة مرتفعة من حمض الليمونيك الذي يساعد بتأثيره على تقليل أثر الحموضة في البول والدم، مما يكون سبباً في تجنب مرض النقرس، وتكوين حصوة الكلى، كما أن عصير الرمان فيه نسبة لا بأس بها من السكريات لسهولة الاحتراق المولدة للطاقة، كما أن قشور سيقان أشجار الرمان تستخدم في القضاء على الدودة الشرطية"⁽⁴⁾. والله أعلم

3- الوقود والإضاءة والتدفئة:

لقد ذكرنا فيما سبق أن الزيتون فيه غذاء، وأيضاً علاج، وهنا نتحدث أنه وسيلة للإضاءة، والنور فقد قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾⁽⁵⁾.

فإن الله في هذه الآية قد ضرب المثل بزيت الزيتون في إشعال نور المصباح، وكأنه يضيء ولو لم تمسه نار، ونور زيت الزيتون كان أصفى نور يعرفه المخاطبون، وأنها شجرة معمرة، وكل ما فيها مما ينفع الناس وورقها وثمارها⁽⁶⁾.

(1) انظر: مجلة الإعجاز العلمي، (مقال زيت الزيتون.. أسرار وإعجاز): د. حسان شمسي باشا، (30-33)، (العدد الثامن) شوال 1421هـ. بتصرف.

(2) القرآن وإعجازه العلمي: محمد إسماعيل، (158-159).

(3) سورة الرحمن آية 62-68.

(4) القرآن وإعجازه العلمي: محمد إبراهيم، (156-157)؛ معجزة القرآن: الشعراوي (378/2).

(5) سورة النور آية 35.

(6) انظر: تفسير في ظلال القرآن: سيد قطب، (2519/4-2520)؛ وفي رحاب التفسير: عبدالحميد كشك، (3087/4).

وأيضاً يستخدم زيتها في صناعة الكحل وهو الزينة للنساء وبذلك فإنني أحمد الله الذي خلق لنا هذه الشجرة الغنية بالفوائد من غذاء وعلاج ونور.

أما بالنسبة للتدفئة والوقود أيضاً تستخدم الأشجار والنباتات في ذلك، فقد قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿﴾ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿﴾⁽²⁾

وإنه يستخدم نحو نصف الخشب المقطوع سنوياً في العالم من أجل التدفئة والطهي، إضافة إلى النباتات والشجيرات وبقايا بعض المحاصيل الزراعية، وخاصة في الدول النامية وبعضها يستخدم كوقود مباشرة، وبعضها يتم تحويله إلى فحم خشب للوقود⁽³⁾. والله أعلم

وسوف أتحدث عن موضوع الوقود بشيء من التفصيل لاحقاً.⁽⁴⁾

ولها فوائد أخرى:

- تخلص البيئة من كميات هائلة من غاز ثاني أكسيد الكربون الضار بالصحة.
- إن ظل الأشجار يحمي الإنسان والحيوانات من حرارة الشمس.
- تلطف المناخ من خلال تأثيرها على الحرارة والرياح والرطوبة والمطر.
- تزود التربة بالمواد العضوية الضرورية لخصوبتها.
- تحمي التربة من الانجراف، وتثبت الرمال، وبالتالي تقلل من ظاهرة التصحر.
- إنها تصد الرياح القوية وتقلل من سرعتها فتحمي المحاصيل الزراعية⁽⁵⁾.

ورغم ما تخرج الأرض من نباتات حتى تكون دواء، ومأكل أيضاً، تخرج ما هو زينة لها حتى تبهج الناظر إليه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾⁽⁶⁾. و تحدثنا عن ذلك فيما سبق. فاحمدوا الله كثيراً على هذه النعم الكثيرة.

(1) سورة يس آية 80.

(2) سورة الواقعة آية 71-72.

(3) البيئة من منظور إسلامي: صالح وهبي، (133-134).

(4) انظر: الدراسة (ص 148-149)

(5) المرجع السابق، ص 133-135. بتصرف.

(6) سورة العنكبوت آية 7.

ثانياً: الحيوانات.

أ- أنواع الحيوانات:

اهتم كل من القرآن والسنة المطهرة بالحيوانات، بمختلف تصانيفها جاعلاً منها أسماء لسور في القرآن الكريم⁽¹⁾. كما وصرح القرآن الكريم بأن هذه المخلوقات إنما هي أمم كأمم البشر: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّتُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾⁽²⁾.

والدابة لغة: هي كل ما يدب على الأرض بحركة أو تدب فيه الحياة، سواء أكان يعيش في البحر وأعماقه أو في البر وآفاقه، فوق السطح وتحت من حشرات وحيوانات مختلفة⁽³⁾.

وكلمة (كل) تشمل جميع الأنواع، فيكون الله تعالى هو خالق كل المخلوقات، ومنها هذه الأصناف العديدة، وكل صنف منها يمثل أمة مستقلة لها لغاتها وعاداتها، ونمط حياة يختص بها، وليس كما يزعم أصحاب نظرية التطور المنتهكة علمياً من أن الأنواع تطورت من تلقاء نفسها⁽⁴⁾. وقد ورد ذكر جميع الحيوانات سواء وردت بالجمع باسم دابة، أو تصريح باسمها سواء برية أو بحرية أو محرمة و محللة ولكم مجمل ما جاء ذكره في القرآن العظيم، من أسماء وأنواع الحيوانات.

ورد ذكر الدابة والدواب ثماني عشرة مرة⁽⁵⁾، في آيات التنزيل مثل قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾⁽⁶⁾، وكذلك مثل قوله ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾⁽⁷⁾.

في الآية الأولى: بيان مادة الخلق والتكوين للدواب وهي الماء⁽⁸⁾، وفي الثانية بيان الحكمة من خلق الدواب وهي السجود لله تعالى والتسبيح بحمده كسائر المخلوقات بما فيها الأجرام والكواكب العظام⁽⁹⁾.

(1) انظر: سورة البقرة، سورة الأنعام، سورة النحل، سورة النمل، سورة العنكبوت، سورة العاديات، سورة الفيل.

(2) سورة الأنعام آية 38.

(3) انظر: لسان العرب: لابن منظور، (250/2).

(4) انظر: تفسير الكبير: الرازي، (15/24)؛ والكشاف: الزمخشري، (20/2)؛ والحيوانات والحشرات: خالد فائق العبيدي، (5/8).

(5) المعجم المفهرس: ألفاظ القرآن: محمد عبد الباقي، (310).

(6) سورة النور آية 45.

(7) سورة الحج آية 18.

(8) تفسير العظيم: لابن كثير، (258/10).

(9) المرجع نفسه: (25-24/10).

بينما أفرد القرآن ذكر أصناف من الحيوانات مرة واحدة في بعض سور مثل البعوضة، في سورة البقرة، قوله عز شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾⁽¹⁾. ومثل الجمل، في سورة الأعراف قوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾⁽²⁾ (3).

وقد أورد القرآن العظيم ذكر الغراب مرتين لا ثالث⁽⁴⁾ لهما في سورة المائدة الأولى: ﴿فَبِعَثِّ اللَّهِ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾⁽⁵⁾. والثانية: ﴿قَالَ يَا وَيَلَّتَا أُعْجِزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾⁽⁶⁾.

وقد جاء ذكر الهدد مرة واحدة في سورة النمل في قوله ﷻ: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهُدُودَ﴾⁽⁷⁾، كما جاء ذكر الفيل مرة واحدة أيضاً في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾⁽⁸⁾ (9).

وجاء ذكر الضأن والمعز مرة واحدة أيضاً، في سورة الأنعام، قوله تعالى: ﴿مَنْ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾⁽¹⁰⁾.

كما جاء ذكر الإبل مرتين، مرة في قوله سبحانه في سورة الأنعام: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ﴾⁽¹¹⁾. ومرة في قوله في سورة الغاشية: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾⁽¹²⁾. أما لفظ الأنعام وهي الأغنام، والإبل، والبقر، فكل ما ذكر فهو يعني هذه الأصناف الثلاثة: وقد تكرر اثنتين وثلاثين مرة في مواضع التنزيل مثل قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾⁽¹³⁾ (14).

(1) سورة البقرة آية 26.

(2) سورة الغاشية آية 17.

(3) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: فؤاد عبد الباقي صفحات، (160-217).

(4) المرجع نفسه، ص 609.

(5) سورة المائدة آية 31.

(6) نفس السورة والآية.

(7) سورة النمل آية 20.

(8) سورة الفيل آية 1.

(9) المعجم المفهرس، (639، 823).

(10) سورة الأنعام آية 143.

(11) السورة نفسها آية 144.

(12) سورة الغاشية آية 17.

(13) سورة النحل آية 66.

(14) المعجم المفهرس، (3، 802).

وعبرة الأنعام هي خروج اللبن من بين فرث "أي الكرش" ودم لبناً خالصاً سائغاً طعمه للشاربين، فضلاً عن تعدد منفعة الأنعام للإنسان، فإن الحق تعالى سخر للإنسان كل شيء ليترفح الإنسان لطاعته دون كل شيء، كما جاء ذكر حيوانات بأسماء أصنافها مثل العجل، فقد تكرر عشر مرات في مواضع التنزيل مثل قوله ﷻ: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ» (1)(2).

وتكرر لفظ البقر تسع مرات في مثل قوله ﷻ: «إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا» (3)(4).

وتكرر لفظ الخنزير خمس مرات في مثل قوله عز ذكره: «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ» (5). ولفظ الحمير تكرر خمس مرات، مثل قوله ﷻ: «إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» (6)، وكذلك الكلب تكرر ذكره خمس مرات في مثل قوله ﷻ: «وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ» (7)(8).

وغيرها من الحيوانات، ويستدل من هذه الآيات الكريمة ببيان الحكمة من خلق هذه الحيوانات وبيان وظائفها، وما جعل الحق تعالى فيها من منافع للإنسان.

أما الحشرات ومنها النمل والذباب والجراد والعنكبوت فقد ورد ذكرها في القرآن حيث وردت لفظة النمل ثلاث مرات في آية واحدة من سورة النمل في قول الله تعالى: «قَالَتْ نَمْلَةٌ» (9).

وذكرت حشرة العنكبوت مرتين، في قوله ﷻ: «كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (10)(11).

(1) سورة البقرة آية 54.

(2) المعجم المفهرس، (548).

(3) سورة البقرة آية 70.

(4) المعجم المفهرس، (163).

(5) سورة البقرة آية 173.

(6) سورة لقمان آية 19.

(7) سورة الكهف آية 18.

(8) المعجم المفهرس، (268، 302، 716).

(9) سورة النمل آية 18.

(10) سورة العنكبوت آية 41.

(11) المعجم المفهرس، (604، 812).

والعنكبوت هي أول من صنعت النسيج وقامت بعملية النسيج، ومنها اقتبس الإنسان هذه الصناعة⁽¹⁾. وضرب الله سبحانه بها المثل بتشبيهه من اتخذوا من دون الله تعالى أولياء فهم يشبهون من يحتمي ببيت العنكبوت، بل إن أولياءهم بهؤلاء أضعف من بيت العنكبوت الذي يتهاوى ويزول وكأنه لم يكن لمجرد نفخة هواء⁽²⁾، فلا مجال لمقارنة قوة الخالق ﷻ بقوة المخلوق.

ولقد ورد ذكر النحل في القرآن العظيم مرة واحدة في قوله ﷻ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾⁽³⁾⁽⁴⁾. والنحل هو الحيوان الوحيد الذي أوحى الله تعالى إليه، وتمثل الوحي في بيان مكان إقامته وإنشاء مساكنه وكيفية بنائها ودرجة التفاضل فيها وهي الجبال ثم الشجر ثم ما يعرشه الإنسان. وبذلك لقد كرم الحق تعالى النحل ورفع ذكره وخلده في الدستور الخالد في القرآن بأن سمي سورة من سوره سورة النحل⁽⁵⁾.

ولقد ذكر القرآن الكريم الأسماك على اختلاف ألوانها وأنواعها بلفظ اللحم الطري، ولقد فصلنا في ذلك فيما سبق⁽⁶⁾.

ولم يكتف القرآن في اهتمامه بالحيوان ودعوة الإنسان للنظر إليه بتعدد أصنافه وأنواعه فقط، بل أورد حقائق علمية تمكن الإنسان من الوقوف على أصول علم الحيوان ومعرفة أسراره فدعاه للنظر ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾⁽⁷⁾؛ لأن من خلال متابعته للوصف الظاهري يمكن التوصل إلى معرفة مدى سلامته وقوة بدنه وصحته، أو معرفة درجة إصابته. فالحمد لله الذي رزقنا بنعم كثيرة.

ب - الاستفادة من الحيوانات:

إن الله ﷻ لم يخلق شيئاً عبثاً في هذا الكون، فلكل مخلوق وظيفة يقوم بها، وإن أوجه الاستفادة من الحيوانات الأليفة والبرية متعددة حيث يمكن الاستفادة من جلودها ولحمها ولبنها

(1) انظر: عالم الحيوان بين العلم والقرآن: محمد محمود عبدالله، (13).

(2) تفسير في رحاب التفسير: عبدالحميد كشك، (3789/4).

(3) سورة النحل آية 68.

(4) المعجم المفهرس، (785).

(5) عالم الحيوان بين العلم والقرآن: محمد عبدالله، (15).

(6) انظر على الدراسة، ص .

(7) سورة الغاشية آية 17.

وروثها وغير ذلك. ولقد ذكر الله تعالى الكثير من فوائد الحيوانات للإنسان، حيث يمكن الاستفادة منها:

1- الطعام (اللبن واللحوم):

فقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾⁽²⁾.

أي: يتخلص اللبن بياضه وطعمه وحلاوته، من بين فرث ودم في باطن الحيوانات، فيسري كل إلى موطنه إذا نضج الغذاء في معدته، يصرف منه دم إلى العروق، ولبن إلى الضرع، والفضلات في الأمعاء حيث تطرح خارج الجسم، وكل منها لا يشوب الآخر، ولا يمازحه بعد انفصاله عنه ولا يتغير به⁽³⁾، وإنه شراب للناس وفيه فائدة، وهذا ما قرره العلم الحديث أيضاً⁽⁴⁾. والله أعلم

هذا بالنسبة للألبان، بينما اللحوم فقد ذكرها الله في معرض حديثه عن الهدى والأضحية عندما قال: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾⁽⁵⁾.

في هذه الآية يتحدث عن من بكر لصلاة الجمعة "صواف" أي قد صفت قوائمها والإبل تتحرر وقوفاً، وقد علقت يدها فيكون قائماً على ثلاث. ومعنى ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: سقطت بعد نحرها وقوله ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أمر، معناه: الندب، وكل العلماء يستحب أن يأكل الإنسان من هديه ﴿وَأَطْعَمُوا﴾ أمر إباحة، و﴿الْقَانِعَ﴾: السائل، وهو من معنى القناعة وهي الرضا والتعفف وترك المسألة، وأما ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ فهو الذي يطيف بك يطلب ما عندك سائلاً كان أم ساكناً⁽⁶⁾...

(1) فرث: السرجين مادام في الكرش. [انظر: لسان العرب: لابن منظور، (199/2)].

(2) سورة النحل آية 66؛ سورة المؤمنون آية 21-22.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (323/8-324)؛ والكشاف: الزمخشري، (592/2)؛ وبحر المحيط: لأبي حيان، (492/5-493).

(4) انظر: وجوه من الإعجاز القرآني: مصطفى الدباغ، (105)؛ الطب في القرآن والسنة والصيدلة والعلاج: خالد فائق العبيدي، (40/10).

(5) سورة الحج آية 36-37.

(6) جامع الأحكام: القرطبي، (61/12).

2- الملبس والمسكن والركوب والزينة وفوائد أخرى:

ولقد جمع الله منافع جمّة في الأنعام فقال في ذلك: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفَاءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.

بدأ الحديث في الآية عن أمر هام ومنفعة يشعر بها البشر عامة لحاجتهم إليها في أيام البرد والصقيع، وأكثر الناس استشعاراً بذلك الذين يعيشون في الصحراء، أو في بلاد الأسكيمو حيث الحاجة إلى الدفاء، وذلك بأصواف وأوبار وفراء الحيوانات، فمنها الملابس التي تدفئ الأجساد والجلود التي تستخدم في استعمالات شتى، حتى إن الإنسان استخدمها في صناعة البيوت حيث عبر القرآن عن ذلك ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾⁽²⁾.

في هذه الآية تذكرة لنعم الله على عباده، فقد جعل لهم من جلود الأنعام البيوت التي هي سكن يأوون إليه، ويستترون به وينتفعون به سائر وجوه الانتفاع، وجعل لهم أيضاً من جلود الأنعام بيوتاً يستخفون حملها في أسفارهم ليضربوها عند إقامتهم في السفر والحضر؛ ولهذا قال: ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا﴾ أي الغنم ﴿أُوبَارِهَا﴾ أي الإبل ﴿أَشْعَارِهَا﴾ أي الماعز، والضمير عائد على الأنعام ﴿أَثَاثًا﴾ أي تتخذون منه أثاثاً وهو المال، وقيل المتاع وقيل الثياب، والصحيح أعم من هذا كله فإنه يتخذ من الأثاث البسط والثياب وغير ذلك، ويتخذ مالا وتجارة، وقوله ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي إلى أجل مسمى، وقت معلوم⁽³⁾.

وبعد الحديث عن منفعة الأكل واللحوم، والحديث عن الصوف والدفاء والملابس والبيوت، تأتي منفعة أخرى، استخدامها في السفر وحمل المتاع، قال الله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾ وهي استخدام الأنعام في السفر. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥٩﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾⁽⁵⁾.

(1) سورة النحل آية 5-8.

(2) سورة النحل آية 80.

(3) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (337/8-339).

(4) سورة النحل آية 8.

(5) سورة المؤمنون آية 21-22.

قال تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُوفٌ رَّحِيمٌ﴾⁽¹⁾ ومن خلال هذه الآيات تظهر جلية منفعة الركوب وحمل الأثقال والسفر على هذه الأنعام من بلد لم يكن الإنسان باستطاعته أن يبلغها، ويصل إليها بدون استخدام هذه الأنعام حتى في زمننا هذا، حيث الأماكن الوعرة التي لا تستطيع وسائل المواصلات الوصول إليها لكونها بكرةً غير معبدة.

قال ابن عباس: "لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس" يريد من مكة إلى المدينة، أو إلى اليمن، أو إلى الشام، أو إلى مصر. قال الواحدي: هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير إيل لشق عليكم. وخص ابن عباس هذه البلاد؛ لأن متاجر أهل مكة كانت إلى هذه البلاد⁽²⁾. ولو نظرنا لما سبق من المنافع لوجدناها منافع مادية حسية، ولكن جعل الله لنا في هذه الأنعام منافع معنوية أخرى وخاصة عندما عبر الله عنها ﷻ بالجمال والزينة، فقال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾. واعلم أن وجه التجميل بها أن الراعي إذا رَوَّحها بالعشي وسرَّحها بالغداة تزينت عند تلك الإراحة والتسريح الألفية، وتجاوب فيها الثغاء والرغاء، وفرحت أربابها وعظم وقعها عند الناس بسبب كونهم مالكين لها⁽⁴⁾.

3- دواء (علاج):

كما إن للحيوانات استخدامات أخرى حيث تستخدم بعض الأجزاء منها في الأغراض الطبية، مثل: قرون وحيد القرن، وعظام النمر، وقرون الوعول، إضافة إلى المسك الذي يستخرج من الغزلان.

قال الله تعالى واصفاً النحلة: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽⁵⁾.

يقول سيد قطب "رحمه الله" في تفسير هذه الآية المباركة ما نصه: "والنحل تعمل بإلهام من الفطرة التي أودعها إياها الخالق، فهو لون من الوحي تعمل بمقتضاه، وهي تعمل بدقة عجيبة يعجز عن مثلها العقل المفكر سواء في بناء خلاياها، أو في تقسيم العمل بينها، أو في

(1) سورة النحل آية 7.

(2) تفسير الكبير: الرازي، (231/19).

(3) انظر عالم الحيوان في العلم والقرآن: محمد عبدالله، (64).

(4) انظر: التفسير الكبير: الرازي، (233/19)؛ وتفسير جامع الأحكام: القرطبي، (153/10)؛ وتفسير البحر المحيط: لابن حيان، (461/5).

(5) سورة النحل آية 69.

طريقة إفرازها للعسل المصفى. وهي تتخذ بيوتها حسب فطرتها في الجبال والشجر وما يعرثون أي ما يرفعون من الكروم وغيرها. وقد ذلّل - الله - لها سبل الحياة بما أودع في فطرتها وفي طبيعة الكون حولها من توافق⁽¹⁾.

هنا - أيضاً - جاء النص للتأنيث «أَنْ اتَّخَذِي» أي يخص إناث النحل، وجاء متسلسلاً من حيث أماكن تكوين بيوت النحل لتكوين خلايا نحل العسل، (الجبال، الشجر، البيوت)⁽²⁾.

ونلاحظ أن النحل يتخذ هذه البيوت مسدسة الشكل دون غيرها من الأشكال؛ لأن كل قطعة اتصلت بالأخرى وصارت كأنها قطعة واحدة، ولا يحصل بينهما فرج، وعلم أن هذا البناء بهذا الشكل يتسع لفقس البيض وخرن العسل بكمية مماثلة من الشمع الذي يبنيه النحل⁽³⁾. والله أعلم

واعلم أن العسل فيه شفاء لكثير من الأمراض، وإن فيه فائدة للأطفال والشيوخ لما له من أنزيمات، وكمنشط للدورة الدموية ومولد للطاقة ومنشط للكبد، ويحتوي عسل النحل على دكستروز وأملاح ومواد نباتية وأنزيمات وماء، فإن العسل قاتل للميكروبات وله تأثير فعال في نمو الأطفال المولودين قبل موعد الحمل، ويعالج اللثة وقت التسنين، ويداوي كثيراً من الأورام الخبيثة، ويستعمل علاجاً لمدمني الخمر، وعلاجاً للحروق⁽⁴⁾.

فقد قال جابر بن عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير: ففي شرطة محجم، أو شربة عسل، أو لذعة بنار توافق الداء، وما أحب أن أكتوى"⁽⁵⁾.

والعسل أنواع كثيرة باختلاف المنطقة التي يجمع منها الرحيق، واختلاف الفصل الذي يتم فيه الجمع، وأجود أنواع العسل ما يجمع في فصل الربيع، وعسل الجبال أجود من عسل الأشجار، وهذا بدوره أجود من عسل البيوت⁽⁶⁾.

فسبحان الله العظيم الذي جعل كتابه معجزة الأزمان الخالدة.

(1) في ظلال القرآن: سيد قطب، (2181/4).

(2) انظر: البحر المحيط: لأبي حيان، (496/5-497). بتصرف.

(3) انظر: العظمة في كل مكان: هارون يحيى، (40).

(4) انظر: خير الدواء في (الثوم والبصل والعسل والحبة السوداء): محمد عبدالله، (35-53). بتصرف.

(5) خ: (76) ك الطب، (4) ب الدواء بالعسل وقول الله تعالى: «فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ»، (ح 5683)؛ (ص 1193).

(6) انظر النبات والنباتات والحيوانات والحشرات: خالد العبيدي، (17/8)؛ وخير الدواء في الثوم والبصل

والعسل...: محمد عبدالله، (35). بتصرف.

ج - الرفق بالحيوان:

إن الإسلام دين شامل يعطي لكل ذي حق حقه، وإذا ما أتيح للناس الاطلاع على تفاصيله لوجدوا فيه الخير كله، وإنه لم ينس حتى حقوق الحيوانات على الناس.

فأفقد حرم الإسلام صيد البر للحاج والمعتمر وقت الإحرام، رغم فوائده، وذلك تعظيماً لبيت الله الحرام من جهة، ومن رحمته حتى بالحيوانات في أشهر الحج أمر أن لا يمس حيوان بري بسوء في وقت إحرام المحرم لحجة أو لعمره، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾⁽¹⁾.

بل إن الإسلام يوضح مدى العدالة الإلهية يوم القيامة في كيفية اقتصاص الشاة من شاة أخرى قد نطحتها في الدنيا، ففي الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "تؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلاء من الشاة القرناء"⁽²⁾.

والمندبر لسيرة الرحمة المهداة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد قصصاً تذرف لها الدموع وتقف عندها العقول فمنها:

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى امرأة دخلت النار جراً حبسها لهرة ومنعها لها الطعام لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض. ففي الحديث الذي أخرجه البخاري، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الكسوف فقام فأطال القيام ثم ركع فأطال الركوع ثم قام فأطال القيام ثم ركع فأطال الركوع ثم رفع ثم سجد فأطال السجود ثم رفع ثم سجد فأطال السجود ثم قام فأطال القيام ثم ركع فأطال الركوع ثم رفع فأطال القيام ثم ركع فأطال الركوع ثم رفع فسجد فأطال السجود ثم رفع ثم سجد فأطال السجود ثم انصرف فقال: "قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ودنت مني النار حتى قلت أي رب وأنا معهم فإذا امرأة، حسبت أنه قال تخدشها هرة، قلت: ما شأن هذه؟ قالوا: حبستها حتى ماتت جوعاً لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل"⁽³⁾.

(1) سورة المائدة آية 1.

(2) م: ك البر والصلة والآداب، (15) ب تحريم الظلم، (ح2582)، (ص1351)

(3) خ: (10) ك الأذان، (90) ب، (ح745)، (ص155).

وذكر أهل الفقه أن الإسلام حرم حبس الحيوان لمجرد الزينة أو الاستمتاع وإنما حُلِّل فقط لأغراض الطعام والفائدة.

أما عن الأسلوب الإسلامي في الذبح والذي يعيب عليه الغربيون أنه قاسٍ ويؤلم الحيوان، فقد أثبتت البحوث الحديثة أنه أسلم وأنجع أسلوب يمنع تسمم الجثة من جهة ويقلل ألمها من جهة ثانية⁽¹⁾، ولا مجال لمقارنته من النواحي الصحية والبيئية والاقتصادية بأساليب أخرى للقتل كالسم والكهرباء والقنابل وغير ذلك.

(1) الحيوانات والحشرات: خالد العبيدي، (45/8)؛ جامع الأسئلة الفقهية على مذهب السادة الشافعية: يوسف بن محمود الحاج أحمد، تحقيق: مصطفى سعيد الخن، (ص226-227)، مكتبة الفارابي، ط1، 1419هـ-1999م.

المبحث الثالث

كنوز الأرض

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الثروة المعدنية

المطلب الثاني: الفحم الحجري

المطلب الأول الثروة المعدنية

تتخز الأرض، التي بسطها الله للأنام، بصنوف الكنوز والمعادن مما سخر الخالق سبحانه لنفع الإنسان في حياته، مثل الحديد، والنحاس، والذهب والفضة... وغير ذلك مما يحتاجه ويبنى عليه مقومات حياته.

وها نحن نطوف ببعض ما في الأرض من كنوز ومعادن، ومن خلال ذلك نرى ونشاهد ونستشعر عظمة الصانع جل شأنه.

أولاً: الحديد.

إن الحديد فلز شائع متين يعرفه الجميع، وهو مفيد للإنسان، وله سبعة أسماء متباينة في اللغة العربية، تصف شتى صورته وحالاته، وهذه الأسماء هي:

الحديد، الذكير، الفولاذ، الجثنى، الزبرة، القطرة، والغسالة⁽¹⁾.

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم منكرة تارة ومعرفة أخرى، فقد وردت كلمة حديد في موضعين؛ أما الحديد فقد وردت في ثلاثة مواضع.

لفظة "حديد" وردت في الآية الكريمة: «وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ»⁽²⁾، وقد فسرت بأن لهم أعمدة ومطارق وسياطاً من الحديد يضربون بها من خزنة جهنم، على سبيل التعذيب والإهانة والإذلال⁽³⁾.

ووردت بمعنى القوة والنفاذ: «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ»⁽⁴⁾.

أي: فبصرك ونظرك في هذا اليوم نافذ قوي، تستطيع أن تبصر به ما كنت تتكره في الدنيا، من البعث والحساب والثواب والعقاب⁽⁵⁾.

(1) انظر: خلق الأرض والسموات علمية ودينية: علي السكري، (61)؛ ولسان العرب: لابن منظور، (173/3)؛ والصاحح: الجوهري، (463/2)؛ شمس العلوم: الحميري، (245/2).

(2) سورة الحج آية 21.

(3) انظر: تفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م9/ج17/3364)؛ وصفوة التفاسير: محمد الصابوني، (286/2).
بتصرف.

(4) سورة ق آية 22.

(5) انظر: الأساس في التفسير: سعيد حوى، (5460/9).

ولفظه "الحديد" وردت في الآية الكريمة: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٣٠﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾⁽¹⁾.

وقد جاء فيها: أي أعطوني قطع الحديد واجعلوها في ذلك المكان حتى إذا ساوى البناء بين جانبي الجبل أمرهم أن ينفخوا بالكبير عليه، قيل: كان يأمر بوضع قطع الحديد والحجارة، ويوقد عليها الحطب والفحم بالمنافخ حتى تحمى، والحديد إذا أوقد عليه؛ صار كالنار المحمرة ثم يؤتى بالنحاس المذاب فيفرغه على تلك الطاقة⁽²⁾.

وقد ثبت علمياً أن إضافة نسبة الحديد إلى النحاس تضاعف مقاومته وصلابته، وكان هذا الذي هدى الله إليه ذا القرنين وسجله في كتابه الخالد؛ سبقاً للعلم البشري الحديث بقرون عديدة. وورد اللفظ المعروف كذلك في الآية الكريمة: ﴿وَأَنزَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾⁽³⁾، ويطالعنا المفسرون فيما يختص بهذه الآية بقولهم: أي جعلناه له ليناً كالطين المعجون، يصرفه بيده كيف يشاء من غير نار، ولا ضرب بمطرقة⁽⁴⁾.

وأخيراً: فقد وردت لفظة الحديد في الآية الكريمة: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾⁽⁵⁾.

وقد ورد في معنى هذه الآية، أي: وخلقنا وأوجدنا الحديد فيه بأس شديد؛ لأن آلات الحرب تتخذ منه، كالدرع والرمح والتروس والدبابات، وغير ذلك؛ ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾: أي وفيه منافع كثيرة للناس كسكك الحرائث، والسكين، والفأس، والسيارات والطائرات، وغير ذلك. وما من صناعة إلا والحديد آلة فيها... وأراد بالحديد جنسه من المعادن⁽⁶⁾.

ولقد كان المفسرون القدامى يقصرون معنى الإنزال هنا على أنه إنزال مجازي بمعنى خلقنا، أو بمعنى قدرنا، أو بمعنى جعلنا⁽⁷⁾، وما كان أحد يتخيل أبداً أنه إنزال حقيقي، ولذلك ركزوا على أن الله خلق الحديد لينتفع به الناس.

(1) سورة الكهف آية 97-98.

(2) انظر: التفسير الكبير: الرازي، (172/21)؛ وصفوة التفسير: محمد علي الصابوني، (206/2)؛ وتفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/8ح/16/3057).

(3) سورة سبأ آية 10.

(4) انظر: فتح القدير: الشوكاني، (391/4)؛ والأساس في التفسير: سعيد حوى، (4515/8).

(5) سورة الحديد آية 25.

(6) انظر: صفوة التفسير: محمد الصابوني، (547/2)؛ منتخب التفسير، (808).

(7) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (432/13). بتصرف؛ والجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (261/17).

ولكن عندما ننظر إلى المعنى الحرفي للكلمة وهو أن الحديد أرسل فيزيائياً من السماء، ندرك أن الآية تتضمن إعجازاً علمياً فريداً، ويقول العلم: لقد تبين -من خلال الاكتشافات الفضائية الحديثة- أن الحديد الموجود في عالمنا قد جاء من نجم ضخم في الفضاء الخارجي، وإن المعادن الثقيلة في الكون تنتج في نواة نجم كبير، فنظامنا الشمسي لا يملك التركيبة الملائمة التي تمكنه من إنتاج الحديد بنفسه، فالحديد لا يمكن أن ينتج إلا في نجوم أكبر بكثير من الشمس حيث تصل الحرارة إلى بضعة ملايين من الدرجات. وعندما تتعدى كمية الحديد مستوى معيناً في نجم ما، فإنه لا يستطيع التكيف معه، وبالنهاية ينفجر ويتحول إلى ما يسمى بالمستعر، أو المستعر العظيم (نجم يتعاطم ضياؤه فجأة ثم يخبو بعد بضعة شهور أو سنوات، وكنتيجة لهذا الانفجار تنتشر في أرجاء الكون نيازك تحتوي على الحديد وتنتقل في الفراغ إلى أن تجد بها القوة الجاذبة للأجرام السماوية⁽¹⁾).

كل هذا يظهر أن الحديد لم يخرج من الأرض، بل نزل إلى الأرض وهذا ما قاله القرآن الكريم، ولكن نزل بواسطة النيازك الناجمة عن انفجار نجوم في الفضاء وهذا ما توصل إليه العلم. والله أعلم بذلك؛ لأن العلم ليس أمراً متقناً وإنما هو نظريات قابلة للتغير من زمن إلى زمن.

وأما عبارة «فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» فإنها تشير إلى خواص علمية هائلة تتوفر في الحديد، فلقد أوضحت أبحاث الطبيعة النووية، أن نواة ذرة الحديد، والتي رقمها الذري (56) تحتوي على أعلى طاقة نووية اندماجية! كما إن أبحاث طبيعة الجوامد قد كشفت عن الخواص المغناطيسية الفريدة التي يتميز بها الحديد عن باقي العناصر، فلو وضعنا كتلتين كل منهما (1) جم، الأولى من الحديد، والثانية من الألومنيوم بالقرب من مغناطيس، فإن قطعة الحديد تتجذب بقوة أكبر (20000)، مرة من قطعة الألومنيوم إلى المغناطيس⁽²⁾. والله أعلم بذلك.

ولعل القرآن الكريم كان يشير إلى هذه الخواص حين اختص الحديد دون غيره من المعادن في الآية المذكورة، والتي تشير إلى أن الحديد ذو بأس شديد ومنافع للناس، وليس أدل على ذلك من امتياز الحديد وسبائكه المتنوعة بخواص متعددة ومتفاوتة الدرجات في مجال الحرارة والشد والصدأ والبلى، وفي تقبل المرونة والمغناطيسية وغيرها... ولذلك كان أنسب

(1) انظر: المعجزات القرآنية: هارون يحيى، (36)؛ الكون والإعجاز العلمي: منصور حسب النبي (174)؛

والإعجاز العلمي في الإسلام: محمد عبدالصمد، (95)؛ الأرض: خالد فائق العبيدي، (58/4). كله بتصريف.

(2) انظر: الكون والإعجاز العلمي: منصور حسب النبي، (174).

الفلزات لصناعة أسلحة الحروب وأدواتها وأساساً لجميع الصناعات الثقيلة، والخفية التي هي دعامة للحضارات المادية.

وللحديد منافع جمة للكائنات الحية، إذ تدخل مركبات الحديد في عملية تكوين الكلوروفيل، وهي المادة الأساسية في عمليات التمثيل الضوئي التي ينشأ عنها تنفس النباتات وتكوين البروتوبلازم الحي، وعن طريقه يدخل الجسم الإنسان والحيوان؛ ولولا الحديد الموجود في لب الأرض، لما أمكن العيش عليها، إذ إنه سبب لوجود المجال الكهرومغناطيسي... الخ⁽¹⁾. ومع ذلك فإن العلم لم يتوصل -حتى الآن- إلى اكتشاف فلز أو معدن له خواص الحديد في بأسه وقوته، ومرونته وشدة وتحمله... ومن ذلك نجد أن الحديد له شأن خطير في الحياة؛ ولذا سميت سورة باسمه في القرآن للإشارة إلى أهميته.

ثانياً: النحاس.

تقع خامات النحاس في أقصى جنوب فلسطين في واد المنايح، ويعتقد أن أصل النحاس في فلسطين، رسوبي بحري وبشكل أدق من بحيرات شاطئية ضحلة مع الصخور الرملية والطينية⁽²⁾.

وورد ذكر معدن النحاس في القرآن الكريم بتعبيرات مختلفة، فقد ذكر بلفظه الصريح أي "نحاس"، فقال ﷺ: «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ»⁽³⁾. قال مجاهد: النحاس الأصفر يذاب فيصب على رؤوسهم⁽⁴⁾، والمعنى لو ذهبتم هاربين في أرجاء السموات والأرض لأرسل الله عليكم (أيها الثقلان) لهباً شديداً من نار، والنحاس المذاب عليكم لترجعوا⁽⁵⁾.

وجاء في حاشية المنتخب في تفسير القرآن: النحاس فلز يعتبر من أول العناصر الفلزية التي عرفها الإنسان منذ قديم الزمن، ويتميز بأن درجة انصهاره مرتفعة جداً، حوالي (1083)

(1) انظر: دلائل التوحيد: عبدالله التليدي، (353)؛ من آيات الإعجاز العلمي: زغول النجار، (187/1)؛ خلق الأرض والسموات: علي السكري، (61-62)؛ القرآن وإعجازه العلمي: محمد إسماعيل إبراهيم، (129).
بتصرف

(2) (الثروة المعدنية في فلسطين المحتلة) خلود تدمري، (117) مجلة صامد الاقتصادي، العدد 92، السنة الخامسة عشرة، 1993م.

(3) سورة الرحمن آية 35.

(4) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (324/13).

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم: عبدالله شحاتة، (م/14/ح/27/ص/5567)؛ الأساس: حوى، (5653/10).

درجة مئوية، ماذا ما صُب هذا السائل الملتهب على جسد مثل ذلك صنفاً من أقسى أنواع العذاب الماء، وأشدّها أثراً⁽¹⁾.

... وقد ثبت علمياً أن الإنسان قد توصل إلى صنع نوع خاص من الذخيرة المضادة للدبابات تعرف باسم "الحشوة الجوفاء" ... وتعتمد نظرية عملها على تجميع الموجات الانفجارية الناتجة من تفجير المادة المحطمة داخل المقذوفات، أو الصواريخ في نقطة واحدة هي البؤرة وقد وجد خبراء المفرقات أن استخدام النحاس كمادة مبطنة للمادة المحطمة في هذا النوع من الذخيرة، يزيد من كفاءة اختراق المقذوفات للدروع السمكية للدبابات والعربات المجنزرة... ولم يتوصل الإنسان بعد إلى معدن آخر يضاهي النحاس في هذا عملياً واقتصادياً...

وأى خبير في الذخيرة يدرك أن قوله تعالى: ﴿شَوَاطِئُ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٍ﴾⁽²⁾ ينطبق تماماً على نواتج تفجير مقذوفات "الحشوة الجوفاء" التي تستخدم ضد المدرعات⁽³⁾.

ولذا فإن ورود ذكر النحاس في القرآن يعد شيئاً علمياً كبيراً في مجال المقذوفات.

وعبر عنه -كذلك- بألفاظ أخرى من أمثال ﴿قَطْرًا﴾ وذلك كما ورد في الآية الكريمة:

﴿قَالَ أَتُونِي أَفْرَغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾⁽⁴⁾.

وأشير إلى معدن النحاس -كذلك- بالتعبير المركب ﴿عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ حيث ورد في الآية:

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ﴾⁽⁵⁾، وفي كلتا حالتيه الأخيرتين ﴿قَطْرًا﴾، و﴿عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ فإنه - وفيما

يبدو لنا - فإن الألفاظ قد جاءت للتعبير عن الحالة السائلة لمعدن النحاس (المنصهر)، بينما تم التعبير عن الحالة الصلبة باللفظ (نحاس).

كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاطِئُ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَتَّصِرَانِ﴾⁽⁶⁾،

وقد وردت ﴿عَيْنَ الْقَطْرِ﴾، و﴿قَطْرًا﴾ للدلالة على الحالة الطبيعية الثانية للنحاس، وهي الحالة السائلة أو الصهير⁽⁷⁾.

فمن الملاحظ أنه يوجد إشكال فيما قلته أن النحاس في بداية الأمر النحاس صلب، وفي

قول آخر أنه سائل، ولحل هذا الإشكال أو التناقض أرى في ذلك:

(1) انظر: المنتخب في تفسير القرآن، (793).

(2) سورة الرحمن آية 35.

(3) الإعجاز العلمي: محمد عبد الصمد، (96).

(4) سورة الكهف آية 96.

(5) سورة سبأ آية 12.

(6) سورة الرحمن آية 35.

(7) الكيمياء الحديثة في ضوء القرآن: محمد صبحي السويركي، (86).

أن ما قصد إليه من لفظه نحاس يشابه في معناه ما ذهب إليه الجمهور بالنسبة للحديد حين قالوا: (وأراد بالحديد جنسه من المعادن)⁽¹⁾ وعندها يمكن النظر للنحاس على أساس أنه (أريد بالنحاس جنسه من المعادن)، وعندها يمكن تخيله (ملايين الملايين من الشهب والنيازك المنطلقة في الفضاء كأنها الرصاص)⁽²⁾.

ولعل ما ذهب إليه بعض المفسرين من معنى قصد به النحاس من أنه (دخان لا لهب فيه)⁽³⁾ فلنر ماذا قصد بكلمة دخان، حيث وردت في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾⁽⁴⁾.

ولعل الدخان هنا هو أصل المواد التي نتعامل معها، وهو المادة السديمية الأولية التي خلق الله منها مادة الكون، فتحولت فيما بعد إلى ما نراه من أجرام ونيازك، ولقد تحدثنا في هذا الموضوع في أول دراستنا، وقد قيل: (إن النظرية القائمة اليوم هي أن المجموعات النجمية كالمجموعة الشمسية المؤلفة من الشمس وتوابعها، ومنها الأرض والقمر كانت سديماً ثم انفصلت وأخذت أشكالها الكروية، وأن الأرض كانت قطعة من الشمس ثم انفصلت عنها وبردت...)⁽⁵⁾.

وإن كان ما ذهبنا إليه صحيحاً أن النحاس ليس من الضرورة أن يكون المقصود به المعدن المعروف لنا بعينه، وإنما جنسه من سائر المعادن والموارد التي نشأت منذ بدء الخليقة والتي وجدت من أصلها السديمي (الدخان)، ففي هذه الحالة أيضاً لا مفر من النظر إلى النحاس على أنه مادة صلبة وليست مذابة أو سائلة، وهو ما يتفق مع ما ذهبنا إليه أن القرآن الكريم قد تعامل مع هذا اللفظ سواء أكان معدن النحاس ذاته أو جنسه من المعادن على أساس أنه يمثل الحالة الصلبة دون السائلة⁽⁶⁾. والله أعلم بذلك.

"النحاس" و"القطر" ... اسم لكل حالة طبيعية؟!

يتوافق ما ذهبنا إليه بشأن اختلاف تسمية معدن النحاس باختلاف حالته الطبيعية (صلب - سائل) مع حالات مشابهة تم فيها استخدام ألفاظ مختلفة للتعبير عن الحالات الطبيعية المختلفة للمادة نفسها، فالماء مثلاً في حالته السائلة يدعى ماء، لكن إذا تحول إلى الحالة الصلبة صار

(1) صفوة التفاسير: محمد الصابوني، (329/3).

(2) العلوم الطبيعية في القرآن: يوسف مروة، (171)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1387هـ/1968م.

(3) صفوة التفاسير: محمد الصابوني، (298/3).

(4) سورة فصلت آية 11.

(5) في ظلال القرآن: سيد قطب، (2375/4).

(6) الكيمياء في ضوء القرآن: محمد السويركي، (106).

ثلجاً، ولا نقول ماء مجمداً، ثم إذا تحول إلى الحالة الغازية صار بخاراً، لذا فإنه من قبيل الدقة اللغوية أن يفرق القرآن الكريم بين حالتي النحاس الصلبة والسائلة، أن يعبر عن كل حالة بما يناسبها من ألفاظ.

وعلى الرغم من اعتقاد بعض المفسرين بأن «عَيْنَ الْقَطْرِ» قد تكون عيناً تخرج نحاساً من الأرض، حيث جاء قولهم في الآية الكريمة «وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ» أي: أسلنا له عين النحاس، كما أننا الحديد لداود، وقال قتادة: أسأل الله له عيناً يستعملها فيما يريد⁽¹⁾، إلا أن كلمة «عَيْن» هنا قد لا تعني ما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة؛ من أنها عين تخرج نحاساً سائلاً الذي هو موضوع النقاش هنا؛ إنما هو نحاس في حالته السائلة، وهي بهذا تتشابه مع معين الماء في سيولتها، وليس في مصدر خروجها من باطن الأرض، وتتعاقد هذه الإشارة مع الإشارة السابقة التي تم التعبير فيها عن النحاس باللفظ «قَطْرًا» لتعطي نفس المعنى ونفس الدلالة؛ من أن النحاس هنا هو النحاس المنصهر وليس النحاس في حالته الصلبة⁽²⁾. والله بعد ذلك أعلم. أما المواضع التي وردت فيها الألفاظ «قَطْرًا» و«عَيْنَ الْقَطْرِ»، والمعبرة عن النحاس في حالته، فكانت:

أ- الآية الكريمة: «حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا»⁽³⁾.

ب- وكذلك الآية الكريمة: «وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ»⁽⁴⁾.

فإن الملاحظ أن القرآن قد فرق في كيفية إعداد المعدنين للاستعمال، فاستخدم للحديد التعبيرات «حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا»⁽⁵⁾ و«وَأَسَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ»⁽⁶⁾، أي جعلناه ليناً ليعمل به ما شاء، بينما استخدم للنحاس اللفظ «قَطْرًا»، وعبر عنه بـ «وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ» وكل ذلك يشير إلى النحاس في حالته السائلة.

وإن التفريق بين المعدنين من حيث تصرفهما وانفعالهما بالحرارة يُعد وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني؛ لأنه لو كان القرآن من عند غير الله لما أمكن لبشر التمييز بين الألفاظ من

(1) انظر: محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، (4943/14)؛ مدارك التنزيل: النسفي، (466/3)؛

تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، (66/8).

(2) الكيمياء الحديثة: محمد السويركي، (88).

(3) سورة الكهف آية 96،

(4) سورة سبأ آية 12.

(5) سورة الكهف آية 96.

(6) سورة سبأ آية 10.

حيث مناسبتهما... فمحمد ﷺ - في الأول والآخر - لم يكن حداداً أو سباكاً يعمل في سباكة المعادن وصهرها فيعرف ذلك بالتجربة.

ثالثاً: الذهب والفضة.

وردت كلمة ذهب في القرآن الكريم (8) مرات، وزخرف تعني الذهب، والزينة (4) مرات، فجاءت مرتين بمعنى الذهب ومرتين بمعنى الزينة، أما كلمة فضة فجاءت (6) مرات في القرآن الكريم، فلم هذا الاهتمام؟، ولماذا أطلق اسم الزخرف على سورة كاملة في القرآن الكريم؟⁽¹⁾. لمعرفة ذلك علينا أن نطلع إلى تفسير الآيات المتعلقة بالذهب والفضة وكذلك ما يرتبط بهما ويعضدهما من آيات...

أ- خلق الذهب والفضة في الأرض:

هناك آيات تلميحية واضحة تكاد تصل إلى درجة التصريح بوجود المعادن بشتى أنواعها في باطن الأرض، وأن الله تعالى قد جعل في جوف الأرض ما يفيد في مسير حياتهم ومنها:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوْؤُفٌ رَحِيمٌ﴾⁽²⁾.

ففي هذه الآية الكريمة إقرار بمبدأ التسخير الذي بدأت به الآية المباركة وتوضيحاً لنعم الله تعالى على عباده، فجاءت نعمة تسخير ما في الأرض في البداية لأهميتها، والضمير (ما) هنا جاء لغير العاقل بينما الحرف (في) يقتضي الدخول في الجوف⁽³⁾، وهي الإشارات لما تحويه الأرض من مواد تفيد الناس في حياتهم، ومنها المعادن باختلاف أنواعها، وطبعاً تأتي النفسية منها في المقدمة.

وأيضاً قول الله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾⁽⁴⁾. هذه الآية المباركة فيها توضيح أكثر من سابقتها إذ إن تحت الثرى، أي تحت السطح المرئي من تراب ورمال كله لله وهو مسخر لبني آدم⁽⁵⁾.

(1) انظر: الأرض خالد العبيدي، (65/4)؛ الكيمياء الحديثة: محمد السويركي، (113-115). بتصرف.

(2) سورة الحج آية 65.

(3) تفسير الكبير: الرازي، (64/23)؛ والتفسير المنير: وهبة الزحيلي، (264/17).

(4) سورة طه آية 6.

(5) تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (181/16).

إن القرآن حدد وجود الذهب والفضة بأثهما تحت الثرى، ولكن لم يحدد المناطق الموجودة فيها، ولكن ما توصل إليه العلم أنه حدد أماكن وجود الذهب والفضة حيث قالوا: إن الذهب يتواجد في عروق صخرية في القشرة الأرضية، كما يتواجد مختلطاً بصخور الحجر الرملي والطين الموجودة في مجاري الأنهار وقيعان البحار؛ وتنتشر عروق الذهب ومركباته في مناطق كثيرة في العالم، في كاليفورنيا، وفي جنوب أفريقيا، وفي أستراليا، وصحراء مصر الشرقية، وغير ذلك...

ويتركز فلز الذهب الثمين في طبقات التربة العليا بغابات وسط ألمانيا، ويرجع ذلك إلى أن هذه الطبقة غنية بالمواد العضوية الناتجة عن تحلل الكائنات الحية... وأيضاً فإن رماد النباتات التي يتم إحضارها من غابات وسط ألمانيا ثم يجري حرقها تحتوي على نسبة بسيطة من هذا الفلز تصل إلى جزء في المليون من الرماد⁽¹⁾، وبناء على ذلك، يحتاج استخلاص الذهب من رماد النباتات إلى كميات كبيرة من هذا الرماد يتعذر توفرها بكميات تكفي لاستغلالها عملياً، وأيضاً في الوقت نفسه يتطلب الأمر إيجاد طرق جديدة ومبتكرة لإجراء عمليتي الاستخلاص وتنقية الذهب من الشوائب.

هذا بالنسبة للذهب، بينما الفضة فقد قام الفينيقيون باكتشافها في تلال أسبانيا والبلاد الأخرى المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط، وذلك منذ فترة تمتد إلى حوالي ألفي عام قبل ميلاد المسيح عليه السلام⁽²⁾.

ب - عملية صنع الحلي:

عرف المسلمون أغلب العناصر الفلزية والمعادن الأخرى، وكان للقرآن الكريم دور أساسي في ذلك.

يقول الله ﷻ: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيٍّ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾⁽³⁾.

(1) انظر: مجلة النور، (الذهب ثالث الشهوات): محمد عبدالقادر الفقي، (58)؛ العدد 13، السنة الثانية 1405هـ-1985م.

(2) انظر: (الفضة في القرآن والعلم): محمد عبدالقادر الفقي، (60)، مجلة النور، العدد 24، السنة الثانية 1405هـ-1985م.

(3) سورة الرعد آية 17.

اتفق المفسرون⁽¹⁾ -قديمهم وحديثهم- على أن المثل القرآني في هذه الآية يقصد به تشبيه زبد الماء بزبد أو خبث صناعة المعادن، ومنها الحلي كالذهب والفضة. يقول صاحب الضلال: إن الماء ينزل فتسيل به الأودية وهو يلم في طريقه غثاء فيطفو على وجهه في صورة الزبد ليحجب الزبد الماء في بعض الأحيان... والماء من تحته ساكن... ولكنه هو الماء الذي يحمل الخير والبركة... وكذلك المعادن التي تذاب لتصنع منها حلية كالذهب والفضة وغير ذلك... فإن الخبث يطفو ويحجب المعدن الأصيل، وبعد ذلك يذهب الخبث ويبقى المعدن النقي، وإن ذلك مثل الحق والباطل، فالباطل يطفو، والحق يبقى هادئاً ولكنه هو الباقي في الأرض كالماء المحيي والمعدن الذي ينفع الناس⁽²⁾.

وكذلك يضرب الله الأمثال للناس، وكذلك يعزز مصائر الدعوات ومصائر الاعتقادات، والأقوال... هو الله الواحد القهار المدبر للكون والحياة، العليم بالظاهر والباطن، والحق والباطل ولقد وصف القرآن حرارة الاتقاد والصهر لعنصري الحلي الرئيسيين الذهب والفضة، وتتجلى في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقونها فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ أَنفُسَكُمْ فذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾⁽³⁾ وبمراجعة سريعة للتفسير نجد أن المقصود بالآية هم الذين لا يؤدون زكاة أموالهم، خصوصاً الذين يكنزون الذهب والفضة ولا يؤدون حق الله والعباد فيها، فالنتيجة ستكون أنه سيحمر عليها فتكوى بها أجسادهم⁽⁴⁾. وفي اللغة يحمر على الشيء أي بعد أن يصبح ناراً... فلو لاحظنا أن اختيار الذهب والفضة نفسها، التي تخزن من الدنيا لغير وجه الله تعالى، كان من جنس العمل الذي قام به هؤلاء النجلاء أنفسهم في حق أنفسهم ودينهم. ولقد قال العلم: إن درجة انصهار الذهب هي (1063)م°، والفضة هي (961)م°⁽⁵⁾، ولكم أن تتصوروا ذلك العذاب الهائل والحرارة العالية التي سيتعرض لها هؤلاء الناس يوم القيامة، والعياذ بالله.

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (130/8-132)؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي

السعود، (207/4)؛ وفي رحاب التفسير: عبدالحميد كشك، (1880/3-1881). بتصرف.

(2) انظر: في ضلال القرآن: سيد قطب، (2053/4).

(3) سورة التوبة آية 34-35.

(4) انظر: تفسير القرآن الكريم: عبدالله شحاتة، (م/5 ح/10/1858)، تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (193/19-

194).

(5) انظر: الأرض: خالد العبيدي، (78). بتصرف.

ج - أهمية الذهب والفضة للإنسان:

1 - الزينة:

لعل أهم آية جاءت في الذهب والفضة قوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾⁽¹⁾.

فلو لاحظنا الآية المباركة وتدبرناها جيداً للاحظنا أمرين أساسيين: أولهما أن الذهب والفضة هما الحالتان الماديتان الوحيدتان اللتان خصصتا لما يملكه الإنسان من أهل وزروع ومواش وغيرها، فهي الرصيد المخزون الذي تخزن للتجمل والفائدة وجمع الأموال المصكوكة، وثانيهما أن تسلسلهما جاء بعد الأهل مباشرة وقبل الزرع والحياد والمواشي وغيرها من الأملاك، وهذا الموال لم يتغير لحد يومنا هذا، فالقناطر توسطت الشهوات، وهنا تبرز أهمية الذهب والفضة كوسيلة لشراء بقية النعم والشهوات التي تليها، أما المرأة والأهل والولد فهؤلاء أسمى وأكبر أن يقارنوا بشيء مادي؛ لذلك جاء تسلسلهم قبل البقية، وهذه أهمية القيمة الحقيقية للإنسان عند خالقه⁽²⁾. والله أعلم.

وقال القرطبي (رحمه الله): "إن الله خص الذهب والفضة بالذكر؛ لأنه مما لا يطلع عليه بخلاف سائر الأموال"⁽³⁾.

وقيل: الكنز كل شيء مجموع بعضه إلى بعض في بطن الأرض كان أو على ظهرها، سمي ذهباً لأنه يذهب، والفضة لأنها تنفض فتتفرق، ومنه قوله تعالى: ﴿... انْفَضُّوا إِلَيْهَا...﴾⁽⁴⁾، وأيضاً قال تعالى: ﴿... انْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

ومما يجدر ذكره أن هذين العنصرين لم يقتصر التمتع بهما على الدنيا فقط بل اعتبرتتا من أعظم جوائز الجنة كما تبين الآيات المباركات الآتية: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ...﴾⁽⁷⁾؛

(1) سورة آل عمران آية 14.

(2) انظر: مدارك التنزيل، النسفي، (225/1)؛ محاسن التأويل: القاسمي، (804/4)، معالم التنزيل: أبي محمد البغوي، (270/1)؛ تفسير القرآن الكريم: عبدالله شحاتة (م/2ج/3-534-535). بتصرف.

(3) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (32/4).

(4) سورة الجمعة آية 11.

(5) سورة آل عمران آية 159.

(6) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري، (201/3).

(7) سورة الكهف آية 31.

وأيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسْوَرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾⁽¹⁾. وغير ذلك⁽²⁾.

ورغم أن الآيات تتحدث عن حلي الآخرة إلا أنها توضح أهمية وقيمة الذهب والفضة كحلي، حتى أنها اختيرت دون غيرها لحلي أهل الجنة.

2- الصناعة:

إن الذهب والفضة لا يستخدمان فقط في صناعة الزينة (أي الحلي) وإنما تستخدمان في صناعات أخرى:

من المعروف أن الذهب هو أعلى معدن اتفق عليه الناس غير أنه ليس أغلاها على الإطلاق، إلا أنه من المعادن الثقيلة وزناً، فلذلك نرى أن الذهب يستخدم في صناعة الزينة أكثر من الصناعات الأخرى، فهو يستخدم في عمل صفائح رقيقة منه، وتستخدم مثل هذه الرقائق المعدنية في الخلايا الشمسية الخاصة بالمركبات الفضائية⁽³⁾. هذا بالنسبة للذهب. أما الفضة فملاحظ أنها مقدمة على الذهب وذلك في صناعة سقوف البيوت، والأكواب والقوارير.. وغير ذلك من الصناعات.

فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنَّا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾⁽⁴⁾.

فلماذا حدد الله تعالى نوع السقف بأنها من فضة حصراً؟، فمن النص الكريم تجد أن جميع الأمور التي ذكرتها الآية، والتي يجعلها الله للكافرين، لم تحدد نوعية مادتها إلا السقف... فهل الموضوع متعلق بتكريم الكافر دنياً لغرض استدراجه به، وإذا كان كذلك فلماذا لم يقل سقفاً من ذهب أو ماس أو غير ذلك مما هو أنفوس من الفضة؟

بينما في سورة الإسراء قال تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ...﴾⁽⁵⁾.

نجد أن الكفار يحاجون رسول الله ﷺ بأن يأتيهم بمعجزات تؤيده ومنها بيت من زخرف ومعروف أن الزخرف هو الذهب فما الفرق بين الحالتين؟

(1) سورة الحج آية 23.

(2) سورة فاطر آية 33؛ سورة الزخرف آية 71؛ سورة الإنسان آية 21.

(3) (الذهب ثالث الشهوات): محمد عبدالقادر الفقي، (59)، مجلة النور، العدد 13، سنة الثانية 1405هـ-1985م.

(4) سورة الزخرف آية 33-35.

(5) سورة الإسراء آية 93.

لكي نحاول تدبر المسألة بروية وتمهّل، فعلياً أن ننظر إلى بعض التفاسير المهمة من أجيال مختلفة.

اتفق المفسرون⁽¹⁾ على أن هذه الآية فيها بيان لصغر الدنيا عند الله تعالى، أي لولا كراهة أن يكفر الناس جميعاً، إذا رأوا الكفار في سعة من الرزق، بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرة، لأعطينا الكفار في الدنيا ما وصفنا من أسباب التعم لهوانها علينا، ولكن اقتضت الحكمة أن يكون فيهم الغني والفقير، كما اقتضت أن يكون ذلك في المؤمنين، ليميز من يطلب الدنيا للدنيا، ومن يطلبها للآخرة، «أُمَّةً وَاحِدَةً» أي مجتمعة على الكفر «سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ» جمع سقف، «وَمَعَارِجٍ» مصاعد من الدرج من فضة، جمع معرج، «عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ» يرتقون، «وَسُرُرًا» وسرراً من فضة، «وَزُخْرُفًا» ذهباً أو زينة.

أي وجعلنا لهم زخرفاً ليجعلوه في السقف والمعارج والأبواب والسرر ليكون بعض كل منها من فضة وبعضه من ذهب.

وفسرها البخاري (رحمه الله) بقوله: "لولا أن يجعل الناس كلهم كفاراً لجعلت لبيوت الكفار سقوف من فضة، ومعارج من فضة وهي درج وسرر فضة"⁽²⁾.

بعد هذه الجولة في تفاسير السلف والخلف، يبقى السؤال الذي طرح فيما قبل قائماً.

تري الباحثة أن الفكرة واضحة وهي أن هذه العطايا ليست لحب الله لهم وإنما كانت لغاية استدراجهم حتى يزدادوا في غيهم وبهتانهم إذا أخذهم الله لم يمنحهم أي فرصة أخرى، ولكن لماذا لم يكن السقف ذهباً أو غير ذلك من المعادن والأحجار الكريمة؟

لنحاول الآن أن نربط الأمور العلمية المكتشفة حديثاً ببعضها، عسى أن نستطيع إيجاد جواب لهذه الأسئلة.

فقد قيل: إن تحديد مادة السقف بأنها من الفضة جاءت لأن السقف معرض بصورة دائم لأشعة الشمس، وهذا التعرض سيؤدي إلى تكوّن المادة المسحوقية السوداء... وبالتالي فإن السقوف -بمرور الزمن- ستصبح سوداء لتعطي علامة مميزة لصاحب البيت دليلاً على كفره، وأن هذا الاستدراج يصحبه دليل على ذلة ومهانة صاحب هذا التكريم، فهو دليل على زواله،

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (311-310/12)؛ والجواهر في تفسير القرآن: جوهري طنطاوي، (58/10)؛ وفي ظلال القرآن: سيد قطب، (3188/5-3189)؛ صفوة البيان لمعاني القرآن: محمد مخلوف، (624).

(2) خ: (65) ك التفسير، (43) ب سورة الزخرف، (ص1019).

فإنه تكريم مصحوب ببيوت ترهقها الذلة... وسواد الأوجه... ولو ربطنا قوله تعالى: ﴿وَحُلُوا
أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾⁽¹⁾، مع قوله تعالى في نفس الآية: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾⁽²⁾،
وهم الفائزون.

وإن موضوع ظهور طبقة سوداء تغطي الفضة المعرضة للجو كان أمراً ملاحظاً منذ
القدم، وكان الناس يعرفون كيف ينظفون هذه الطبقة، ولكنهم لم يعرفوا التفسير العلمي لهذه
الظاهرة كما فسرها العلم الحديث... والله أعلم بذلك.

وهناك عامل آخر هو: إنه لو كانت السقوف ذهبية سيصاب الناس بالعمى؛ وذلك لأن
من مميزات الذهب أنه يعكس أشعة الشمس الساقطة عليه. وأضف إلى ذلك أن الذهب لا يتمدد
مثل الفضة، وهذا يعني من ناحية إنشائية أن للفضة إجهادات عالية، وأنها ترهق كاهل
مستخدمها بأمر عديدة لا طاقة له بها، وهذا كله بسبب خواص هذا المعدن الذي ما أراد الله
تعالى للكفار بمنحهم إياه إلا استدراجهم، وإهانتهم وإذلالهم⁽³⁾.

وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٦﴾ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ
قَدَرُواهَا تَقْدِيرًا﴾⁽⁴⁾.

وتشير هذه الآيات إلى الاستخدامات التي يستفاد من الفضة فيها، وهي صنع الأواني
والأكواب والأساور.

يقول القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أي يدور على
هؤلاء الأبرار الخدم إذا أرادوا الشراب، ﴿بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ﴾، قال ابن عباس: ليس في الدنيا
شيء مما في الجنة إلا الأسماء، أي أن ما في الجنة أشرف وأعلى وأنقى، ثم لم تتف الأواني
الذهبية، بل المعنى: يسقون في أواني الفضة، وقد يسقون في أواني الذهب⁽⁵⁾.

وبعد، نرى أن في هذا الأمر دعوة إلى الإخوة الباحثين في هذا المجال أن يزيدوا من
علومهم ونتائج بحوثهم، ففي هذا الأمر مجال واسع للبحث؟

(1) سورة الإنسان آية 21.

(2) سورة الإنسان آية 13.

(3) انظر: الأرض: خالد فائق العبيدي، (88/4-92)؛ والإعجاز العلمي في الإسلام: محمد عبدالصمد، (96-
99). بتصرف.

(4) سورة الإنسان آية 15-16.

(5) جامع الأحكام: القرطبي، (140/19).

وقد أثبت العلم الحديث أن جزءاً واحداً من الفضة يكفي - إذا وضع في مصفاة - قتل الجراثيم الموجودة في عشرة ملايين جزء من الماء دون أن يسبب خطراً على حياة الإنسان... كما أن ملعقة صغيرة من الفضة تطهر أكثر من 36 مليار لتر ماء، وبذلك تفوق فاعلية الفضة في تعقيم المياه فعالية الكلور عشرة أضعاف.

... وبالإضافة إلى قيمة الفضة في تطهير الغذاء والشراب، فإن الفضة هي أيضاً أفضل موصل للكهرباء والحرارة... ولهذا استخدمت الفضة في امتصاص الطاقة الشمسية حديثاً⁽¹⁾... والله ﷻ أعلم بذلك.

رابعاً: الياقوت واللؤلؤ والمرجان.

أيما وجه الإنسان نظره فثمة آية من آيات الله تنطق بقدرته وعظمته. والأمثلة التي نذكرها في هذا المقام ليست سوى جزء ضئيل من بحر آيات الله الباهرة في خلقه، وقد خلق الله للإنسان كائنات نباتية وحيوانية كثيرة تتميز بالمنظر الرائع، والشكل الجميل الأخاذ، وكل شيء في الطبيعة مخلوق بالشكل الذي يتلذذ بطعمه الإنسان، وترتاح له عينه.

إلى جانب ذلك هناك العديد من الأشياء المخلوقة في الطبيعة كي تستخدم للزينة، ويعد الياقوت واللؤلؤ والمرجان أحد هذه الأشياء التي يتزين بها الإنسان، فإلى جانب منظره الرائع فإن له خصائص عجيبة أخرى...

فقد قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَمْطِئْنَهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٦٠﴾﴾⁽²⁾.

والياقوت: حجر كريم شفاف له ألوان عدة، الواحدة: ياقوتة والجمع يواقيت⁽³⁾.

وقد أثبت العلم أن الياقوت يتميز بدرجة عالية من الشفافية، ويقرر ما سبق أن أورده القرطبي في تفسيره لهذه الآيات من حديث لرسول الله ﷺ: "إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى

(1) الإعجاز العلمي في الإسلام: محمد عبدالصمد، (98). بتصرف.

(2) سورة الرحمن آية 56-58.

(3) انظر: المرام: مؤنس رشاد، (912)؛ ولسان العرب: لابن منظور، (123/2).

بياض ساقياها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها"⁽¹⁾. وما قاله الحسن: عن نساء أهل الجنة:
"هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان"⁽²⁾.

ومن هنا نرى أن العلم الحديث يقرر خاصية الياقوت وما يتميز به من شفافية عالية؛
ولذا فكلما كان الياقوت شفافاً زادت قيمته، ولذلك تعد الشفافية عاملاً هاماً في تقدير الجواهر
والحلي⁽³⁾. والله أعلم.

هذا بالنسبة للياقوت بينما اللؤلؤ والمرجان تحدثنا عنه بالتفصيل فيما سبق.

-
- (1) انظر: جامع الأحكام: القرطبي، (182/17)؛ ت: ك صفة الجنة عن رسول الله، (5) ب في صفة نساء أهل الجنة، (ح2533)، (ص570)، إسناده صحيح.
 - (2) جامع البيان: لابن جرير، (608/11)؛ وتفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (334/13).
 - (3) انظر: الإعجاز العلمي: محمد عبدالصمد، (100). بتصريف.

المطلب الثاني الفحم الحجري

قد قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾⁽¹⁾، وقال أيضاً: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾⁽²⁾.

إن هذه الآيات في ظاهرها بساطة، إلا أن في باطنها عمقاً وأصالة؛ وإن المفسرين أشاروا إشارة سريعة إلى بيان عظمة الخالق من خلال استخدام الشجر الأخضر للنار مع أن الشجر الأخضر يحتوي على الماء الذي يطفئ النار، حيث قالوا: إن الله ﷻ ذكر من بدائع خلقه انقذاح النار من الشجر الأخضر، مع مضادة النار الماء وانطفائها به، وهي الزناد التي توري بها الأعراب وأكثرها من المرخ والعفرار. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ليست من شجرة إلا وفيها النار إلا العتاب⁽³⁾.

إذن لنتساءل: ما هي طبيعة هذه النار التي جعلها الله في الشجر الأخضر؟... وكيف اختزنت فيه، ثم كيف خرجت؟... ولأي هدف ترى هذه؟ ولماذا يتحدى الخالق البشر بتساؤل له مغزاه ومعناه كما جاء في الآية ﴿أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾... الخ.

الواقع أن النار صورة من صور الطاقة؛ والطاقة التي تتكون في النبات استمدتها من طاقة الشمس، وبمعنى آخر: الأغذية جاءت للإنسان والحيوان مكتملة الطاقة، وقد ساهمت هذه الطاقة العملية الكونية الكبرى: بتشكيل الشمس، وبمعنى أدق أشعة الطيف المرئي للشمس. فتربط أشعة هذا الطيف بين أوراق النبات وثنائي أكسيد الكربون والماء الواصل للنبات من الأرض والمادة الخضراء في النبات، وينتج عن هذا تخليق مواد عضوية كالسكر ونحوه، يبدأ بها النبات وجوده، وتسمى هذه العملية عملية التمثيل الكلوروفيلي، عملية كيميائية تؤمن الحياة، فتؤمن وجود الحيوان على سطح الأرض، فتؤمن وجود الإنسان، ولا تحدث هذه العملية إلا في وجود أشعة الطيف المرئي للشمس التي تمتصها المادة الخضراء.

وهناك مصادر أخرى من الطاقة صنعتها الشمس واختزنتها في طبقات الأرض في شكل فحم وبتروول وغاز طبيعي، وهذه المخزونات صنعتها الشمس من أحياء قديمة من نباتات وحيوانات من بلايين السنين، دفنت وتحولت إلى ما تحولت إليه، وهي الأساس الذي قامت عليه

(1) سورة يس آية 80.

(2) سورة الواقعة آية 71-72.

(3) انظر: جامع البيان لتأويل القرآن: الطبري، (10/465)؛ والكشاف: الزمخشري، (4/40)؛ والبحر المحيط:

لأبي حيان، (7/333-335)؛ وتفسير الواضح: محمد حجازي، (7/1723). بتصرف.

الحضارة الصناعية الحالية؛ حيث تستعمل هذه الطاقة في تشكيل المصانع ووسائل النقل وغيرها⁽¹⁾.

أي إن الشجر الأخضر إذا جف يتحول إلى خشب، والنبات الأقل من الشجر يتحول إلى قش أو تبن، وكل هذه مصادر للوقود.

الخشب هذا إذا جف وأحرق بمعزل عن الهواء يتحول إلى فحم نباتي، وإذا دفن تلقائياً يتحول إلى فحم حجري، الفحم الحجري إذا زاد عليه الضغط والحرارة يتحول إلى غاز طبيعي، والنبات، وهو أخضر إذا أكله الحيوان فإن هذا الحيوان يفرز مواد فيها مصدر للطاقة، وإذا دفن هذا الحيوان بمعزل عن الهواء يتحول إلى بترول، وإذا زادت درجة الحرارة يتحول إلى غاز طبيعي⁽²⁾، ويتضح ذلك في الآبار وفي المناجم، ويمكن أن يستخرج هذا كما هو الحال في دلتا مصر الآن، وأيضاً يوجد في فلسطين غاز طبيعي، وبالتحديد شمال قطاع غزة.

وتقوم الحرب بين دول من أجل الاستيلاء على البترول، أو غاز طبيعي، أو عنصر اليورانيوم كما يحدث في عصرنا هذا.

وما بوسعي إلا أن أقول: الذي يستطيع أن يحبس هذه الطاقة ويقدمها للإنسان لكي يستفيد منها هو الشجر الأخضر، ولم يكن هذا معروفاً من قبل نزول القرآن ولمئات السنين. وهذه ومضة إعجازية من القرآن تشهد بأنه كتاب خالد وأنه من عند الله، وتشهد بأن محمداً ﷺ كان موصولاً بالوحي معلماً من قبل الخالق ﷻ.

(1) انظر: القرآن والعمران: أحمد خالد علام وأحمد عفيفي، (55-59)؛ من آيات الإعجاز العلمي: زغول النجار، (67/2-69)؛ كتاب التوحيد: عبدالمجيد الزنداني، (43)؛ ومضات إعجازية (المادة والطاقة): العبيدي، (79-80)؛ مقال من الشجر الأخضر نارا: بقلم: د. عبدالمحسن صالح (105-108)، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 194، بتصرف.

(2) انظر: من آيات الإعجاز العلمي: زغول النجار، (69/2)؛ القرآن وإعجازه العلمي: محمد إسماعيل إبراهيم، (149).

الفصل الثاني

بدء الحياة على الأرض وحكمة ذلك

ويشمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بدء الحياة على الأرض

المبحث الثاني: عمارتها واستخلاف الصالحين لها

المبحث الثالث: إصلاحها وعدم إفسادها

المبحث الأول

بدء الحياة على الأرض

ويشمل ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بدء حياة النبات والحيوان

المطلب الثاني: بدء حياة الجن

المطلب الثالث: بدء حياة الإنسان

المطلب الأول

بدء حياة النبات والحيوان

كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، فخلق السموات والأرض في ستة أيام.

فقد خلق الأرض في يومين ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾⁽¹⁾. أي: بما أودع في باطنها من المعادن والطاقات والكنوز⁽²⁾.

وفي يومين آخرين خلق مصادر القوت والرزق المائية والزراعية والحيوانية والمعدنية وقدر أنظمتها وقوانينها وشروط الانتفاع بها واستغلالها، فأكمل الله خلق الأرض وتقدير أوقاتها في أربعة أيام⁽³⁾. قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ لِلسَّائِلِينَ﴾⁽⁴⁾.

وفي اليومين الآخرين خلق السموات: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ففصاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها⁽⁵⁾.

وقد فصلنا ذلك فيما قبل، وذكرنا اختلاف المفسرين في مقدار هذه الأيام التي تم الخلق فيها.

فمنهم من قال: إنها يوم كأيامنا هذه "من شروق الشمس إلى غروبها"⁽⁶⁾، وبعضهم ذهب: أنها يوم من أيام الله و هي كآلف سنة⁽⁷⁾.

وقد رجحت الباحثة: أن اليوم كآلف سنة لقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾⁽⁸⁾؛ وأيضاً: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾⁽⁹⁾.

(1) سورة فصلت آية 9-10.

(2) انظر: في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك، (5100/6). بتصرف.

(3) انظر: جامع الأحكام: القرطبي، (343/15)؛ الكشاف: الزمخشري، (183/4)؛ فتح القدير: الشوكاني، (627/4).

(4) سورة فصلت آية 10.

(5) سورة فصلت آية 11-12.

(6) جامع البيان: الطبري، (513/5)؛ إرشاد العقل السليم: لأبي السعود، (186/3).

(7) فتح القدير: الشوكاني، (629/4).

(8) سورة الحج آية 47.

(9) سورة السجدة آية 5.

وأيضاً حديث بدء الخلق؛ حيث روى عن أبي هريرة قال: "أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه* يوم الثلاثاء، وخلق النور** يوم الأربعاء، وبث الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل"⁽¹⁾.

ففي هذا الحديث دلالتان:

الأولى: دلالة تبين مشيئة الله في منفعة هذا الإنسان، فقد هيا له الأرض لتكون صالحة للسكنى قبل خلقه، فقد خلق الأرض (التربة) ممهدة ومبسطة، ثم خلق الجبال حتى تثبت هذه الأرض فلا تضطرب ولا تهتز ولا تتمايل، ثم خلق الشجر ليكون غذاء، ودواء ومنفعة لهذا الإنسان، ثم خلق الدواب، وأيضاً فيها منفعة للإنسان لتكون غذاء له وركباً ومتاعاً، وبذلك أصبحت الأرض صالحة، ومهيأة لهذا الإنسان.

الدلالة الثانية: وهي ما تفيد أن اليوم كألف سنة، فقد قال أبو جعفر الرازي: "إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء، وخلق الجن يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة..."⁽²⁾؛ لأن الملائكة عندما علمت أن الله يريد أن يخلق آدم قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، قاسوا ذلك على من سبقه وهم الجن، فيكون مستحيلاً، وليس على الله أي مستحيل أن يتم خلق الجن في يوم ويسفكوا الدماء وتهبط الملائكة لقتلهم وطردهم، ثم في اليوم التالي يخلق آدم فلذلك يكون اليوم كأيام الله بألف سنة، وهذا ليس فيه تقليل من قدرة الله، حاشا لله، وإنني أعلم أنه إذا أراد الله شيئاً، فيقول له كن فيكون، وإنما في ذلك بيان قدرة ودقة الله في الخلق، ومعجزة وإعجاز لبني البشر. والله أعلم.

ودائماً يدعوننا الله إلى التأمل والتدبر في هذه الأرض ليصل الإنسان إلى حكمة الإله في اختيار هذا الكوكب ليكون صالحاً للحياة. وعن بداية خلقه، قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾⁽³⁾.

* المكروه: الشر (نهاية في غريب الحديث: لابن الأثير، (800).

** النور: الخير، المصدر السابق نفسه، (800)

(1) م: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، (1) باب ابتداء الخلق وخلق آدم ﷺ، (ح 2789)، (ص 1456).

(2) تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم/ تحقيق:

أسعد محمد الطيب، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1424هـ - 2003م، (77/1)

(3) سورة الذاريات آية 20.

وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽¹⁾.

ففي هذه الآيات إرشاد الناس إلى الاعتبار بما في الأفاق من الآيات المشاهدة على خلق الله للأشياء: السموات وما فيها من الكواكب النيرة، والسيارات والأرضين، وما فيها من مهاد وجبال وأودية وبراري، وأشجار وأنهار وثمار وبحار، كل ذلك دال على حدوثها في أنفسها وعلى وجود صانعها الذي يقول للشيء كن فيكون⁽²⁾.

ويقرر العلم أن الحياة ما قبل زمن الجن تنقسم إلى حقتين متتاليتين كما يلي:

1- حقب الحياة السحيقة: تتميز بوجود حياة نباتية بحرية غاية في البساطة مثل البكتيريا والفطريات... الخ.

2- حقب الحياة الابتدائية: وجدت في صخوره بقايا نباتات بحرية وآثار نادرة لبقايا حيوانية... الخ⁽³⁾. والله أعلم.

ومن المعروف أن سطح الأرض كانت تعيش عليه أنواع شتى من المخلوقات في الأزمنة الغابرة، وقد انقرضت معظم المخلوقات، وما كان للإنسان أن يعلم شيئاً عن هذه المخلوقات، لو لم يكن المولى ﷻ قد هيا لها كل الظروف التي تساعد على الاحتفاظ بها بين الصخور.

ويهتم علماء الحفريات بدراسة بقايا وآثار الكائنات التي يجدونها مطمورة، أو مطبوعة في صخور الأرض، فحيث وجدت حفرياتها يمكن أن تتبهنهم عن الظروف التاريخية التي ترسبت فيها الصخور الحاوية للحفريات... ومن ثم يستطيعون أن يتعرفوا على الأماكن التي تتواجد فيها بعض الثروات المعدنية، ومن خلال الحفريات يستطيع التعرف على تاريخ الحياة للأرض، وتاريخ الإنسان القديم الذي كان يعيش في العصور الغابرة، وأيضاً معرفة نوع الحيوانات التي كانت تدب على الأرض⁽⁴⁾. والله أعلم بكل شيء.

(1) سورة العنكبوت آية 20.

(2) انظر: جامع البيان: الطبري، (130/10)؛ تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (502-501/10)؛ المحرر الوجيز: لابن عطية، (374-373/11)؛ زاد المسير: لابن الجوزي، (404/3). بتصرف.

(3) انظر: صور من حياة ما قبل التاريخ: زغول النجار، (65-43). بتصرف.

(4) انظر: الإعجاز العلمي: محمد عبدالصمد، (91-90)؛ والموسوعة العربية العالمية الأسفلت، (527-523)؛ ومجلة التربية مقال (الحياة القديمة ودورها في علوم الأرض): حامد خليفة محمود، (240-231)؛ القرآن والعمران: أحمد خالد علام، أحمد عفيفي، (13-11). بتصرف.

المطلب الثاني

بدء حياة الجن

أقصد بذلك زمن ظهور الحياة على هذه الأرض، فيبدأ من زمن الجن إلى زمن بني آدم حتى قيام الساعة.

وإن الجن عالم غير الإنسان، وغير الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل، والإدراك، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر، ومن حيث التكليف أيضاً؛ وبخالفون الإنسان في أمور أهمها أن أصل الجن مخالف لأصل الإنسان...

أولاً: ابتداء خلقهم.

إن الجن خلقوا قبل سيدنا آدم، والدليل على ذلك حديث بدء الخلق الذي رواه مسلم وسبق الحديث عنه، حيث قال أبو جعفر الرازي: إن الجن خلق يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة⁽¹⁾، وقال بعضهم: أنهم خلقوا قبل الإنسان بألفي عام⁽²⁾.

والدليل الآخر على أن الجن خلقوا قبل الإنسان قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾.

فقد فسر كثير من المفسرين هذه الآية بأن الله لما أراد أن يخبر الملائكة بأنه يريد أن يجعل في الأرض خليفة، ولم يكن في الأرض أي خلق، فقد قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها!⁽⁴⁾.

لماذا قالت الملائكة كذلك؟ أليس ذلك عن تجربة؛ حيث وجد الجن على الأرض قبل آدم. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لقد أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يدخلها أحد، قال تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وقد كان فيها قبل أن يخلق بألفي عام الجن بنو الجان، فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء، فلما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يعنون الجن، بني الجان، فلما أفسدوا في الأرض بعث

(1) انظر: الدراسة، (ص154)

(2) انظر: عالم الجن والشياطين: عمر سليمان الأشقر، (5)؛ تاريخ الإنسانية وأبطالها: محمد رضا، (7-8)، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1 1422هـ-2001م. بتصرف.

(3) سورة البقرة آية 30.

(4) انظر: تفسير القرآن: لابن كثير، (337/1)؛ وجامع الأحكام القرآن: القرطبي، (274/1)؛ ومحرر الوجيز: لابن عطية (227/1)؛ في رحاب التفسير: كشك، (137/1). بتصرف.

جنوداً من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور، قال: فقالت الملائكة: ﴿تَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كما فعل أولئك الجن، بنو الجان، قال: فقال الله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾.

وقال بعضهم: إن إبليس من حيٍّ من أحياء الملائكة يقال لهم: الجن، خلقوا من نار السموات من بين الملائكة، وكان اسمه الحارث، وكان خازناً من خزائن الجنة.

وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحي، وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار. وخلق الإنسان من طين، فأول من سكن الأرض الجن، فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً، فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة، وهم هذا الحي الذي يقال لهم الجن، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور، وأطراف الجبال، فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه، وقال: لقد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد، فاطلع الله على ذلك في قلبه، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه⁽²⁾.

وكما أضاف آخرون وقالوا: كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة، فأسره بعض الملائكة فذهبوا به إلى السماء. ثم أضافوا شيئاً آخر فقالوا: كان إبليس صغيراً عندما قاتلت الملائكة الجن، وبقي مع الملائكة يتعبد معهم، فلما أمروا أن يسجدوا لآدم سجدوا، وأبى إبليس، فذلك قال ﷺ في سورة الكهف: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾⁽³⁾⁽⁴⁾.

تري الباحثة أن إبليس كان صغيراً وأخذته الملائكة وبقي يتعبد معهم، أي أنه من الجن، والدليل قول الله: ﴿... إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ...﴾⁽⁵⁾، وممكن أن يكون سبب عصيانه عن أمر ربه، حسده لآدم لما أكرم به حيث خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته بينما كان هو من الجن ولم تحصل له هذه التكريمات رغم كثرة عبادته، أو بسبب إعجابه بنفسه لشدة اجتهاده في عبادة ربه وكثرة علمه وما أوتي من ملك الدنيا والأرض وخزن الجنان. والله أعلم.

وعندما أراد الله خلق آدم ليكون في الأرض هو وذريته من بعده، وجعل إبليس وهو رئيس الجان وأكثرهم عبادة حين ذلك وكان اسمه عزازيل يطيف به، فلما رآه أجوف عرف أنه

(1) المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، (27) ك التفسير، (ب) من سورة البقرة (ح 3035)، (287/2)؛ حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه 1. هـ قال الذهبي: صحيح.

(2) انظر: جامع البيان: الطبري، (1/238-240)؛ البداية والنهاية: لابن كثير، (1/63).

(3) انظر: جامع البيان: الطبري، (1/238-240).

(4) سورة الكهف آية 50.

(5) سورة الكهف آية 50.

خلق لا يتمالك، وقال: أما لئن سلّطت عليك لأهلكنك؛ ولئن سلّطت علي لأعصينك فلما أن نفخ الله في آدم من روحه -كما سيأتي- وأمر الملائكة بالسجود، دخل إبليس منه حسد عظيم وامتنع عن السجود، وقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، واعترض على الرب، ولقد أنزل من مرتبته التي كان قد نالها، وكان قد تشبه بالملائكة في عبادتهم، مع أنه ليس من جنسهم، فقد طرد من رحمة الله.

فأهبط إبليس من الملائكة الأعلى، فنزل إلى الأرض حقيراً... متوعداً بالنار هو ومن تبعه من الجن والإنس⁽¹⁾. والله أعلم.

ثانياً: أصل خلقهم.

أخبرنا الله - جلا وعلا - أن الجن قد خلقوا من النار في قوله: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾⁽²⁾؛ وقال: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾⁽³⁾.

وقال ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والحسن وغير واحد في قوله ﴿مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾: طرف اللهب، وفي رواية: من خالصه وأحسنه⁽⁴⁾.

وقال النووي في شرحه على مسلم: المارج اللهب المختلط بسواود النار⁽⁵⁾، وبعد ذلك يتبين لنا -من خلال هاتين الآيتين- أن الله خلق جنس الجن من نار السموم، أي نار الريح الحارة التي لها لفتح، وتقتل من أصابته. قال ابن مسعود: هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق منها الجان⁽⁶⁾... وورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"⁽⁷⁾. وفي ذلك إشارة إلى برودة طبع الإنسان، وحرارة طبع الجان. والله أعلم.

(1) انظر: الرسل والأمم: الطبري، (45-43/1)؛ البداية والنهاية: لابن كثير، (64-63/1)؛ قصص الأنبياء: لابن كثير، (74-73). بتصرف.

(2) سورة الحجر آية 27.

(3) سورة الرحمن آية 15.

(4) جامع البيان: الطبري، (584/11)؛ تفسير القرآن: لابن كثير، (317/13). بتصرف.

(5) م:ك الزهد والرقائق، (ب) في أحاديث متفرقة، (ح60)، (ص2450).

(6) انظر: جامع لأحكام القرآن: القرطبي، (161/17)؛ والمحرم الوجيز: ابن عطية، (188/14)؛ في رحاب التفسير: كشك، (6093/7).

(7) م:ك الزهد والرقائق، (10) ب في أحاديث متفرقة، (ح2996)، (ص1550).

وقد صرح تبارك وتعالى: بأن للجن قلوباً وأعيناً وأذاناً، وللشيطان صوتاً، لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مِنْ اسْتِطْعَتِ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾⁽¹⁾، ﴿وَلَقَدْ نَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ...﴾ إلى قوله ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ﴾⁽²⁾.

وثبت في الأحاديث أن الجان يأكلون، ويشربون ويضحكون، وغير ذلك. ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي أمره أن يأتيه بأحجار يستجمر بها، وقال له: "ولا تأتني بعظم ولا روثة"، ولما سأل أبو هريرة الرسول ﷺ بعد ذلك عن سر نهيه عن العظم والروثة، قال: هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين، ونعم الجن، فسألوني الزاد، دعوت الله لهم: أن لا يمرؤا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاماً⁽³⁾. وأيضاً لهم جوانب ضعف وقوة، فلهم قدرات ليست موجودة لدى البشر؛ فليدهم سرعة الحركة والانتقال، ويعملون بالأعمار والتصنيع؛ أما جوانب الضعف ليس لديهم سلطان على العباد الصالحين فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾⁽⁴⁾؛ وأيضاً: أن كيدهم ضعيف لقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾⁽⁵⁾ وأيضاً إن غايتهم في هذه الدنيا (أي الحياة)، مثل غاية الإنسان فإنهم مكلفون، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽⁶⁾⁽⁷⁾.

(1) سورة الإسراء آية 64.

(2) سورة الأعراف آية 179.

(3) خ: (63) ك مناقب الأنصار، (32) ب ذكر الجن، (ح3860)، (ص803).

(4) سورة الحجر آية 42.

(5) سورة النساء آية 76.

(6) سورة الذاريات آية 56.

(7) عالم الجن والشياطين: عمر الأشقر، (27-48). بتصرف.

المطلب الثالث

بدء حياة الإنسان

قبل أن يخلق الله الإنسان سخر له عوامل الحياة التي تصلح له حتى تستمر حياته على الأرض، لذلك خلقه في يوم الجمعة بعد العصر. فقد أراد الله لهذا المخلوق، الذي قدر له أن يقود الحياة على الأرض، أن يكون عاقلاً ومفكراً وله حرية في الرأي، لكي يقود مسيرة الحياة، ويرشد حركتها، ويعمر أرجاءها، ويزيل فساد حلقاتها، ويجعلها قادرة على تحقيق الراحة لسكان هذه الأرض بإحقاق الحق وتطوير الخلق⁽¹⁾.

فقد أخبر الله - سبحانه - ملائكته قائلاً: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٠﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾⁽²⁾. فتلقى الملائكة هذا النبأ بفرح وتسليم من غير قلق أو خوف من شيء، فخلق الله آدم من تراب خاص ﴿مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ وهو طين أسود فصوره ونفخ فيه من روحه فصار بشراً سوياً ومستوياً⁽³⁾.

وقد جاء في صحيح الترمذي بالإسناد إلى رسول الله ﷺ في تفسير أول البقرة "إن الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب"⁽⁴⁾، وهي ميزة عظيمة للإنسان على سائر الحيوانات، فزادت قدرته على الحركة، وخلق له عقلاً معرفياً يستقرئ الظواهر والأحداث، يستنتج منها الغايات، والأهداف ثم نفخ فيه من روحه فسرت فيه بسمة الحيوية، ونسمة الحياة أسباباً لتحقيق إرادته ومشيتته، كما أرادها الله له وشاء⁽⁵⁾.

وجعله كائناً مختاراً ومسؤولاً قادراً على حمل أمانة التكليف ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾⁽⁶⁾، باختياره فهو

(1) انظر: القصص القرآني: أحمد الكبيسي، (20)؛ دار الكتاب الجامعي، 1423هـ-2003م.

(2) سورة الحجر آية 28-29.

(3) الكشف: الزمخشري، (2/554-555)؛ المحرر الوجيز: لابن عطية، (8/308-309)؛ في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك، (3/1967). بتصرف.

(4) ت: (4) ك تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، (3) ب من سورة البقرة، (ح2955)، (ص6626)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(5) القصص القرآني: أحمد الكبيسي، (21).

(6) سورة الأحزاب آية 72.

يعبد ربه وبطبعه مع قدرته على أن يعصيه، فإذا أطاع الإنسان ربه فإنه يفعل ذلك حباً له وتسليماً بقضائه وطاعة لأوامره، وهو بهذا يتميز عن الملائكة الذين يفعلون ذلك جبراً لا خيار لهم فيه ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁽¹⁾⁽²⁾.

ثم خلق من آدم زوجه حواء وجعلها أحد أصليّ الخلق الإنسانيّ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾⁽³⁾.

فهما شريكان متساويان في وراثته هذه الأرض وعمارتها، كل في مجاله، وأسكن الله آدم وزوجه بستاناً عظيماً وجنة مزدهرة وقال له: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾⁽⁴⁾.

فكرم الله آدم بأن أمر الملائكة أن تسجد له: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾⁽⁵⁾، وقد أقبلوا على آدم بحب واطمئنان ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾⁽⁶⁾.
فقد خالف أمر ربه واستكبر وكان من الكافرين.

سأل الله إبليس عن سبب امتناعه قائلاً: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾⁽⁷⁾، فزعم إبليس أنه خير من آدم فقال تعالى على لسان إبليس ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾⁽⁸⁾ وأعلن العصيان لربه وتمرده على أمره، واستتكف أن يسجد لما خلقه الله بيديه فطرده الله ولعنه⁽⁹⁾: ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿۝۱۰﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾⁽¹⁰⁾

ولقد سأل إبليس ربه أن يمد له في حياته إلى آخر يوم من أيام هذه الدنيا. فقد أجاب الله سؤاله، وقد علم الله ما يضمرة إبليس لآدم وذريته من الشر. ومع هذا قال له: ﴿فَاتَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿۝۱۱﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾⁽¹¹⁾. فلما حصل إبليس على وعد ربه هذا أعلن عن

(1) سورة التحريم، آية 6.

(2) صفة التفاسير: محمد الصابوني (540/2)؛ التسهيل في علوم التنزيل: لابن جزى الكلبى (198/2).

(3) سورة النساء آية 1.

(4) سورة البقرة آية 35.

(5) سورة ص آية 73.

(6) سورة الحجر آية 31.

(7) سورة ص آية 75.

(8) سورة ص آية 76.

(9) انظر: المحرر الوجيز: لابن عطية، (490- 489/12). بتصرف.

(10) سورة الحجر آية 34-35.

(11) سورة ص آية 80-81.

خططه الشريرة، وتوعد آدم وذريته بأن يغويهم ويغريهم بالمعاصي والكفر؛ ولكن الله تحداه بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً مع الصالحين من عباده⁽¹⁾: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ»⁽²⁾. أي الذين سيطيعونك في الشرك والكفر ويتبعونك من الغاوين فعليهم غضب الله ولعنته⁽³⁾: «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٦﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ»⁽⁴⁾.

فخرج إبليس من الجنة مذموماً، وامتلاً قلبه حقداً على آدم وذريته وعزم على أن يفسد عليه هذه النعم التي هو فيها.

وقيل أن الملائكة سجدوا لآدم طائعين، وطرد إبليس من الجنة، وبعد أن استقر آدم وزوجه في جنتهما أعلن الله لملائكته أنه شاء أن يجعل في الأرض خليفة غيرهم، له ذرية، يسعون فيها ويمشون في مناكبها، وينتشر نسلهم في أرجائها يعمرونها ويثرونها ويثيرونها، ويستخرجون خيراتها من باطنها وظاهرها، ويبنون الحضارات ويقيمون العدل فيها، ويطبقون شرائع الله فيها.

وظنوا أن المقصود بهذا الخليفة الجديد هو آدم نفسه، رأوا أنعام الله عليه، وخافوا أن يكون هذا بسبب تقصير منهم فأسرعوا لتبرئة أنفسهم وأظهروا مدى طاعتهم لله⁽⁵⁾: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ»⁽⁶⁾.

وإن ذرية آدم لا بد أن يختلفوا على ما في الأرض من منافع، ويتنافسوا على ما فيها من خيرات، يفسدوا فيها بالتخريب، ويسفكوا الدماء بالحروب... ولقد امتد رجائهم إلى الله أن يستخلفهم في الأرض لأنهم أسبق إلى رعاية نعمته ومعرفة حقه لهم: «لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»⁽⁷⁾.

فقد أجابهم الله بما يطمئنهم على سلامة موقفهم وقال: «قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»⁽⁸⁾.

ثم امتحنهم بالمعرفة فوجدوا أن آدم عنده من العلم ما ليس عندهم، له عقل معرفي لا يملكونه فقال لهم بعد أن أقرروا بقصورهم المعروف عن آدم: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ

(1) محرر الوجيز: لابن عطية، (490/12)؛ أيسر التفاسير: لأبي بكر الجزائري، (1112)؛ مجمع البيان: الطبرسي، (626/8). بتصرف.

(2) سورة الحجر آية 42.

(3) الجامع لأحكام: القرطبي، (29/10)؛ في ظلال القرآن: سيد قطب، (2142/4). بتصرف.

(4) سورة الحجر آية 43-44.

(5) انظر: قصص الأنبياء: لابن جرير الطبري، (22-23)؛ القصص القرآني: أحمد الكبيسي، (23). بتصرف.

(6) سورة البقرة آية 30.

(7) سورة الأنبياء آية 27.

(8) سورة البقرة آية 30.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ»⁽¹⁾. وهكذا فاز آدم بوظيفة الاستخلاف في الأرض هو وذريته، من بعده وأسبع الله عليهم نعمة ظاهرة وباطنة: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا»⁽²⁾. فإن هذا الاستخلاف لآدم كان له أثر على نفس إبليس، وعز عليه أن ينعم آدم وزوجته بنعمة الله بينما هو مطرود وملعون، فكان آدم وزوجته أول ضحية لغواية الشيطان، إذ حرصاً على الأكل من الشجرة التي نهاهما الله عن الاقتراب منها، فأكلا من ثمرها فكانا من الظالمين⁽³⁾ «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١٠١﴾»⁽⁴⁾.

فعاقبهما الله على عصيانهما بالخروج من الجنة، وهبطا الأرض وهما على وجهيهما، وحرما ذلك النعيم. قال تعالى: «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى»⁽⁵⁾. وجعل الله الدنيا له ولذريته سجنًا، وابتلاهم بالآفات والحرارة والبرودة والتعب والشقاء، في الحصول على الأرزاق والمنافسة إلا أن آدم تلقى من ربه كلمات فتاب عليه⁽⁶⁾. وبعد أن هبط آدم وحواء وسكنا الأرض تناسلا وكان من نسلهما قابيل وهابيل، ثم تناسل وسيتناسل بعد ذلك خلق كثير جداً إلى يوم القيامة.

وكان مما حدث في تلك الأيام قصة هابيل وأخيه قابيل ابني آدم عليهما السلام، قال تعالى: «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٠٢﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٣﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٤﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٠٥﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِثُ سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِثُ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿١٠٦﴾»⁽⁷⁾.

(1) سورة البقرة آية 33.

(2) سورة الإسراء آية 70.

(3) انظر: تفسر المنير: وهبة الزحيلي، (138/1)؛ تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، (258/1).

(4) سورة البقرة آية 35-36.

(5) سورة طه آية 121.

(6) انظر: استخلاف آدم عليه السلام: د. علي نصر، مجلة دعوة الحق، (83)، العدد (76)، السنة السابعة.

(7) سورة المائدة آية 27-31.

فتعدّ هذه أول جريمة قتل ارتكبت في الأرض من أولاد آدم، حتى ظهر الإنسان على الأرض. فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقتل نفساً ظلاماً، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه كان أول من سنّ القتل"⁽¹⁾.
يقول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾⁽²⁾.
في هذه الآية إشارة واضحة لتأخر ظهور الإنسان على الأرض دون تحديد مطلق لتاريخ ظهور سيدنا آدم ﷺ⁽³⁾.

بينما في التوراة حدد ظهور الإنسان على الأرض، قبل المسيح بحوالي (38) قرناً. علماً بأن معرفة ظهور آدم علمياً أمر بالغ الصعوبة، ولكن من المؤكد أن هناك آثاراً وأطلالاً تشير إلى وجود حياة إنسانية مفكرة وعاملة منذ عشرات الآلاف من السنين! أي أبعد بكثير من العصر الذي حدده سفر التكوين لأوائل البشر.

ولقد ساهم علم الطبيعة النووية في تحديد عمر الجثث البشرية باستخدام الكربون (14) المشع والبيوتاسيوم؛ حيث إن انحلال مثل هذه العناصر المشعة يؤدي إلى تحولها إلى عناصر أخرى، ابتداءً من تاريخ الوفاة، ويمكن حساب الزمن القديم الذي بدأت فيه عملية الانحلال الإشعاعي لتحديد عمر الجثة⁽⁴⁾. والله أعلم بذلك

وذلك فإن تاريخ ظهور الإنسان على الأرض أمر غيبي لا يعلمه إلا الله، وبذلك لا نعتمد ما حددته التوراة؛ لأنها محرفة، وكذلك العلم؛ لأن نظرياته غير ثابتة، ولكن المتفق عليه أن حياة الإنسان على الأرض بدأت عندما أنزل آدم وحواء إليها بعد إخراجهما من الجنة.

(1) ن: (37) ك تحريم الدم، (1) ب، (ح3987)، (ص582).

(2) سورة الإنسان آية 1.

(3) انظر: روح البيان: البروسوى، (10/262).

(4) انظر: الكون والإعجاز العلمي: منصور حسب النبي، (347-349). بتصرف.

المبحث الثاني

عمارتها واستخلاف الصالحين لها

ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: عمارة الأرض

المطلب الثاني: وراثته واستخلاف الصالحين للأرض

المطلب الأول عمارة الأرض

منذ أن هبط آدم وزوجه إلى الأرض بدأت من هذه اللحظة وظيفة هذا الإنسان، ولقد تحدثنا سابقاً أنه لم يخلق عبثاً ولا سدى، وإنما خلق لحكمة ولهدف.

فالوظيفة التي يحملها القرآن للإنسان -في الحقيقة- إنما هي عمارة الأرض، بمعناها الشامل العام. وهي تشمل، فيما تشمل، إقامة مجتمع إنساني سليم، وإشادة حضارة إنسانية شاملة، ليكون الإنسان بذلك مظهراً لعدالة الله تعالى ورحمته في الأرض، وذلك يكون بالحق والعلم والقوة وتنفيذ أمر الله في ذلك.

وينص القرآن -في أكثر من موطن- على هذه الوظيفة التي حملها الإنسان، فهو يقول: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾⁽¹⁾.

أي وجعلكم عمّاراً لما فيها من العمران، فقد كانوا زراعاً وصناعاً وبنائين⁽²⁾.
وأيضاً: ﴿وَأَثَرُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾⁽³⁾. أي: عمروا فيها أعماراً طوالاً، فعمروها أكثر منكم واستغلوها أكثر استغلالكم⁽⁴⁾.

ويقول: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾⁽⁵⁾، أي خليفة مني يخلفني في الحكم بالعدل بين خلقي. وإن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه⁽⁶⁾.

ويقول أيضاً: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾⁽⁷⁾. ويقول: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾⁽⁸⁾.

(1) سورة هود آية 61.

(2) تفسير المنار: محمد رشيد رضا، (121/12).

(3) سورة الروم آية 9.

(4) انظر: تفسير العظيم: لابن كثير، (16/11).

(5) سورة البقرة آية 30.

(6) جامع البيان: الطبري، (137-236/1)؛ الكشاف: الزمخشري، (128/1)؛ صفوة التفاسير: الصابوني، (48/1). بتصرف.

(7) سورة القصص آية 5.

(8) سورة النور آية 55.

فهذه الآيات - ومثلها في القرآن الكريم - تنطوي على تعريف صريح بالمهمة الأساسية التي كُف الإنسان في حياته أن ينهض بها، ألا وهي تحقيق جامعة إنسانية فعالة، في سبيل النهوض بعمارة هذا الكوكب الأرضي العمارة الكلية الشاملة لكل ما تنتسج له كلمة (العمارة) من المعاني المادية، والعلمية، والاقتصادية. ومن هنا شرف الله سبحانه الإنسان الذي قبل النهوض بهذه المهمة على الوجه الذي رسمه الله تعالى له بلقب (ال خليفة).

ولكن لما كان نهوض الإنسان بهذه المهمة متوقفاً على تخلص نفسه من عكر الآفات الأخلاقية، رسم الله لهذا المخلوق دورات تربوية تتكفل بتصفية نفسه من تلك الشوائب، وتهيئته للنهوض بواجبه المقدس على أحسن وجه⁽¹⁾.

وبذلك فإننا نقول: الدين ليس صوماً، وحباً، وصلاة... الخ فقط، بل هو كل ما شرع الله لعباده، من مناهج حياة الدنيا، وعندما جاء الدين لإصلاح الدنيا والنهوض برعايتها نبيه الناس أنهم ليسوا إلا عبيداً مملوكين لله ﷻ.

ويترتب على ذلك أن من اتكأ على الدين واستعان به، لتزداد قدمه رسوخاً في الدنيا، وليزداد تمكناً في نعيمها، فقد سعى إلى مكر بالله؛ وحاشاه أن يمكر به، ومن فصل الدين عن الدنيا، ومضى لينفذ أوامر الله - فيما يزعم - في كهوف قاصية، لا يتعرف على شيء من المسؤوليات الاجتماعية، وسبل عمارة الأرض، فقد عصى الله فيما قد ألزمه، وشرفه به من مهام الخلافة في الأرض والأمر بعمارتها وإقامة شرعة الله في جنباتها⁽²⁾.

وأرى، إن كان أفراد الأمة كلها على هذه الشاكلة، فلا بد أن تزول الثقة بينهم، وتتصادم الأهواء والمصالح، وتنشأ بينهم الخصومات والأحقاد، وينتشر القتال، وتتمزق الأمة وتذهب ريحها.

لذلك فإن إنشاء الحضارة متوقف على معرفة عناصرها الطبيعية، معرفة صحيحة، وعناصر عمران الحضارة: الإنسان، والحياة، والكون⁽³⁾، وهنا يطرح سؤال: من القادر على تعليم الإنسان هذه العناصر؟.

إنه الذي استقل بإبداعه وصنعه، ثم وضع في كل منها قابليته، وأقامه على مهمته ووظيفته!... فمن هو غير الفاطر الحكيم ﷻ؟

فإن عرف الإنسان خطر مهمته في هذه الدنيا، فسوف يبذل أقصى جهده لأداء هذه المهمة، وهي إعمار هذه الأرض، والابتعاد عن كل ما يفسدها؛ لأن الله اعتبر الفساد من

(1) منهج الحضارة الإنسانية في القرآن: محمد سعيد رمضان البوطي(26)، دار الفكر المعاصر؛ 1424هـ-2003م.

(2) المرجع السابق، (31).

(3) المرجع السابق، (36)؛ القرآن والعمران: أحمد خالد علام، أحمد كمال الدين عفيفي، (1).

الجنایات الاجتماعیة، وحذر منه فی آیات كثيرة، فقال تشنیعاً علی المفسد: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿١٠٦﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿١٠٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾⁽¹⁾.

والمعنى: ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، لأنه يبدو نصيراً للحق محباً للإصلاح، ويحلف بالله على أن ما في قلبه موافق لما يقول.

ولكنه أشد الناس خصومة للمجتمع، فهو إذا تولى ولاية يكون له فيها سلطان لا يكون سعيه للإصلاح، بل للإفساد وإهلاك الزرع والنسل، والله لا يحب المفسدين⁽²⁾.

ولقد حذر الله المسلمين من معاملة الشعوب بالقسوة والجبروت وتخريب العامر من مدنهم؛ لأن هذا يؤدي إلى عدم النجاح في شؤونهم الخاصة.

وقد أوجز الله تعالى هذا الأصل في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾⁽³⁾.

والمعنى: ولقد كتبنا في الزبور أن الأرض يرثها عبادي الصالحون لعمارتها وتيسير أسباب الحياة الطيبة فيها⁽⁴⁾.

ولقد زاد تنبيهه - بعد الفساد في الأرض - قوة، بأن جعل النجاة في الآخرة وفقاً على المتأدبين بها الأدب الإلهي وهو عدم الفساد.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽⁵⁾.

ومن هذا كله تبين أن الفساد من أسباب انحدار وانهيار الحضارة الإسلامية؛ لذلك على كل فرد مسلم أن يبتعد عن أي شيء مفسد قد عفى عنه الله ورسوله ﷺ، حتى تنشأ حضارة إسلامية.

(1) سورة البقرة آية 204-206.

(2) انظر: مدارك التنزيل: النسفي، (165/1-166)؛ الأساس في التفسير: سعيد حوي، (477/1).

(3) سورة الأنبياء آية 105.

(4) معالم التنزيل: البيهقي، (52/4).

(5) سورة القصص آية 83.

المطلب الثاني

وراثة واستخلاف الصالحين للأرض

لقد كرم الله تعالى الإنسان وفضله على جميع مخلوقاته، وهياً له أسباب الحياة على هذه الأرض. فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾⁽¹⁾.

وهذه الكرامة يدخل تحتها خلقهم على هذه الهيئة الحسنة وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس على وجه لا يوجد لسائر أنواع الحيوان مثله، وأعظم خصال التكريم العقل، فإنهم به تسلطوا على سائر الحيوانات، وميزوا بين الحسن والقبيح وتوسعوا في المطاعم والمشارب، وكسبوا الأموال التي تسببوا بها إلى تحصيل أمور لا يقدر عليها الحيوان، وبه قدروا على تحصيل الأبنية التي تمنعهم مما يخافون⁽²⁾...

وأهم ما أكرم به الإنسان على الإطلاق هو هدايته إلى دين الله لأن مكنه العقل بلا دين يورد صاحبه نار الجحيم.

وإن هذا الإنسان الذي كرمه الله وشرفه جعله خليفة في الأرض، وأيضاً مكنه فيها وهذا ما سنتناوله إن شاء الله.

أولاً: الاستخلاف في الأرض.

فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾.

قال ابن جرير: وإنما معنى الخلافة التي ذكرها الله إنما هي خلافة كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله⁽⁴⁾، قال: والخليفة الفعلية من قولك: خلف فلان فلاناً في هذا الأمر إذا قام مقامه فيه بعده، ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم خليفة؛ لأنه خلف الذي كان قبله فقام بالأمر، فكان منه خلفاً⁽⁵⁾.

(1) سورة الإسراء آية 70.

(2) فتح القدير: الشوكاني، (304/3).

(3) سورة البقرة آية 30.

(4) جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري، (236/1).

(5) المرجع السابق نفسه، (236/1).

وقد ذهب بعضهم إلى أن المراد بالخليفة هنا آدم عليه السلام خاصة⁽¹⁾. ومنهم من نقد هذا الرأي حيث قيل: ليس المراد ههنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط كما يقوله طائفة من المفسرين، وعزاه القرطبي⁽²⁾ إلى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل، وفي ذلك نظر، بل الخلاف في ذلك كثير حكاه الرازي⁽³⁾ في تفسيره والظاهر أنه لم يرد (آدم) عيناً. إذ لو كان ذلك ما حسن قول الملائكة «أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ» فإنهم أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك، وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص أو بما فهموه من الطبيعة البشرية⁽⁴⁾.

وفي هذا الاستخلاف تكريم عظيم للإنسان، ولكنه كذلك مسؤولية كبيرة تستدعي أن يبذل الإنسان أقصى الجهد من أن يجعل هذه الأرض مكاناً للحياة الطيبة، كما أرادها الله، وذلك عن طريق الأعمال الصالحة التي تعمر الأرض، كما سيأتي، ويشيع فيها الحق والعدل. ولقد وعد الله المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف في الأرض، فقال تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ»⁽⁵⁾.

وإن هذا الوعد مشروط بالإيمان والعمل الصالح، وإن العبادة هي ثمن الاستخلاف في الأرض، فالله - تعالى - كما أمرنا بالعبادة نهانا عن الشرك، ليؤكد لنا أن الشرك ينقض العبادة وأن الذي يكفر لا يستحق العبادة؛ لأن الاستخلاف يأتي من طاعة الله ورسوله. وقد حقق الله سبحانه التمكين والاستخلاف في الأرض على يد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى يد الخلفاء الراشدين. فلم يمت النبي صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله على يده مكة وخيبر، وسائر الجزيرة العربية. ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم تولى الخلافة أبو بكر رضي الله عنه ففتح البلاد إلى أن وصل إلى بلاد فارس، ثم جاء عمر رضي الله عنه وفتح بلاد الشام ومصر وكسرى وقيصر، ثم لما كانت الدولة الإسلامية في عهد عثمان بن عفان امتدت الممالك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها، وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز، وجبي الخراج من مشارق الأرض ومغاربها إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.⁽⁶⁾

(1) انظر: روح البيان في تفسير القرآن: البروسي، (95/1)؛ تفسير مقاتل بن سليمان: أبي الحسن مقاتل بن سليمان بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: احمد فريد، (40/1)، دار الكتب العلمية، ط1، 2003-2004م.
(2) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (263/1).
(3) تفسير الكبير: الرازي، (165/2).
(4) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (337/1).
(5) سورة النور آية 55.
(6) انظر: تفسير العظيم: لابن كثير، (264-263/10). بتصرف.

قال رسول الله ﷺ: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها"⁽¹⁾.

وأورث الله ﷻ بني إسرائيل النعيم والملك الكبير من الكنوز وجميع ما كان لفرعون من الأموال والمساكن⁽²⁾.

وإن الأرض هي ميراث الفئة الصالحة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾⁽³⁾.

وإن الاستخلاف إما يتسع فيشمل الأمة، أو يكون محدوداً البيت، والصف، ... إلخ فإن كل إنسان مستخلف في عمله.

وإن من أسباب الاستخلاف في الأرض، جهاد الكفار والمشركين؛ فالجهاد وإن كان فيه من المصائب، إلا أنه مصدر عزة وكرامة وتمكيناً لهم في الأرض ونيلهم الشهادة... أما التخلف عن الجهاد فإنه يورث الذل والإهانة، وهذا ما هو حاصل في زماننا، فهناك من الشعوب تركت الجهاد وأصبحت تجري وراء شهوات هذه الدنيا ووراء الكراسي، وأفست المجال للكفار والمشركين للاستيلاء على الأراضي فدمروا كل شيء فأصبحت كأنها خراباً، ولقد أسروا الرجال وقتلوا النساء والأطفال وأحرقوهم، ودمروا مقدساتهم وكان هذا السبب ترك الأمة لفريضة الجهاد .

فكان الأنبياء والدعاة الصالحين يتضرعون إلى الله ويطلبون النصر لأن الله وعدهم بذلك فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾⁽⁴⁾.

(1) م:ك الفتن، (5) ب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، (ح2889)، (ص1497).

(2) جامع البيان: الطبري، (9/342-343)؛ روح المعاني: الأوسى، (18/298)، تفسير معالم التنزيل: البغوي، (123/4).

(3) سورة الأنبياء آية 105.

(4) سورة البقرة آية 250.

فإنّ وعد الله لهذه الأمة بالنصر لن يتخلف، ولكن حينما تزداد قوة الطغاة والكفار في الأرض، وذلك بالأخذ بجميع الوسائل المادية المتاحة لهم، وبترك أهل الإيمان إيمانهم وعملهم الصالح، وذلك بترك صلاتهم وزكاتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فإن الغلبة في هذه الحالة للأخذين بالوسائل المادية، فوعد الله بالنصر والتمكين لا يأتي إلا للأمة الصالحة التي تجتمع على الإيمان والعمل الصالح⁽¹⁾.

ثانياً: التمكين في الأرض.

لقد وعد الله ﷺ الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالتمكين في الأرض، وهذا الوعد مشروط بالإيمان والعمل الصالح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحينما يكون الدين ثابتاً راسخاً في قلوب المؤمنين، حينها يمكن الله لعباده في الأرض بإعلاء كلمة الله. فالعبادة هي ثمن التمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَخْلَلُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾⁽³⁾.

والمراد بالتمكين هنا: التثبيت والتقرير أي يجعله ثابتاً مقرراً، يوسع لهم في البلاد ويقوي أركانه، ويعظم أهله في نفوس أعدائهم، ويظهر دينهم على جميع الأديان، ولا يمكن الله ﷺ لهذه الأمة إلا بعد العمل بأحكامه والرجوع إليه في كل أعمالهم⁽⁴⁾.

والمراد بالدين هنا: الإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

(1) في ظلال القرآن: سيد قطب، (635/1).

(2) سورة الحج آية 41.

(3) سورة النور آية 55.

(4) انظر: روح المعاني: الألوسي، (298/18)؛ وفتح القدير: الشوكاني، (59/4).

(5) سورة المائدة آية 3.

(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (300/12).

فإن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»⁽¹⁾. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾⁽¹⁾.

وقد وعد النبي ﷺ أصحابه بأن الله تعالى سيمكن لهم دينهم في الأرض. عن تميم الداري⁽²⁾ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر* ولا وبر** إلا أدخله الله هذا الدين بعزٍّ عزيز أو بذلٍّ ذليل، عزاً يعز به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر، وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية"⁽³⁾.

وإن هذا التمكين لا يأتي للأمة إلا بعد ابتلاء واختبار. عن خباب بن الأرت⁽⁴⁾ قال: "شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا، قال: كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، ما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون"⁽⁵⁾.

وإن هذه الأمة تتعرض اليوم إلى أشد ما كانت تتعرض إليه الأمم السابقة من التعذيب، فإنها تضرب بالصواريخ حتى يحترق الجسد فلا يبقى منه أي أثر للحياة وهذا قمة الابتلاء، مما يدل أننا بإذن الله تبارك وتعالى على أبواب النصر والتمكين .

(1) سورة آل عمران آية 85.

(2) تميم بن اوس بن خارجة الداري أبو رقية، صحابي مشهور سكن بيت المقدس بعد قتل عثمان، توفي سنة أربعين للهجرة، [انظر تقريب التهذيب، ترجمة (799)، (ص 105)].

* مدر: هم أهل القرى والأمصار، [النهاية في غريب الحديث (862)].

** وبر: هم أهل البوادي والمدن، وهو من وبر الإبل، [النهاية في غريب الحديث، (956)].

(3) الموسوعة الحديثية، مسند أحمد: (101/29)، (ح 16957)

(4) خباب بن الأرت التميمي أبو عبدالله، من السابقين في الإسلام، وكان يعذب في الله وممن شهد بدرًا، ثم نزل الكوفة، وتوفي سنة سبع وثلاثين للهجرة، [تقريب التهذيب ترجمة (1698)، (ص 179)].

(5) خ: (61) كتاب المناقب، (25) باب علامات النبوة في الإسلام، (ح 3612)، (ص 754).

وإن قسم الله ﷺ بالنصر والتمكين لم يكن خاصاً بالنبى ﷺ وأصحابه، بل هو للأمة الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقتال اليهود لن يكون في عهد النبى ﷺ فقط، وإنما هو مستمر إلى الأمم التي جاءت بعد النبى ﷺ ولم تشهد النبى ﷺ. عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم ثم يقول الحجرُ: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله"⁽¹⁾.

وكل هم أعداء الله أنهم يريدون أن يطفئوا نور الدين ويأبى الله إلا أن يتم نوره، فقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مَتَمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﷻ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾⁽²⁾.

كم من الأمم الكافرة جاءت لتحارب الإسلام، فاحتلوا أراضي المسلمين وقتلوا أهلها وسلبوا أموالهم، فهل قضت هذه الأمم الكافرة على الدعوة الإسلامية، أم إنها ماضية؟ وإن في هذه عبرة وعظة لهذه الأمة لكي تتمسك بدين الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ ﷻ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﷻ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾⁽³⁾.

إن آثار النصر قد تتخلف قليلاً بالقياس لأعمار البشر المحدودة، ولكنها لا تتخلف وقد تتحقق في صورة لا يدركها البشر، ولا يدركون تحقق سنة الله من النصر والغلبة لجند الله، وأتباع رسله، وإن كلف ذلك الفئة المؤمنة وجندهم المشقة وطول الأمد، أكثر مما ينظرون، ولقد أراد المسلمون قبيل غزوة بدر أن تكون لهم غير قريش وأراد الله أن تقوتهم القافلة الراحلة، وأن يقابلوا النفير وأن يقاتلوا الطائفة ذات الشوكة، وكان ما أراده الله هو الخير لهم وللإسلام، وقد تتوالى الهزائم على جنود الله في عدة معارك ويقسو عليهم الابتلاء؛ لأن الله يعدهم بنصر ومعرفة أكبر، فالله يهيئ الظروف من حولهم ليأتي لهم النصر الذي أراده ولن تتخلف هذه السنة⁽⁴⁾.

(1) خ: (61) كتاب المناقب، (25) باب علامات النبوة في الإسلام، (ح 3593)، (ص 751).

(2) سورة الصف آية 8-9.

(3) سورة الصافات آية 171-173.

(4) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، (3002/5).

إن وعد الله بهزيمة الكافرين قائم في كل لحظة، ووعدته بالنصر للفئة المؤمنة القليلة قائم في كل لحظة، فسنة الله ماضية، وليس على الفئة المؤمنة إلا أن تثق بوعد الله، فتصبر ولا تستعجل ولا تقنط إذا طال عليها الأمد.

فإن بعض الأمم في هذا الزمان ضيعت الدين، فأصبح شعاراً يتردد بالألسن، وأصبح هم الأمم التنافس في الدنيا، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: "وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها"⁽¹⁾.

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أقوم الناس بعد النبي بأوامر الله ﷻ وأطوعهم الله، وأظهروا كلمة الله في مشارق الأرض ومغاربها، فنصرهم - الله - وأيدهم تأييداً عظيماً حتى حكموا العباد والبلاد بمنهج رب العباد⁽²⁾.

ولقد كان المسلمون واثقين من وعد الله لهم بالأمن، ولكن الله قدم على الوعد بالأمن، الوعد بالاستخلاف في الأرض والتمكين في الدين، فمن سنة الله في الكون أن لا تأمن أمة بأس غيرها حتى تكون قوية مكيئة مهيمنة على حدود بلادها، وهذا التمكين يأتي من طاعة الله والرسول ﷺ: «وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا»⁽³⁾، فإذا حل الاهتداء في النفوس نشأت الصالحات وقوي الإيمان في القلوب⁽⁴⁾.

وإن التمكين في الدين يحتاج من الأمة المسلمة، تربية المؤمنين وتركيز نفوسهم بالعمل الصالح وتطبيقها على عقيدة التوحيد.

(1) خ: (23) كتاب الجنائز، (72) باب الصلاة على الشهيد، (ح 1344) (ص 277).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (268/10).

(3) سورة النور آية 54.

(4) انظر: التحرير والتنوير: طاهر بن عاشور، (282/18).

المبحث الثالث

إصلاحها وعدم إفسادها

ويشمل أربعة مطالب:

المطلب الأول: عوامل إصلاح الأرض ومعوقات ذلك

المطلب الثاني: منافع ومحاسن إصلاح الأرض

المطلب الثالث: مضار إفساد الأرض وعلاجه

المطلب الرابع: أسباب وعوامل إفساد الأرض

المطلب الأول منافع إصلاح الأرض ومحاسنه

إن إصلاح الأرض بالمفهوم الشرعي - أي كما أراد الله من عباده المؤمنين - ومع الإخلاص في ذلك، له منافع دينية ودنيوية تعود على الفرد والمجتمع، وتفصيل ذلك كما يلي:

أولاً: أثره على المؤمن.

أ - أثره على المؤمن في الدنيا:

1 - التمتع بحياة طيبة:

لقد وعد الله عباده المخلصين له، بأن يعيشوا ويتمتعوا بحياة طيبة، فقد قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾.

لقد وضح الله في هذه الآية أن من علم بطاعة الله، وأوفى بعهوده - سواء كان ذكراً أو أنثى - فإنه تعالى يقسم ليحييئه حياة طيبة وليجزينه أجره بأحسن ما كان يعمل⁽²⁾.

وقد اختلف المفسرون في المراد بالحياة الطيبة في هذه الآية:

فمنهم من قال: إنها الرزق الحلال.

ومن قال: بل هي القناعة.

وقيل: بل يعني بالحياة الطيبة: الحياة مؤمناً بالله عاملاً بطاعته.

وقيل: هي السعادة.

وقيل: هي الحياة في الجنة⁽³⁾.

ويرجح ابن جرير بين الأقوال قائلًا: "وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: فلنحييئه

حياة طيبة بالقناعة؛ لأن من قنعه الله بما قسم له من رزق، لم يكثر للدنيا تعب، ولم يعظم فيها نصبه، ولم يتكدر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاتته منها، وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها"⁽⁴⁾.

(1) سورة النحل آية 97.

(2) الكشاف: الزمخشري، (608/4)

(3) انظر: جامع البيان: الطبري، (642-641/7)

(4) جامع البيان: الطبري، (643/7).

وترى الباحثة: أن جميع هذه الأقوال تهدف إلى معنى واحد، فإن الإنسان القانع يرضى بالرزق الحلال سواء كان قليلاً أو كثيراً، ولا يكون شغله الشاغل في هذه الحياة زيادة رزقه بأي شكل من الأشكال، وبذلك فإن المقتنع بالعطاء والرزق، وقلبه مطمئن مبتعد عن الضيق، فسوف يشعر بالسعادة الحقيقية. وهذه الأمور لا يحققها إلا المؤمن الحق الذي آمن بالله وأطاعه في جميع أموره وابتعد عن ما نهى عنه، وبذلك نجمع بين أقوال المفسرين؛ لأن بعضها يتعلق ببعض.

وبذلك فإن المؤمن المقتنع المخلص لله، يفتح له أبواب الرزق وذلك جزاء لعمله الصالح، فقد قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (1).

إن الإخلاص لله في العبادة والرجوع إليه في أحكامه وتشريعاته سبب في جلب الرزق، وما من أمة قام فيها شرع الله، واتجهت اتجاهها حقيقياً لله بالعمل الصالح والاستغفار المنبئ عن خشية الله، فحققت فيما بينها العدل والأمن للناس جميعاً القائم على تقوى الله، إلا فاضت فيها الخيرات ومكن الله لها في الأرض (2).

عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خصاصاً وتروح بطاناً" (3).

ومما يجدر ذكره أن توسيع الرزق ليس خاصاً بالمؤمنين، بل اختبار لعباده، فقد يوسع على المؤمنين بسبب طاعتهم، أو يضيق عليهم بسبب ذنوبهم؛ وأيضاً قد يوسع الله الرزق على الأمم الكافرة، ليبتليهم ويختبرهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي، فيما يرويه عن ربه: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" (4).

وأيضاً عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل لا يظلم المؤمن حسنة يعطى بها في الدنيا، ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها الله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها" (5).

(1) سورة نوح آية 10-12.

(2) انظر في ظلال القرآن: سيد قطب، (3713/6).

(3) ت: (34) ك الزهد؛ (33) ب في التوكل على الله، (ح2344)، (ص529)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(4) خ: (65) ك التفسير، (5) ب قوله ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾، (ح4686)، (ص974).

(5) م: ك صفة القيامة والجنة والنار، (13) ب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا...، (2808)، (ص1464).

لقد وعد الله الذين يكفرون بنعمة، بأن لهم عذاباً شديداً ويمحق الرزق والخير، فقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةً طَيِّبَةً رَبَّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاَهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾⁽¹⁾.

في هذه الآية ذكر الله ﷻ إكرام قوم سبأ بنعم لا تحصى، وكثرة هذه النعم، كانت المرأة تمشي تحت الأشجار، ويمتلئ المکتل الذي على رأسها دون أن تحتاج إلى قطف، وذلك لنضرة هذه الثمار، ولكن بسبب كفرهم لهذه النعم، بدل هاتين الجنتين بجنتي سدر وأثل، وهي أشجار ذات ثمار قليلة وأشواك كثيرة. وهذا جزاء كفرهم وتكذيبهم الحق⁽²⁾. ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾.

2- انتشار الأمن والاطمئنان والمحبة:

يبين ﷻ أن الإيمان بالله والعمل الصالح هو الذي ينشر الاطمئنان والمحبة والود بين الناس، وتطمئن النفس المؤمنة، فقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَبَدَ﴾⁽³⁾.

إن المؤمنين الذين صدقوا بالله ورسله وسكنت قلوبهم إلى توحيد الله ووعدده واطمأنت قلوبهم بذلك، فإن الله ﷻ يذهب عنهم القلق والاضطراب بما وقر في تلك القلوب من نور الإيمان⁽⁴⁾، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾⁽⁵⁾.

ولقد بين الله حال المؤمنين الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات بإصلاح شأنهم وحالهم في الدنيا والآخرة⁽⁶⁾، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾⁽⁷⁾.

وفي أحلك الظروف فإن ذكر الله يطمئن القلوب، وذلك في ساحة المعركة، فإذا ذكر المقاتلون اسم الله، فإن هذا فيه اطمئنان وثبات لهم، فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽⁸⁾.

(1) سورة سبأ آية 15-17.

(2) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (274/11).

(3) سورة الرعد آية 28-29.

(4) انظر: تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (165/13).

(5) سورة الزمر آية 23.

(6) صفوة التفاسير: الصابوني، (206/3).

(7) سورة محمد آية 2.

(8) سورة الأنفال آية 45.

وغير ذلك فإن العمل الصالح ينشر المحبة والود، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾⁽¹⁾.

في هذه الآية يخبر الله أنه يغرس، لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات - وهي الأعمال التي ترضي الله ﷻ في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة، وهذا أمر لا بد منه، ولا محيد عنه⁽²⁾.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل، إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض"⁽³⁾.

فلا يوجد على وجه الأرض من يحرم من الاطمئنان والأمن إلى الله إلا من ابتعد قلبه عن ذكر الله وعن طاعته.

ب - أثره على المؤمن في الآخرة:

1- تكفير السيئات:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾⁽⁴⁾، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽⁵⁾.

يخبر الله في هذه الآية بأنه سوف يغفر ويكفر سيئات عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات، ومن ذلك إصلاح الأرض، كما سوف يجزيهم ثواب أحسن ما كانوا يعملون.

ولم يقتصر على تكفير الذنوب، ولكن بدل تلك السيئات حسنات، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَسَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٧﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة مريم آية 96.

(2) تفسير ابن كثير، (305/9).

(3) خ: (98) ك التوحيد، (33) ب وكلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة، (ح 7485)، (ص 1487).

(4) سورة محمد آية 2.

(5) سورة العنكبوت آية 7.

(6) سورة الفرقان آية 68-70.

فقد اختلف العلماء في معنى التبديل على خمسة أقوال، فمنهم من قال: أنه يكتب موضع كافر مؤمن، وموضع عاصٍ مطيع.

وقيل: يبدلهم الله من الشرك إلى الإيمان.

وقيل: إن التبديل في الدنيا، يبدلهم الله إيماناً من الشرك، وإخلاصاً من الشك، وإحصاناً من الفجور.

وقيل: ليس بجعل مكان السيئة الحسنة، ولكن بجعل مكان السيئة التوبة، والحسنة مع التوبة.

وقيل: التبديل عبارة عن الغفران، أي يغفر الله تلك السيئات لا أن يبدلها حسنات⁽¹⁾.

وقال القرطبي: (فلا يبعد في كرم الله تعالى إذا صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة، وقد قال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: "أتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"⁽²⁾⁽³⁾).

ترى الباحثة أن ما ذهب إليه القرطبي كلام سليم؛ لأنه لا يوجد أي مانع يمنع رحمة الله أن يبدل السيئات لعباده التائبين بحسنات من باب الرحمة والمغفرة، دون أن تكون لله حاجة في ذلك.

ومن كل ما بينته سابقاً ليس العمل الصالح وحده هو السبب الذي يدخل الجنة وإنما بجانب ذلك رحمة الله وعدله.

2- نيل المغفرة والأجر العظيم:

فالعمل الصالح سبب في مغفرة الذنوب، ونيل الأجر العظيم وهي الجنة والتمتع بنعيمها. فقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾، وقوله أيضاً: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾⁽⁵⁾، وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا

(1) جامع البيان: الطبري، (9/418-420)؛ وجامع الأحكام: القرطبي، (13/77-78).

(2) جامع الأحكام: القرطبي، (13/78).

(3) ت: (25) ك البر والصلة عن رسول الله ﷺ، (55) ب ما جاء في معاشره الناس، (ح1987)، (ص451)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(4) سورة المائدة آية 9.

(5) سورة هود آية 11.

رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾

لقد بشر الله ﷻ الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ومن ذلك إصلاح الأرض، بأن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وفيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب البشر، فقال رسول الله ﷺ: قال الله: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾⁽²⁾⁽³⁾، فيها الأرزاق الدائمة والثمار الشهية... ولهم أزواج مطهرة من الحيض والغائط، والنخام والبراق والأذى...، وهذا من تمام السعادة، خالدين في هذا النعيم، آمنين من الموت والانقطاع عن هذا النعيم⁽⁴⁾.

قال القرطبي: "الجنة تنال بالإيمان والعمل الصالح... والدرجات تستحق بالأعمال الصالحات"⁽⁵⁾.

ولقد وصف ﷻ ما في الجنة من نعيم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَبَدَ﴾⁽⁶⁾.

وطوبى شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام⁽⁷⁾، فعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقروا إن شئتم ﴿وَطِيلٌ مَّمْدُودٌ﴾⁽⁸⁾⁽⁹⁾".

وإن أفضل نعيم في الجنة، هو النظر إلى وجه الله، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾⁽¹⁰⁾.

(1) سورة البقرة آية 25.

(2) خ: (59) ك بدء الخلق، (8) ب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، (ح 3244)، (ص 681).

(3) سورة السجدة آية 17.

(4) انظر: تفسير ابن كثير، (1/322-323)؛ وتفسير المنير: وهبة الزحيلي، (1/107).

(5) جامع أحكام القرآن: القرطبي، (1/238).

(6) سورة الرعد آية 29.

(7) صفة التفاسير: محمد الصابوني، (3/42).

(8) خ: (59) ك بدء الخلق، (8) ب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، (ح 3252)، (ص 682).

(9) سورة الواقعة آية 30.

(10) سورة يونس آية 26.

لقد وعد الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يدخلهم الجنة ووعدهم مع الحسنى الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم النظر إلى وجهه، وأن يعطيهم غزافاً من لآلىء، ويزيدهم غفراناً...، كل ذلك من زيادات عطاء الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته⁽¹⁾.

ومن نعم الله على أهل الجنة صفاء نفوسهم وسلامة صدورهم فقد قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتَكَّمُ الْجَنَّةُ أَوْرِثَتْهُمَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾.

فإن نفوسهم صافية، وسليمة ولا يكدرهم كدر، ولا يؤلمهم ألم، ولا يحدث بينهم شر؛ لأن الله نزع ما في صدورهم من حسد، وحق، وغل... الخ من أمراض النفوس في الدنيا⁽³⁾.

ثانياً: أثره على المجتمع.

أ- التماسك بين أفراد الأسرة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾⁽⁴⁾.

فإن الإسلام يريد للأسرة المسلمة أن تكون مكاناً للسكينة والراحة النفسية والاطمئنان الشعوري، فليس البيت مكاناً للنزاع والخصام لما له من آثار سلبية تنعكس على الأبناء، إنما هو بيت للسكن والسلام والراحة⁽⁵⁾.

إن التكافل هو قوام الأسرة وعماد قوتها وسعادتها في هذه الحياة، فالأسرة كالفرد، ويبدأ هذا التكافل بواجب الإنسان نحو زوجته وأولاده⁽⁶⁾.

(1) انظر: جامع البيان: الطبري، (553/6).

(2) سورة الأعراف آية 43.

(3) تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (209/8).

(4) سورة التحريم آية 6.

(5) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، (3618/6).

(6) انظر: منبر الإسلام، أصول العدالة في الإسلام للدكتور طه عبدالسلام خضير، (ص 56)، العدد السادس،

أكتوبر 1998م، السنة 57.

إن تماسك الأسرة هو بالتزامها بشريعة الإسلام، وتربية أبنائهم على الشريعة، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾⁽¹⁾.

إن كل مسؤول عن الأسرة يجب أن يعلم أبناءه الصلاة ويصبر على تعليمهم إياها، وأدائها بالشكل المطلوب والمفروض، فإذا أقام الإنسان صلاته على الوجه المأمور به كان، لما سواها من دينه، أحفظ وأقوم، وإذا ضيعها كان، لما سواها، أضيع⁽²⁾.

وبذلك نرى أن تماسك الأسرة يؤدي إلى ترابط وتماسك المجتمع، وإذا تماسك المجتمع، يتماسك مع الأمم الأخرى فيصبح الود والاتفاق بين الأمم.

ب - التماسك بين أفراد المجتمع:

لقد ذكر الله صفات المجتمع المسلم فقد قال ﴿فَمَا أُوْتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٤﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٤٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾⁽³⁾.

ولقد بين الله في هذه الآية صفات يجب أن يتحلى بها المجتمع المسلم حتى يكون متماسكاً فيجب أن يكون قائماً على الإيمان والتوكل، واجتناب الكبائر، والمغفرة عند الغضب، والاستجابة لله، وإقامة الصلاة، والإنفاق مما رزق الله، والعفو والصبر، فهذه الصفات إن تمسك بها المجتمع فإنه يصبح مجتمعاً صالحاً⁽⁴⁾.

وبذلك فإن المجتمع الذي يتكون ويرسو على عقيدة صحيحة وعمل صالح تسود فيه الإخوة فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽⁵⁾، وأيضاً يسود التعاون والترابط والتضامن بين أفرادها، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة طه آية 132.

(2) انظر: فتح القدير: الشوكاني، (490/3).

(3) سورة الشورى آية 36-40.

(4) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، (3167/5-3168).

(5) سورة الحجرات آية 10.

(6) سورة المائدة آية 2.

فعلى المسلم مهما لاقى من إساءة من المجتمع الذي يعيش فيه، فلا بد له من الصبر، ويدفع السيئة بالحسنة، ولا يعتزل الناس، ما دام قادراً على القيام بالخدمة النافعة للمجتمع الذي يعيش فيه⁽¹⁾.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المسلم إذا كان يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"⁽²⁾.

فمن واجب الفرد أن يشعر بأنه مخلوق لمجتمعه، وعضو فعال ونشط في أمته يسعد بسعادتها، وينفعل بأحاسيسها، فمتى استيقظ هذا الضمير نحو أمته بالحب والإخلاص والتضحية، واستيقظت الأمة التي تحمي أفرادها، كان المجتمع في كنف الله، مستظلاً برعايته وحماه⁽³⁾.

ولقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأمة في اجتماعها وتماسكها بركاب السفينة تصارع أمواج البحر، فلا يسمح ركابها أن يتركوا عابثاً بها ولو كانت ملكه الخاص، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"⁽⁴⁾.

ج - العدالة بين الناس:

إن السموات والأرض لم تقم إلا على العدل، فإن العدل في الإسلام حق يكفله الله لجميع أجناس البشر على سواء، ولذلك أمر الله عباده بالعدل والبعد عن الظلم والجور، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٥٦﴾﴾⁽⁵⁾.

(1) انظر: مجلة هدى الإسلام، روابط المجتمع كما يرسمها الإسلام، (ص 17)، كلمة العدد، العدد السادس جمادى الثانية 1403هـ - 1983م.

(2) ت: (35) ك صفة القيامة والرفائق (55) باب، (ح 2507)، (ص 654)، صحيح.

(3) انظر: مجلة الجامعة الإسلامية، المسؤولية بين الفرد والمجتمع، الشيخ محمد أبو فرحة، (ص 55)، العدد الثالث، السنة الرابعة، شوال 1391هـ - نوفمبر 1971م.

(4) خ: (47) ك الشركة، (6) ب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، (ح 2493)، (ص 516).

(5) سورة المائدة آية 8-9.

في هذه الآيات يأمر الله ﷻ الذين آمنوا بأن يكونوا قوامين بالعدل فيما بينهم وبين أعداء الله، فلا يتركوا العدل لمحبة أحد أو لعداوة أحد، ولقد أمرهم أيضاً بالتقوى، فإن الله يجزي المؤمنين على أعمالهم سواء كان خيراً أو شراً، وإذا كان العدل واجباً مع الكفار، فمع المؤمنين أولى⁽¹⁾.

وأمر الله عباده أيضاً بأن يكونوا قوامين بالعدل، فلا يميلوا عنه يميناً ولا شمالاً ولا يأخذهم في الحق لومة لائم، وإن كان ضرر الشهادة عائداً على أقرب الناس إلى المؤمن، فمتى سئل عنها فليقل الحق، فإن الله سيجعل لمن أطاعه مخرجاً من كل أمر وصنيفة⁽²⁾.

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾⁽³⁾.

وبذلك فإن إقامة العدل الذي لا يميل العصبية القبلية، ولا يتأرجح مع المودة أياً كانت الأحوال، لا يقدم على الظلم الذي حرمه الله (تعالى)، وجعل دعوة المظلوم مستجابة، سواء كانت من مؤمن أو كافر، فعن ابن عباس ؓ أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال: "انق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب"⁽⁴⁾.

فإن الشريعة الإسلامية تساوي بين الراعي والرعية، وبين القوي والضعيف، وبين الغني والفقير، وبين الشريف والوضيع... إلخ، فالجميع سواسية أمام قضاء الله، فقد كان عمر بن الخطاب ؓ إماماً عادلاً بين الرعية، ومن ثمرات عدله أنه أشاع الطمأنينة في النفوس.

"روي أن قيصر أرسل إلى عمر بن الخطاب رسولاً لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل عن عمر وقال: أين ملككم؟ فقالوا: مالنا ملك، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة، فخرج في طلبه فرآه نائماً فوق الرحل، وقد توسد درته، وهي عصا صغيرة كانت دائماً بيده يغير بها المنكر، فلما رآه على هذه الحال وقع الخشوع في قلبه، وقال: رجل يكون جميع الملوك لا يقر لهم قرار من هيبته، وتكون هذه حالته، ولكنك يا عمر عدلت فنمت، وملكننا يجور، فلا جرم أنه لا يزال ساهراً خائفاً"⁽⁵⁾.

(1) انظر: تفسير بحر العلوم: السمرقندي، (420/1).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (127/5-128).

(3) سورة النساء آية 135.

(4) خ: (46) ك المظالم، (9) ب الاتقاء والحرز من دعوة المظلوم، (ح 2448)، (ص 506).

(5) منهاج المسلم: لأبي بكر الجزائري، (ص 169).

د - الاستخلاف والتمكين في الأرض:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾⁽¹⁾.

إن الله ﷻ يخبر عباده بما أعده لهم من السعادة في الدنيا والآخرة، وأنهم سوف يرثون الأرض في الدنيا والآخرة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽²⁾، وإن هذا الأمر حتمي لا محال فيه⁽³⁾.

واختلف المفسرون في المراد بالأرض على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها أرض الجنة، بدليل قول الله تعالى: ﴿وَأُورِثْنَا الْأَرْضَ نَتَّبُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾⁽⁴⁾.

الثاني: الأرض المقدسة.

الثالث: أرض الدنيا بدليل قول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾⁽⁵⁾⁽⁶⁾. بينما قال الطبري: "إنها أرض الأمم الكافرة ترثها أمة محمد ﷺ، وهذا القول عن ابن عباس - رضي الله عنهما -"⁽⁷⁾.

وترى الباحثة أنها محتملة كون المعاني كلها صحيحة، وذلك أن الله سوف يمكن عباده الذين أطاعوه وعملوا الصالحات وأورثهم أرض الدنيا بما فيها حتى أرض الأمم الكافرة بالفتوحات، ثم جزاهم في الآخرة على إصلاحهم فأورثهم الجنة.

(1) سورة الأنبياء آية 105.

(2) سورة الأعراف آية 128.

(3) تفسير العظيم: لابن كثير، (457/9).

(4) سورة الزمر آية 74.

(5) سورة النور آية 55.

(6) انظر: التفسير الكبير: فخر الرازي، (230/22)؛ والنكت والعيون: الماوردي، (475/3).

(7) جامع البيان: الطبري، (99/9).

وبعد الاستخلاف التمكين في الأرض حيث قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾⁽¹⁾.

إن التمكين هو القرار والثبات، فإنه استخلفهم في الأرض أولاً وجعلهم ملوكاً، ثم ذكر التمكين ثانياً، فأفاد ذلك أن هذا الملك ليس على وجه العرض، بل على وجه الاستقرار والثبات، بحيث يكون الملك لهم ولعقبهم من بعدهم⁽²⁾.

وإن هذا الأمر تحدثنا عنه بالتفصيل فيما سبق⁽³⁾.

(1) سورة النور آية 55.

(2) فتح القدير: الشوكاني، (59/4).

(3) انظر: الدراسة (ص170-173).

المطلب الثاني

عوامل إصلاح الأرض ومعوقات ذلك

أولاً: عوامل إصلاح الأرض.

إن الله سبحانه كرم الإنسان وذلك من خلال استخلافه لهذه الأرض، التي تتطلب من الإنسان أن يبذل جهده من أجل أن يجعلها صالحة للحياة؛ وذلك من خلال الأعمال الصالحة التي تغمر هذه الأرض وتشيع فيها الحق والعدل وذلك من خلال بالامتثال لأوامر الله، وطاعته، واجتناب ما نهى عنه وتفصيل ذلك فيما يلي:

أ- امتثال أوامر الله:

لندوم الحياة السعيدة المليئة بالخير على هذه الأرض، فيجب طاعة الله والامتثال بأوامره، واتباع سنة رسوله ﷺ؛ وتنفيذ شرائع الله من صلاة وصيام وزكاة وحج، العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وغير ذلك من الشرائع. وسوف أفصل بعض هذه الشرائع لأبين ما فيها من خير وإصلاح لهذه الأرض.

أولها: أركان الإسلام:

إن العبادات في الإسلام - وأهمها الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، بجانب أنها تعبد لله، هي كذلك أعمال صالحة ونشاطات مفيدة للمسلمين أفراداً وأمة ودولة، كما أنها تستلزم أداء أعمال أخرى صالحة، والتخلق بأخلاق حسنة، وتجنب الفاسد والرديء من الأعمال والأخلاق.

1- الصلاة:

هي عبارة عن أركان مخصوصة وأذكار معلومة بشرائط محصورة في أوقات مقدورة⁽¹⁾.

ولقد قرن ﷺ الإيمان والعمل الصالح بإقامة الصلاة فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽²⁾.

(1) التعريفات: الجرجاني، (137)؛ روح الدين: عفيف طباز (241).

(2) سورة البقرة آية 277.

وبالصلاة تكفر السيئات فقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾⁽¹⁾.

فقد بين الله أن العبادة هي أفضل زاد باق للإنسان، فالصلاة هي التي تصل قلب المؤمن بربه الرحيم، الودود، القريب، مجيب المضطر إذا دعاه، والصلاة من أفضل الحسنات التي تذهب السيئات⁽²⁾.

وأيضاً إنها تنهى عن الفحشاء والمنكر فقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾⁽³⁾.

فإن الصلاة لها معان أخلاقية فهي تبعد الإنسان عن الرذائل وتطهر نفس الإنسان من سوء القول والعمل⁽⁴⁾.

ولقد فرض الله هذه الصلاة على كل المسلمين لتزيد من وحدة الأمة الإسلامية، فوحدة القبلة لها أثر كبير في توحيد قلوب المسلمين كل يوم خمس مرات، متجهة إلى مركز واحد، وهذا له أثر كبير في إشعار المسلم أنه مرتبط ببقية المسلمين⁽⁵⁾.

وبين النبي ﷺ أهمية الصلاة في حياة الفرد فهي تمحو الذنوب، قال رسول الله ﷺ: "أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً، ما تقول ذلك يُبقي من درنه؟" قالوا: لا يبقى من درنه شيئاً، قال: "فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا"⁽⁶⁾.

2- الصيام:

هو عبارة عن إمساك مخصوص، وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من الصبح إلى المغرب مع النية⁽⁷⁾.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽⁸⁾.

(1) سورة هود آية 114.

(2) في ظلال القرآن: سيد قطب، (1932/4).

(3) سورة العنكبوت آية 45.

(4) خلق المسلم: محمد الغزالي، (7).

(5) الإسلام: سعيد حوى، (337).

(6) خ: (9) ك المواقيت، (6) ب الصلوات الخمس كفارة، (ح 528)، (ص 122).

(7) تعريفات: جرجاني، (139)؛ روح الدين: طبارة، (253).

(8) سورة البقرة آية 183.

للصيام حكمة عظيمة فله منفعة لصالح الفرد، فإن الصائم يترك أحب الأشياء إليه امتثالاً لأمر ربه، وبذلك يعود نفسه على الصبر وتحمل المصاعب، وليس المقصود من الصيام هو ترك الطعام والشرب والمفطرات، وإنما أيضاً عليه أن يهجر جميع المعاصي والسيئات فلا يحل للصائم إلا أن يتكلم حسناً⁽¹⁾...

قال رسول الله ﷺ: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"⁽²⁾.

وإن الصيام يحقق المساواة بين الأغنياء والفقراء، ويعود الناس على النظام في المعيشة والاقتصاد، ويقوي البنية، ويريح الأعصاب، ويقوي الذاكرة⁽³⁾.

3- الزكاة:

عبارة عن إيجاب طائفة من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص⁽⁴⁾.

لقد قرن الله الإيمان والعمل الصالح بالزكاة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽⁵⁾. ولقد فرض الإسلام الزكاة ليعطيها أصحاب الأموال إخوانهم الفقراء لكي يشعر كل فرد بالحياة والرزق والسعادة.

ووعد الله المؤمنين الذين يقيمون حياتهم على الإيمان والعبادة والتعاون، أن يحتفظ لهم بأجرهم عنده، ووعدهم بالأمن، فلا يخافون الفقر عند دفع ما عليهم من زكاة، فإله يضاعف هذه الأعمال⁽⁶⁾، قال تعالى ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَّاءَ وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾⁽⁷⁾.

وإن الزكاة لها أثر عظيم حيث تقوي الصلات بين الأغنياء والفقراء، وتجعل منهم أسرة متعاونة على الخير، وتقوية الأواصر، وتصل بالمجتمع إلى أسنى درجات السمو والكمال والرفعة⁽⁸⁾.

(1) تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (135/2-136)؛ إسلامنا: سيد سابق، (124).

(2) خ: (30) ك الصوم، (8) ب: من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم، (ح 1903)، (ص 391).

(3) تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (131/2-132).

(4) التعريفات: الجرجاني، (117).

(5) سورة البقرة آية 277.

(6) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، (329/1-330).

(7) سورة البقرة آية 276.

(8) إسلامنا: سيد سابق، (121-122).

4- الحج:

هو قصد لبيت الله تعالى بصفة مخصوصة في وقت مخصوص بشرائط مخصوصة⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾⁽²⁾.

ومنذ أن فرض الله الحج على المسلمين وهم يهرعون إلى بيت الله الحرام، فترتفع أصواتهم بتلبية أوامر الله، قاصدين تطهير أنفسهم من شوائب العصيان... متساوين فيما بينهم... متجردين عن مظاهر الدنيا وزينتها، فلا تكاد تجد في أنحاء العالم تجمعا كثيفا ومؤتمرا عالميا مثل مؤتمر الحج، حيث تجد فيه مختلف الجنسيات والألوان والألسنة من كل أنحاء العالم⁽³⁾.

إن الحج الهدف الأسمى، فإذا عزم الإنسان على الحج فعليه أن يبتعد عن الأخلاق الذميمة، والفسق، ولا يشاحن، ولا يؤذي أحداً ولا يطلق لسانه في أعراض الناس، ولا يستمع إلى غيبة ولا نميمة، ولا يغش ولا يكذب... إلى غير ذلك من الأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويصدق في حديثه، وينصح في بيعه وشرائه، ويرحم الصغير، ويدعو إلى الحق ويعين عليه⁽⁴⁾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"⁽⁵⁾.

وإن الحج له فائدة تعود على الفرد، فتجده عندما يسمع منادي الصلاة وداعي الجهاد يبادر إلى كل عمل فيه خير وصلاح لدينه ودنياه، فإن الحج الزاد يتزود به المؤمن.

ب- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومن ركائز الإصلاح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد أوجب الإسلام بأن يكون في الدولة الإسلامية جماعة من أولى الحل والعقد يمثلون الأمة وينوبون عنها ويراقبون سياستها

(1) التعريفات: الجرجاني، (87).

(2) سورة البقرة آية 197.

(3) انظر: تفسر المنير: وهبة الزحيلي، (197-196/2).

(4) مجلة الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة)، أثر الحج في النفس والمجتمع للدكتور عبدالرحمن بن علي، ص 179-180، السنة الحادية عشرة، العدد الثاني، ذي الحجة 1398هـ.

(5) خ: (25) ك الحج، (4) ب: فضل الحج المبرور، (ح 1521)، (ص 317).

ونظم حكمها، وهذه الجماعة هي التي قصدتها الله سبحانه بقوله: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽¹⁾.

ولقد اختلف العلماء في معنى (من) هل هي للجنس أم للتبويض في قوله ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ﴾.

فقد ذهب قوم إلى أن (من) لبيان الجنس؛ لأن الله تعالى أوجب على الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويدل على ذلك قول الله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾⁽²⁾.

هذا إذا بلغ الإنسان حد التكليف، وجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إما بلسانه، أو بيده، أو بقلبه. وهذا ما ذهب إليه الرازي⁽³⁾ والقرطبي⁽⁴⁾.

وقال آخرون: (من) للتبويض؛ لأن في القوم من لا يقدر على الدعوة مثل النساء والعاجزين فالتكليف مختص بالعلماء. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا﴾⁽⁵⁾⁽⁶⁾.

وقال البعض: عدم وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مستدلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽⁷⁾. ويقول الإمام القرطبي: "وظاهر هذه الآية يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس القيام به بواجب إذا استقام الإنسان، وإنه لا يؤخذ أخذ بذنب غيره"⁽⁸⁾.

تري الباحثة أن القرآن عمم هذا الواجب على المؤمنين جميعاً، ولم يقتصر على تلك المجموعة، أو جماعة العلماء. والدليل على ذلك ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾⁽⁹⁾.

(1) سورة آل عمران آية 104.

(2) سورة آل عمران آية 110.

(3) انظر تفسير الكبير: فخر الرازي، (166/8).

(4) انظر جامع الأحكام: القرطبي، (48/4).

(5) سورة التوبة آية 122.

(6) تفسير الكبير: فخر الرازي، (166/8).

(7) سورة المائدة آية 105.

(8) تفسير جامع الأحكام: القرطبي، (342/6).

(9) سورة التوبة آية 71.

ويُبين الله أهمية الأمر بالمعروف بقوله: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿٦٦﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٦٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾⁽¹⁾.

ففي هذه السورة وصف الله جميع الناس بالخسران إلا المؤمنين الذين يعملون الصالحات، المتواصين بالحق والصبر، وأقسم على هذا الخبر بالعصر، والتواصي بالحق هو الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽²⁾.

وإن الجماعة تكون كلها آئمة إذا كان الشر يسير في طريقه ولا يوجد من ينكره ويوقفه، ولقد ذم القرآن بني إسرائيل لأنهم أفسدوا مجتمعهم.

بترك الآثمين يرتعون في إثمهم. قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾⁽³⁾.

وإن اللعن عقوبة شديدة فظيعة، هي الطرد والإبعاد عن رحمة الله والحرمان من توفيقه ورعايته، ولاشك أن أمة تصاب بذلك هي أمة هالكة، وقد ذكر سبب هذا اللعن فبين أنه العصيان والاعتداء وعدم التناهي عن المنكر، ثم ذم الله صنيعهم بهذه العبارة البليغة: "لبئس ما كانوا يفعلون"⁽⁴⁾.

وإن القرآن جعل الوصف الخاص الذي تعلو به أمة الإسلام عل غيرها من الأمم هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾⁽⁵⁾.

ولقد حث النبي الأمة المسلمة في أمرها بالمعروف ونهيتها عن المنكر على أن لا تحتقر من المعروف شيئاً، قال رسول الله ﷺ: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"⁽⁶⁾.

(1) سورة العصر آية 1-3.

(2) محاسن التأويل: القاسمي، (6249/17).

(3) سورة المائدة آية 78-79.

(4) انظر: روح المعاني: الألوسي، (310-309/4)؛ تفسير المنار: محمد رشيد رضا، (490-489/6)؛ روح الدين الإسلامي: عفيف طيارة، (305).

(5) سورة آل عمران آية 110.

(6) م:ك الإيمان (20)، ب كون النهي عن المنكر من الإيمان...، (ح 49)، (ص 50).

وبذلك فإن الله أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط ويتعاونوا على البر والتقوى وأن يأخذوا على يد الظالم، وفي حال العجز عن القيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بالجوارح الظاهرة فإنه يكون مرخصاً له الإنكار القلبي⁽¹⁾. وبهذا الأصل سعى الإسلام للمحافظة على الأمة الإسلامية.

ج - العدل:

من المثل العليا في الإسلام تكليف متبعيه بأن يكونوا قائمين بالعدل بين الناس مع صرف النظر عن جميع الاعتبارات التي تحد من سلطانه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾⁽²⁾.

ففي هذه الآية أمر الله تعالى المؤمنين أن يكونوا مبالغين في تحري العدل، وأن يكونوا شهداء بالحق مطلقاً لوجه الله لا لغرض دنيوي ولو كانت هذه الشهادة على أنفسهم أو على والديهم وأقرب الناس إليهم، إن يكن المشهود عليه غنياً يرجى خيره ويخشى بأسه، أو كان فقيراً يشفق عليه ويترحم، فلا تمتنعوا عن الشهادة على الغني طلباً لرضاه، أو على الفقير شفقة عليه، فإن الله أولى بهما واعلم بمصالهما، فعليكم أن تراعوا أمر الله، وتقوموا بالشهادة عليهم بما عندكم. وإن الهوى هو الذي يميل بالنفس عن الحق فلا تتبعوه لتعدلوا، وإن تتولوا عن إقامة العدل أو تعرضوا عن إقامته فإن الله مطلع على ذلك فيجازيكم عليه⁽³⁾.

ولم يكتف القرآن بهذا، بل أمر المسلمين بمراعاة قواعد العدل حتى مع أعدائهم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾⁽⁴⁾. والمعنى: ولا تحملنكم كراهتكم لقوم وعداوتكم لهم على ترك العدل فيهم، فالعدل أقرب إلى تقوى الله⁽⁵⁾.

وورد في القرآن الأمر بالعدل والتعظيم لشأنه في كثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾⁽⁶⁾.

(1) انظر: جامع البيان: الطبري، (391/3)؛ المحرر الوجيز: ابن عطية، (226/3).

(2) سورة النساء آية 135.

(3) في ظلال القرآن: سيد قطب، (775/2-777)؛ تفسير المنار: محمد رشيد رضا، (455/5).

(4) سورة المائدة آية 8.

(5) صفوة التفاسير: محمد الصابوني، (330/1).

(6) سورة النساء آية 58.

ويأمر الله المسلمين بالعدل حتى في الأقوال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (1).
ومن يعرض عن حكم الله ورسوله يعد كفراً ونفاقاً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (2).
وأيضاً إن الله بين ما تبتعث الرسل الأجله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (3). وفي السيرة صور للعدلة ومليئة بذلك، ويعتبر الخليفة عمر بن الخطاب إماماً عادلاً يحكم بين الرعية بالعدل ولا يفرق بين حاكم ومحكوم.

"فبينما عمر بن الخطاب جالس إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك، فقال عمر: لقد عدت بمجير، فما شأنك؟ قال: سأقت على فرس ابناً لعمر بن العاص فسبقتة، فجعل يقمعني بسوطه ويقول: أنا ابن الأكرمين، فبلغ عمرو أباه فخشي أن آتيك فحبسني في السجن فانطلقت منه، فهذا الحين جئتك، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص وهو أمير على مصر: "إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك" وقال للمصري: "أقم حتى يجيء"، فقدم عمرو فشهد الحج، فلما قضى الحج وهو قاعد مع الناس، وعمرو بن العاص وابنه إلى جانب، قام المصري فرمى إليه عمر بالدرة وضربه فلم ينزع حتى أحب الحاضرون أن ينزع من كثرة ما ضربه، وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين، فقال: يا أمير المؤمنين قد استوفيت، واشتفيت، قال: ضعها على صلعة عمرو، قال: يا أمير المؤمنين: قد ضربت الذي ضربني، قال: أما والله لو فعلت أحد حتى تكون أنت الذي تنزع، ثم قال لعمر: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً" (4).

وإن العدل يورث منزلة طيبة عند الله ﷻ قال رسول الله ﷺ: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ وكلنا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا" (5).

وبذلك، فعلى كل قاض أن يحكم بالعدل، وبما أمر به الله ورسوله ﷺ لأن الله توعدهم بالقضاء، الذين يحكمون بالأهواء والمصالح بالعذاب الأليم في الدنيا، بالابتعاد عن معية الله وفي الآخرة بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ﴾

(1) سورة الأنعام آية 152.

(2) سورة النور آية 48.

(3) سورة الحديد آية 25.

(4) منهاج المسلم: لابن بكر الجزائري، (168).

(5) م:ك الإمارة، (5) بفضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، (ح 1827)، (ص 982).

بِالْحَقِّ»⁽¹⁾ قال رسول الله ﷺ "القضاة ثلاثة، اثنان في النار وواحد في الجنة، رجل عرف الحق ففضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل عرف الحق وجار في الحكم فهو في النار"⁽²⁾.

فعلى حكامنا في هذا الزمان، إذا أرادوا أن يحكموا بين الناس فعليهم بالعدل حتى يكونوا مطمئنين، ولا يخافون من أي شيء والدليل على أنهم ليسوا عادلين فإنهم لا يسيرون أي خطوة إلا وعليهم حراس بالآلاف، وعليهم باتباع كتاب الله وسنة الرسول ﷺ وذلك حسب ما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾⁽³⁾. أي أيها الحاكم إذا حصل خلاف ارجعوا إلى الكتاب والسنة، ولا ترجعوا إلى غيرهما.

د - اجتناب نواهي الله:

فكما أمرنا أن نطيع الأوامر وننفذ الشرائع، أمرنا أن نجتنب النواهي وإطاعة الله؛ لأن هذه النواهي تعيق الإصلاح في الأرض فمن هذه النواهي التي تعيق الإصلاح؛ عدم المحافظة على ركائز الإسلام، والابتعاد عن العدل، وعمل المعاصي وإفساد الأرض، وقد تحدثنا عن إفساد الأرض فيما سبق.

1- عدم المحافظة على ركائز الإسلام:

أ- لقد توعد الله عباده الذين يتخاذلون عن أداء ما افترضه عليهم بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾⁽⁴⁾، والويل: وادي في جهنم للمنافقين الذين يصلون لا يريدون الله ﷻ بصلاتهم، يتغافلون عنها ويضيعونها⁽⁵⁾.

ولقد حكم النبي ﷺ بالكفر على تارك الصلاة، قال رسول الله ﷺ: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"⁽⁶⁾.

ب- ولقد توعد الله الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾⁽⁷⁾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ»⁽⁷⁾.

(1) سورة ص آية 26.

(2) د (18) ك الأفضية، (2) ب في القاضي يخطئ، (3573)، (541)، صحيح.

(3) سورة النساء آية 65.

(4) سورة الماعون آية 4-5.

(5) انظر جامع البيان: الطبري، (06/7/12).

(6) م:ك الإيمان: (35) ب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، (ح 82)، (ص 62).

(7) سورة التوبة آية 34-35.

ج- لقد كفر العلماء جاحد الصوم حيث قالوا: من ترك الصوم جحداً فهو كافر، ومن تركه كسلاً إنه على خطر كبير لتركه ركناً من أركان الإسلام، وعلى ولي الأمر تأديبه وردعه، وعليه قضاء ما تركه مع التوبة إلى الله⁽¹⁾.

2- اتباع تحكيم الجاهلية:

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽²⁾.

لقد نفى الله صفة الإيمان عن الأمة التي تبتعد عن تحكيم شريعة الإسلام، وإن غياب تحكيم الإسلام يؤدي إلى السرقة، والزنا، وارتكاب الفواحش؛ لأن تحكيم الإسلام قائم على العدل والمساواة⁽³⁾. ولقد حذرنا الله من التقاضي إلى أحكام الجاهلية والابتعاد عن تحكيم شريعة الإسلام، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾⁽⁴⁾.

3- الابتعاد عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن معوقات العمل الصالح البعد عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسوف يصبحون كبنی اسرائیل، يقولون ولا يفعلون، وهذا ما هو حادث في أيام الأنبياء، حتى أيامنا هذه فقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٦﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾⁽⁵⁾.

وبذلك فإن حياة الناس ومدتها موقوف على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه النجاة، قال رسول الله ﷺ: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"⁽⁶⁾.

وبذلك فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام الأمان للناس حتى يحافظ على حياتهم ودينهم.

(1) فقه السنة: سيد سابق، (65/3).

(2) سورة النساء آية 65.

(3) في ظلال القرآن: سيد قطب، (696 - 697)

(4) سورة المائدة آية 50.

(5) سورة المائدة آية 78-79.

(6) خ: (6) ب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، (ح2493)، (ص516)

ثانياً: معوقات إصلاح الأرض.

عدم طاعة الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، أي إفشال ما سبق تفصيل الحديث عنه في عوامل الإصلاح، وذلك عن طريق الحاكم، أو الشعب (الناس)، أو الحاكم والمحكوم معاً. مما يجدر ذكره -هنا- ما على الحاكم فعله؛ لأن ما على الشعب والناس فعله تحدثنا عنه من خلال عوامل إصلاح الأرض أي بامتثال الأوامر، والابتعاد عن النواهي، والابتعاد عن الفساد في الأرض. وتفصيل ذلك كما يلي:

غياب تحكيم الشريعة:

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽¹⁾.

لقد نفى ﷺ صفة الإيمان عن الأمة التي تبتعد عن تحكيم شريعة الإسلام. إن غياب تحكيم شريعة الإسلام ينشر السرقة والقتل والزنا وارتكاب الفواحش والمنكرات؛ لأن مبدأ التحكيم في الإسلام قائم على المساواة.

ومن الملاحظ من أيامنا أن الحكومات التي تنتسب إلى الإسلام لا تحكم بالشريعة الإسلامية إنما تحكم بالقوانين الوضعية وما يحكم به من أقوى، منهم فإنهم يحكمون على مرتكبي الفواحش بالسجن، وهذه العقوبة لا تكفي لردع القتل والسرقة والزنا، إن إصلاح الأمة لا يقوم إلا بتحكيم شريعة الإسلام القائمة على العدل والمساواة بين جميع أجناس البشر.

ولقد حذر النبي ﷺ أمته من الأئمة المضلين الذين لا يحكمون بكتاب الله وسنة نبيه، فقال رسول الله ﷺ: "إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي ولم يرفع عنها إلى يوم القيامة"⁽²⁾.

ولقد حذرنا الله ﷻ من التقاضي إلى أحكام الجاهلية والابتعاد عن تحكيم شريعة الإسلام، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾⁽³⁾.

(1) سورة النساء آية 65.

(2) د: (29) ك الفتن والملاحم، (1) ب ذكر الفتن ودلائلها، (ح 4252)، (ص 633). حديث صحيح.

(3) سورة المائدة آية 50.

فالجاهلية، كما وصفها الله ﷻ في القرآن الكريم هي حكم البشر للبشر وعبوديتهم للبشر، والخروج من العبودية لله تعالى، فالناس في كل زمان ومكان إما أنهم يحكمون بشريعة الله ويقبلون بها ويسلمون بها، وإما أنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر ويقبلون بها..
ولقد بين الله الخيرية لمن يستتير ويسلم إلى حكم الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾⁽¹⁾⁽²⁾.

هذا بالنسبة للحاكم، وتحدثنا عن الناس، وأيضاً فعلى الحاكم والمحكوم اتباع أوامر الله لنشر الأمن والإصلاح لهذه الأرض.

(1) سورة المائدة آية 50.

(2) في ظلال القرآن: سيد قطب، (904/2-905).

المطلب الثالث

أسباب وعوامل إفساد الأرض

ولأهمية تعمير الأرض وإصلاحها، شدد القرآن النهي عن الفساد فيها بأية صورة من الصور.

والفساد نقيض الصلاح، ويطلق على أخذ المال ظلماً، والجذب. والمفسدة خلاف المصلحة.

وأصله فسَدٌ يفسدُ، وفسد فساداً وفسوداً، فهو فاسد وفسيد وقالوا: هذا الأمر مفسدة لكذا، أي فيه فساد⁽¹⁾.

وإن الفساد يندرج تحت أنواع، فهناك فساد سياسي، واقتصادي، وأخلاقي.

أولاً: الفساد السياسي.

وهو من مظاهر الفساد في المجتمع والذي بذل أعداء الإسلام جهداً كبيراً لفضه على الواقع، ومن مظاهره:

أ - الحكم بغير ما أنزل الله:

فلقد أمرنا الله بالتحاكم إلى الكتاب والسنة فقد قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾⁽²⁾.

في هذه الآية أمر المولى ﷺ طاعته في الفرائض، وطاعة الرسول في السنن، وطاعة أولى الأمر من المسلمين، وتجب طاعتهم ما لم يأمرُوا بمعصية؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإن حدث نزاع بين المسلمين وجب عليهم أن يحتكموا في ذلك النزاع إلى ما أمر الله فيما يأمر بالوحي، وإلى أمر الرسول ﷺ فيما يخبر عن الوحي، وذلك في حياته ﷺ أما بعد موته

(1) انظر: لسان العرب: لابن منظور، (412/3)؛ مختار الصحاح: الرازي، (503).

(2) سورة النساء آية 59.

فبالرجوع إلى سنته ﷺ وهذا الرد محتتم على الممتاز عین إن كانوا يصدقون بالله واليوم الآخر، وذلك الرد على الكتاب والسنة خير من الاختلاف وأحسن عاقبة⁽¹⁾.

ومن الآيات المصرحة بوجوب التحاكم إلى منهج الله قوله ﷺ: «وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ»⁽²⁾.

تدل هذه الآية على أن ما اختلف فيه الناس فحكمه إلى الله وحده... فالحلال هو ما أحله الله، والحرام هو ما حرمه الله، والدين هو ما شرعه الله...⁽³⁾.

وبذلك فإن الحكم لله وحده لا إلى غيره، وهذا الحكم يشمل جميع الأمور سواء كانت دينية أو دنيوية من عبادات ومعاملات وعقائد وشرائع وسياسة وغيرها من أمور البشر. وعلى هذا فإنه يتوجب على المسلمين أن يحكموا بكتاب الله وسنة رسوله ويتحاكموا إليها في كل شيء.

فقد قال رسول الله ﷺ: "وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم"⁽⁴⁾. وعلى المسلمين -كذلك- أن يلغوا القوانين الأجنبية من بلادهم... مما يخالف حكم الله، وأن لا يلجأوا إلى المحاكم التي تحكم بقوانين تخالف الإسلام، وأن يتحاكموا عند من يتقون به من أهل العلم، فذلك خير لهم... ومن يعرض عن حكم الله العادل، ولجأ إلى حكم المخلوق الظالم⁽⁵⁾، فقد ظلم نفسه ظلماً عظيماً.

وقد تم تغيير واستبدال التشريع الإسلامي بالقوانين الوضعية في كثير من الدول الإسلامية. وبهذا انتشر الفساد في البر والبحر والجو حتى عم كثيراً من جوانب الحياة.

ب - موالة الكافرين:

الولاء: هو الدنو والقرب، وإن الولاية ضد العداوة... وإن موالة الكفار تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا⁽⁶⁾. وتعني كذلك نصرتهم وإكرامهم واحترامهم والركون إليهم ظاهراً وباطناً⁽⁷⁾.

(1) انظر: فتح القدير: الشوكاني، (607/1)؛ بحر العلوم: السمرقندي، (363/1).

(2) سورة الشورى آية 10.

(3) تفسير المنار: محمد رشيد رضا، (202/5).

(4) سنن ابن ماجة: (36) كتاب الفتن، (22) باب العقوبات، (ح 4019) (ص 664)؛ تحقيق: محمد الألباني، ولقد حكم على الحديث بأنه حسن.

(5) توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع - محمد زينو، (187).

(6) الإيمان: محمد نعيم يس، (188).

(7) الولاء والبراء: القحطاني، (92).

وقد نهى القرآن عن موالاته الكافرين والتقرب إليهم حتى لو كانوا من المقربين إليهم نسباً قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁽¹⁾.

نهت الآية المؤمنين عن اتخاذ الآباء والإخوان أولياء ينصرونهم في القتال ويظاهرون لأجلهم الكفار أو يطلعونهم على أسرار المؤمنين وما يستعدون به لقتال المشركين إن أصروا على الكفر وأثروه على الأيمان فإن في ذلك قوة للمشركين على قتال المؤمنين وحضداً لشوكتهم، وإن في إصرارهم على الكفر قوة للمشركين لقتال المؤمنين⁽²⁾.

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن في هذه الآية جواباً على شبهة، وهي أن البراءة من الكفار غير ممكنة؛ لأن الرجل المسلم قد يكون أبوه أو أخوه كافراً، وبالعكس فإن البراءة التي أمرنا الله بها شاقة ممتعة متعذرة، فذكر الله هذه الآية ليزيل ويرد على هذه الشبهة.

... وذكر الله أن الانقطاع عن الآباء والأولاد والإخوان واجب بسبب الكفر⁽³⁾...

وهكذا يشدد القرآن في أمر الموالاتة تشديداً عظيماً لشدة ضرر مناصرة الكافرين ومؤازرتهم ابتغاء المنفعة عندهم وطلب العزة والكرامة منهم، حتى تهكم القرآن من المنافقين الذين كانوا يوالون الكفرة يطلبون منهم المنفعة والنصرة⁽⁴⁾.

وذلك في قوله سبحانه ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا⁽⁵⁾.

ولشدة خطورة موالاته الكافرين، وعظم جرم موالاتهم، جعل الله حكم من يتولى قوماً كحكمهم، فمن تولى اليهود فهو يهودي مثلهم، ومن تولى النصارى فهو نصراني مثلهم... الخ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة التوبة آية 23.

(2) تفسير المراغي، (80/4).

(3) انظر: تفسير الكبير: الرازي، (18/16).

(4) مدارك التنزيل: النسفي، (175/2) دار النفائس.

(5) سورة النساء آية 138-139.

(6) سورة المائدة آية 51.

سبب النزول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما "أن عبد الله بن سلول قال، بعدما آمن: إن بيني وبين قريظة والنضير حلف وإني أخاف الدوائر فارتد كافراً، وقال عبادة بن الصامت⁽¹⁾ أبرأ إلى الله من حلف قريظة والنضير وأتولى الله ورسوله والمؤمنين فأنزل الله هذه الآية والتي تليها من الآيات⁽²⁾.

ففي هذه الآية نداء للمؤمنين ألا يفعلوا ما نهاهم الله عنه من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، فيتحابون إليهم ويصادقونهم، ومن ضرر ذلك إجماع الكل على مصادمتكم ومضارتكم.

وأيضاً وصف القرآن حال الذين يوالون الكافرين فقال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾⁽³⁾، أي ترى يا محمد الذين في قلوبهم مرض الشك والنفاق، كعبد الله بن أبي وأمثاله، يسارعون في موالاتهم ويرغبون فيها رغبة أكيدة خالصة للشيطان، وقول الله ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ بدل "يسارعون إلى موالاتهم" للإشارة إلى أنهم منتقلون من بعض مراتبها إلى بعض ومنهم مستقرون فيها⁽⁴⁾.

ولقد نهى القرآن عن موالات الكفار، لما يترتب عليها من خطر يهدد الأمة الإسلامية وهو سبب انحدارها؛ لأن موالاتهم يعني تقليدهم في كل شيء، وذلك في الأثماء المضرة دون النافعة مما يفسد المجتمع، وإن في نقل أسرار المسلمين للمشركين خطراً على الأمة الإسلامية جمعاء.

والله أعلم

ثانياً: الفساد الاقتصادي.

إن من مميزات الإسلام أنه شامل ومتكامل ويعتني بجميع جوانب الحياة، سواء كان اجتماعياً، أو سياسياً، أو اقتصادياً، ومع أن للجانب الاقتصادي أثراً كبيراً فقد اعتنى الإسلام به، وشرع أنواع المعاملات كالبيع وغيره من المعاملات، وحرم الربا والتطفيف.

(1) عبادة بن الصامت بن قيس بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف... الأنصاري المخزومي أبو الوليد شهد بدرًا، وشهد المشاهد كلها بعدها، مات بالرملة سنة أربع وثلاثين (الإصابة: لابن حجر، (27/5)).

(2) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي، (98/3).

(3) سورة المائدة آية 52.

(4) انظر: تفسير العظيم: لابن كثير، (254/5)؛ روح المعاني: الأوسى (231/4)؛ وفي رحاب التفسير: كشك، (1127/2).

أ- الربا:

لغة: هو الزيادة⁽¹⁾.

شريعاً: زيادة على رأس المال يأخذها المقرض من المستقرض مقابل الأجل، قلت هذه الزيادة أو كثرت⁽²⁾.

فإن الربا محرم في جميع الأديان... إلا أن اليهود تبيح أخذ الربا من غير اليهود، ولكن القرآن رد على ذلك فقال تعالى: «وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ»⁽³⁾، فكان اليهود يأخذون الربا يحتالون عليه بأنواع الحيل وصنوف الشبه، رغم نهي الله لهم عن ذلك⁽⁴⁾.

ولقد تحدث القرآن عن الربا، لأنه لم يحرمه دفعة واحدة وإنما حرمه بالتدرج فكان أول ما نزل قول الله: «وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ»⁽⁵⁾.

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»⁽⁶⁾.

وفي الآية نهي عن تعاطي الربا وأكله أضغافاً مضاعفة، وقد كان ذلك سائداً في الجاهلية إذ كانوا يقولون إذا حل الدين إما أن تقضي وإما أن تربى، فإن قضاؤه وإلا زاده في المدة وزاد الآخر في القدر، وهكذا كل عام فربما تضاعف القليل حتى يصير كثيراً مضاعفاً، وأمر الله عباده بالتقوى لعلمهم يفلحون في الدنيا والآخرة⁽⁷⁾.

وآخر ما ختم به التشريع قول الله سبحانه: «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...» إلى قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٠﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ»⁽⁸⁾.

(1) انظر: لسان العرب: لان منظور، (375/14).

(2) روائع البيان تفسير آيات الأحكام: الصابوني، (383/1).

(3) سورة النساء آية 161.

(4) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (368/4).

(5) سورة الروم آية 39.

(6) سورة آل عمران آية 130.

(7) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (183/3).

(8) سورة البقرة آية 275-279.

وبجانب هذه الآيات أحاديث حرمت الربا فقد قال الرسول ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات"⁽¹⁾.

روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: "لعن - الله - آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه"⁽²⁾.

وفي هذه الأحاديث دلالة على عظم جرم التعامل بالربا، وأكله من الموبقات، وكل من له علاقة به ملعون مطرود من رحمة الله. فعلى المسلم أن يجتنبه وأن يحذر منه.

والأسباب التي حرم القرآن الربا لأجلها هي:

1- يؤدي إلى العداوة والبغضاء، والمشاحنات والخصومات بين أفراد المجتمع، ويقضي على روح التعاون بينهم؛ إذ ينزع عاطفة التراحم من القلوب، ويضيع المروءة ويذهب المعروف بين الناس، ويحل القسوة محل الرحمة، حتى إن الفقير ليموت جوعاً، ولا يجد من يجود عليه ليسد رمقه، ومن جراء هذا منيت البلاد ذات الحضارات التي تعاملت بالربا بمشاكل اجتماعية، فكثيراً ما تألب العمال وغيرهم على أصحاب الأموال؛ لأن أصحاب رؤوس الأموال والمرابين الذين لا يعرفون معنى للأخوة الإنسانية يعدمون كل احترام أو عطف من أبناء مجتمعهم، وتكون النظرة إليهم نظرة ازدراء واحتقار، وكفى المرابين مقتاً وهواناً أنهم أعداء لمجتمعهم ولأبناء وطنهم، بل إنهم أعداء للإنسانية؛ لأنهم يمتصون دماء البشر عن طريق استغلال حاجاتهم واضطرارهم.

2- يؤدي إلى خلق طبقة مترفة تعيش على النعيم والرفاهية والتمتع بعرق جبين الآخرين وطبقة معدمة تعيش على الفاقة والحاجة والبؤس والحرمان، وقد ثبت أن الربا أعظم عامل من عوامل تضخم الثروات وتكدسها في أيدي فئة قليلة من البشر، وأنه سبب البلاء الذي حل بالأمم والجماعات؛ حيث كثرت المحن والفتن وازدادت الثورات الداخلية، وانتشرت المبادئ الضالة باسم عون الفقير والضعيف.

3- إن الربا يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب الصحيحة كأنواع الحرف والصناعات؛ لأن رب المال، إذا تمكن بعقد الربا من إنماء ما له، خف عليه الكسب وسهلت لديه أسباب

(1) خ: (55) كتاب الوصايا، (24) باب: قول الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى﴾، (ح 2766) (ص 583).
(2) خ: (68) ك الطلاق، (51) ب مهر البغي والنكاح والفساد، (ح 5347)، (ص 1134)؛ م: ك المساقاة، (19) ب لعن آكل الربا وموكله (ح 1598)، (ص 833).

العيش، فيألف الكسل ويمقت العمل، في حين أن الإسلام يمجّد العمل ويكرم العاملين ويجعله أفضل وسيلة من وسائل الكسب؛ لأنه يؤدي إلى المهارة، ويرفع الروح المعنوية للأفراد.

4- يولد في الإنسان حب الأثرة والأنانية فلا يعرف إلا نفسه، ولا يهتم إلا ومصالحته ونفعه، وبذلك تتعدم روح التضحية والإيثار وتتعدم معاني حب الخير للأفراد والجماعات، ويحل محلها حب الذات والأثرة والأنانية، وتتلاشى الروابط الأخوية بين الإنسان وأخيه الإنسان، فيغدو الإنسان - المرابي - وحشاً مفترساً لا يهتم من الحياة إلا جمع المال، وامتصاص دماء الناس واستلاب ما في أيديهم، ويصبح ذئباً ضارياً في صورة إنسان وديع، وقد جرت عادة المرابين بأن يزداد طمعهم حين الأزمات كقحط في البلاد، أو حروب تشتد فيها الحاجة إلى الأقوات، فيضطر الفقراء إلى الاستدانة من هؤلاء الطغاة الذين يستترفون دماءهم ويستأثرون بالبقية الباقية من أموالهم.

5- إن عاقبة الربا الخراب والدمار، فكثيراً ما أذهب من أموال، وخرّب من بيوت، والسر في هذا أن المفترضين يسهل عليهم أخذ المال من غير بدل حاضر، ويزين لهم الشيطان إنفاقه في وجوه من الكماليات التي كان يمكن الاستغناء عنها، ويغريهم بالمزيد من الاستدانة، ولا يزال يزداد ثقل الدين على كواهلهم حتى يستغرق أموالهم فإذا حل الأجل لم يستطيعوا الوفاء وطلبوا التأجيل ولا يزالون يماطلون ويؤجلون والدين يزداد يوماً بعد يوم حتى يستولي الدائنون قسراً على كل ما يملكون فيصبحون فقراء معدمين⁽¹⁾.

ومن هذا العرض لموضوع الربا نتأكد من خطورة الربا، والآثار التي تعود على المجتمع من ممارسته، فهو مفرق للأمة ومشتت لشملها، وإنه فساد في الأرض.

ب - التطفيف في الكيل والميزان:

التطفيف: من طفف تطفيفاً، أي بخس الكيل والوزن ونقص المكيال وهو أن لا يملأه إلى أصباره⁽²⁾، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾⁽³⁾، فالتطفيف نقص يخون به صاحبه في كيل أو وزن.

(1) انظر: في هذه الأسباب، تفسير المراغي، (57/1-60)؛ في رحاب التفسير: كشك، (522/1-532)؛ روائع البيان تفسير آيات الأحكام: الصابوني، (395/1-396).

(2) أصباره: جمع صبر وهي الناحية المستعينة من الإناء وغيره، والأصباره بالهاء جمع الجمع: [المصباح المنير: الفيومي، (355/1)].

(3) سورة المطففين آية 1.

وهو أيضاً: أن يؤخذ أعلى الإناء ولا يتم كيئه، يقال هذا طف المكيال وطفافه وطفافه إذا قارب ملأه ولما يملأ، ولهذا قيل للذي يسيء الكيل ولا يوفيه مطف (1).

وإن الله حرم التطفيف في الميزان والكيل، ولأن في ذلك أكل أموال الناس بالباطل فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ (2).

والمطففون هم الذين ينقصون المكيال والميزان، وقيل له المطفف لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان، إلا الشيء الطفيف الخفيف، وهو مأخوذ من طف الشيء وهو جانبه. و﴿وَيْلٌ﴾ الذي توعد الله به المطففين هو شدة الشر وقيل المزن والهلاك، وقيل: العذاب الأليم، وقيل: جبل واد من جهنم (3).

ولقد خوفهم الله فقال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ (4).

ففي هذه الآية تعجب من حال الذين يطففون في الكيل في اجترائهم على فعل ذلك، وفيه معنى البعد للإشعار ببعد درجاتهم في الشر والفساد ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (5) في هوله وعذابه وهو يوم القيامة، ووصفه بالعظيم لكونه زماناً لتلك الأمور العظام من البعث والحساب والعقاب ودخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (6) أي يوم يقومون من قبورهم حفاة عراة... لأمر رب العالمين... وفي ذلك دلالة على عظم ذنب التطفيف (7)...

كل هذا يبين أن التطفيف من كبائر الذنوب، وقد ورد في الحديث ما يبين خطورة التطفيف وأثره على المجتمع وما يترتب عليه من مضار، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: "يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض

(1) لسان العرب: لابن منظور، (266/9)؛ تاج العروس: الزبيدي، (94/24).

(2) سورة الأنعام آية 152.

(3) انظر روح المعاني: الألوسي، (120/16-121)؛ روح البيان: البروسوى، (369/10)؛ محاسن التأويل: القاسمي، (6092/17). بتصرف.

(4) سورة المطففين آية 4.

(5) سورة المطففين آية 5.

(6) سورة المطففين آية 6.

(7) روح المعاني: الألوسي، (124-125 / 30/16)؛ انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (254/19).

ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"⁽¹⁾، وما يترتب عن التطفيف من فقر وهلاك يدل على أثر هذا الذنب في انحدار الأمة وهلاكها.

وبذلك يعد التطفيف في الكيل والميزان من المحرمات التي حرمها الله في كتابه، وذلك لأن فيه أكلاً لأموال الناس بالباطل من خلال السرقة والخيانة والإنقاص في الكيل والوزن، وكل ذلك يؤدي إلى فساد في الأرض.

لذلك أمر الله بتوفيتهما وإتمامهما وعدم بخشهما فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾⁽²⁾.

قال بعض العلماء: "لما علم الله سبحانه من عباده أن كثيراً منهم تضيق نفسه عن أن تطيب للغير، بما لا يجب عليها له، أمر المعطي بإيفاء رب الحق حقه الذي هو له ولم يكلفه الزيادة، لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها، وأمر صاحب الحق بأخذ حقه ولم يكلفه الرضا بأقل منه، لما في النقصان من ضيق نفسه"⁽³⁾.

ثالثاً: الفساد الأخلاقي.

لاشك أن الأخلاق هي الدعامة الأولى لحفظ كيان الأمم، فعلى الفرد أن يتحلى بالأخلاق الحميدة، كالإحسان، والتقوى والصبر والعفو... الخ، لما في ذلك منفعة ومصلحة للفرد والمجتمع.

لهذا أمر القرآن الكريم بالتحلي بالأخلاق الحميدة؛ لأن فيها خيراً للعالم المضطرب، ونهى عن الرذائل؛ لأنها سبب الخصام والعداوة بين الناس، وهي التي لا يشك في ضررها أي مخلص يبتغي الخير للإنسانية. وكل هذا يؤدي إلى فساد في الأرض.

من مظاهر الفساد الأخلاقي:

أ- الزنا:

إنها رذيلة تحرم الإنسان الطمأنينة النفسية التي تتمتع بها النفس الطاهرة المستقيمة، فالعفة تجلب لنا السلام والطمأنينة بينما الزنا يدخل القلق إلى نفوسنا ويولد فيها الشعور بالإثم.

(1) سنن ابن ماجة: (36) كتاب الفتن، (22) باب العقوبات، (ح 4019) (ص 664). حسن.

(2) سورة الأنعام آية 152.

(3) جامع الأحكام: القرطبي، (136/7).

لهذا حرم الإسلام الزنا، ووصفه بأنه فاحشة وأنه طريق السوء الذي يجب على الأمة أن تجتنبه. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾⁽¹⁾. أي أنه كان فعلة ظاهرة القبح مشتملة على مفسد كثيرة⁽²⁾.

ومن دلائل قبح الزنا أنه يترفع عنه المؤمنون ويتعالى عليه المتقون، وقد وصف الله عباد الرحمن بأنهم لا يزنون فقال سبحانه ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا...﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾⁽³⁾.

فالتحرج من الزنا مفرق الطريق بين الحياة النظيفة التي يشعر فيها الإنسان بارتفاعه من الحس الحيواني الغليظ ويحس بأن لانتقائه بالجنس الآخر هدفاً أسمى من إرواء سعار اللحم والدم والحياة الهابطة الغليظة التي لا هم للذكور والإناث فيها إلا إرضاء ذلك السعار⁽⁴⁾.

وكان من سمو الإسلام أن شرع العقوبة الزاجرة لهذه الرذيلة - مائة جلدة - أو السجدة للمحصن قال تعالى ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁵⁾.

- وبذلك فإن الزنا يفسد الحياة ويفسد الأرض ويفسد الفرد، ويفسد المجتمع لما يلي:
- 1- اختلاط الأنساب واشتباها فلا يعرف الإنسان أي ولد الذي أتت به الزانية، أهو منه أو من غيره فلا يقوم بتربيته ولا يستمر في تعهده، وذلك يوجب ضياع الأولاد وانقطاع النسل وخراب العالم.
 - 2- إنه إذا لم يوجد سبب شرعي لأجله يكون هذا الرجل أولى بهذه المرأة من غيره لم يبق في حصول ذلك الاختصاص إلا التواش والتقاتل.
 - 3- إن المرأة إذا باشرت الزنا وتمرن عليه يستفد منها كل طبع سليم وكل خاطر مستقيم وحينئذ لا تحصل الألفة والمحبة ولا يتم السكن والازدواج، ولذلك فإن المرأة إذا اشتهرت بالزنا تنفر عن مقارنتها طباع أكثر الخلق.

(1) سورة الإسراء آية 32.

(2) صفوة التفاسير: محمد الصابوني، (159/2).

(3) سورة الفرقان آية 67-68.

(4) في ظلال القرآن: سيد قطب، (2579/5).

(5) سورة النور آية 2.

4- إنه ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء الشهوة، بل أن تصير شريكة للرجل في ترتيب المنزل وإعداد مهامه من مطعوم ومشروب وملبوس وأن تكون حافظة له، قائمة بشؤون الأولاد والخدم، وهذه المهام لا تتم على وجه الكمال إلا إذا كانت مختصة برجل واحد منقطعة له دون غيره من الناس.

5- إنه إذا انفتح باب الزنا فحينئذ لا يبقى لرجل اختصاص بامرأة وكل رجل لا يمكنه التواثب على كل امرأة شاءت وأرادت، وحينئذ لا يبقى بين نوع الإنسان وبين سائر البهائم فرق في هذا الباب.

وبناءً على ذلك فإن لانتشار الزنا مفسدات كثيرة وخطيرة، وكل هذه الآثار وغيرها تؤدي دوراً كبيراً في انحدار المجتمع في أخلاقه وقيمه، وبذلك يؤدي إلى فساد الأرض.

ب- شرب الخمر:

قال تعالى في تحريم الخمر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾⁽¹⁾.

وبذلك فإن تحريم الخمر لم يأت مباشرة وإنما بالتدرج، فكانت آية التحريم آخر آية، بينما أول آية كانت: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁽²⁾، ثم توالى الآيات في النهي فكانت الثانية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾⁽³⁾، ثم نزلت آية التحريم.

وإن الله أكد تحريم الخمر باقترانه مع الأزلام والأنصاب، وسمى الخمر والميسر رجساً من عمل الشيطان، والرجس يدل على منتهى ما يكون من القبح والخبث، وذلك لما ينشأ عنهما من الشرور والفساد.

وجعل الله اجتنابهما سبباً للفلاح في هذه الدنيا، فدل -بطريق المقابلة- على أن ارتكابهما أساس الخسران في الدنيا والآخرة، وجعلهما سبباً للعداوة والبغضاء وهما شر المفسدات الدنيوية. فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ...﴾⁽⁴⁾.

(1) سورة المائدة آية 90.

(2) سورة النحل آية 67.

(3) سورة البقرة آية 219.

(4) سورة المائدة آية 91.

وأخيراً جعلهما صادّين عن ذكر الله وعن الصلاة وهما عماد الدين⁽¹⁾.

وفيما يلي بيان ذلك مع عرض أضرار الخمر:

إن للخمر مفسد كثيرة، ولها مضار عديدة، وهذا ما أشارت إليه الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ...﴾.

1- مضار الخمر الصحية: إفساد المعدة وتغيير الخلق، فالسكارى يسرع إليهم التشوه، فتجحظ أعينهم وتمتقع وجوههم، وتعظم بطونهم، بل قال أحد الأطباء الألمان: "إن السكر - كثير السكر - ابن الأربعين، يكون نسيج جسمه كنسيج جسم ابن الستين، ويكون كالهرم جسماً وعقلاً ومن الأمراض التي تصيبه: مرض الكبد، والكلى، وداء السل الذي يفتك في البلاد الأوروبية فتكاً ذريعاً على عناية أهلها بقوانين الصحة، ولكن لا وقاية من شرور السكر إلا بتركه.

2- مضار الخمر في العقل: فهو مسلّم عند الناس وليس ضرره فيه خاصاً بما يكون من فساد التصور والإدراك عن السكر، بل السكر يضعف القوة العاقلة، وكثيراً ما ينتهي بالجنون، وقد قال الأطباء عن المسكر: "لا يتحول إلى دم كما تتحول سائر الأغذية بعد الهضم، بل يبقى على حاله فيزاحم الدم في مجاريه، فتسرع حركة الدم، وتختل موازنة الجسم، وتتعطل وظائف الأعضاء أو تضعف، وتخرج عن وضعها الطبيعي المعتدل، فمن تأثيره في اللسان إضعاف حاسة الذوق، ومن تأثيره في المجموع العصبي فهو الذي يولد الجنون ويهلك النسل.

3- أضرار الخمر الاجتماعية: إن الشيطان يريد بشرب الخمر أن تقع العداوة والبغضاء فيقضي على جماعتكم، ويشنت شملكم، ويهدم كيانكم، والإسلام حريص جداً على أخوتكم واتحادكم وتضامنكم وإزالة أسباب الشقاق والنزاع فيما بينكم.

وهذه العلة في التحريم من أكبر العلل في نظر الدين، ولذلك ورد بها النص في قوله سبحانه ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾. عن ابن عباس قال: نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا، حتى إذا ثملوا عبث بعضهم ببعض، فلما أن صحوا جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول: فعل بي هذا أخي فلان - وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن - والله لو كان بي رؤوفاً

(1) انظر: روح المعاني: الألوسي، (23/5)؛ لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن (89/2)؛ روح الدين: عفيف طبارة، (230). بتصرف.

رحيماً ما فعل بي هذا، حتى وقعت في قلوبهم ضغائن، فأَنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾⁽¹⁾.

وجريمة السكر تغري بجميع الجرائم التي تعرض للسكران وتجرى عليها ولاسيما الزنا والقتل.

4- وضرر الخمر المادي: أنه يستهلك المال ويفني الثروة، ولم يكن كالخمر مذهباً للثروة في زمن من الأزمان كزمننا هذا. هذه أضرار الخمر الدنيوية.

5- أضرار الخمر الدينية: فهو يصد عن ذكر الله الذي يجلي القلوب ويزكيها، ويظهر النفوس ويهدئها وهو يمنع من الصلاة التي هي عماد الدين، إذ السكران لا عقل له ولا قلب، فكيف يهتدي إلى الخير وإلى الصلاة؟ وهي تضعف إيمان المسلم شاربها يرتكب كبيرة من الكبائر.

وكل هذه الآفات تفسد المجتمع والأرض.

ج - السرقة:

من مظاهر الفساد الأخلاقي انتشار السرقة بين أبنائه، لذلك حرم الله السرقة فقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽²⁾.

وهذا بيان لجزاء من يعتدي على الناس ويسرق أموالهم خفية، فمن يسرق منكم، ذكراً كان أو أنثى، فاقطعوا أيديهما جزاء لهما على ارتكاب فعلهما وانتهاك حرمة الغير بأخذ ماله، ولأن السرقة قد تجر إلى الدفاع عن المال وإلى القتل⁽³⁾.

كذلك لقوله ﷺ: "لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً"⁽⁴⁾، فبين أنه إنما أراد بقوله ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ بعض السراق دون بعض فلا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار أو فيما قيمته ربع دينار⁽⁵⁾.

وبذلك فإن المجتمع المسلم يوفر لأهله دار الإسلام على اختلاف عقائدهم، ما يدفع خاطر السرقة عن كل نفس سوية، إنه يوفر ضمانات العيش والكفاية وقد احترم الإسلام المال، من حيث إنه عصب الحياة، ولهذا حرم الإسلام السرقة وشدد في أمرها ففضى بقطع يد السارق التي

(1) سورة المائدة آية 91.

(2) سورة المائدة آية 38.

(3) تفسير الواضح: محمد الحجازي، (55/6).

(4) م: ك الحدود، (1) ب حد السرقة ونصابها، (ح 1684)، (ص 894).

(5) جامع البيان: الطبري، (570/4).

من شأنها أن تباشر، وفي ذلك حكمة بيّنة؛ إذ إن اليد الخائنة بمثابة عضو مريض يجب بتره ليسلم الجسم، والتضحية بالبعض من أجل الكل مما اتفقت عليه الشرائع والعقول، كما إن في قطع يد السارق عبرة لمن تحدّثه نفسه بالسطو على أموال الناس، فلا يجرؤ أن يمد يده إليها وبهذا تحفظ الأموال وتُصان⁽¹⁾.

وبذلك فإن السرقة تفسد المجتمع والأرض؛ لأنها تضيع حقوق الناس بسرقة أموالهم وقد يكونون حصلوا عليها بشق الأنفس، وأيضاً أنها تنتشر البغضاء والحقد بين السارق والمسروق، وأنها تشجع السارق على التمادي والكسل وعدم الإنتاج والاعتماد على سرقة الآخرين، وتفقد السرقة المجتمع الأمن والسلام؛ فقد يقتل السارق نفسه إذا كشف أمره، وقد يُقتل من الناس أثناء السرقة، وقد يقبض عليه فتقطع يده.

ولم يقف الأمر إلى هنا ولكن هناك رذائل الأخلاق يجب أن نبتعد عنها مثل الكذب والنميمة والخيانة... الخ.

فلذلك يجب أن تكون هناك عقوبات أكثر صرامة، كما يجب قبل ذلك تقوية الجانب الإيماني في نفوس المسلمين للحد من هذه الجرائم المنكرة.

رابعاً: التنازع والتفكك.

إن التنازع وعدم التعاون داخل المجتمع يجعله متفككاً ضعيفاً، ويمتلئ بالانشقاقات، وهذا الأمر يؤدي به إلى الانحدار والانهيار.

فمن أجل ذلك نهى القرآن الكريم عن التنازع وجعله عاملاً من عوامل الضعف، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾⁽²⁾.

ففي هذه الآية نهى الله ﷻ عن التنازع لأنه سبب الفشل، وإن التنازع بمعنى الجذب وأخذ الشيء بشدة أو لطف كنزح الروح من الجسد، والمراد -هنا- أن كل واحد من المتنازعين في الأمر يميل إلى غير ما يميل إليه الآخر⁽³⁾.

(1) انظر: روائع البيان: الصابوني، (547/1)؛ في ظلال القرآن: سيد قطب، (882/2)؛ في رحاب التفسير: كشك، (1102/2).

(2) سورة الأنفال آية 46.

(3) انظر: تفسير المنار: محمد رشيد رضا، (25/10)، زاد المسير: لابن الجوزي، (215/2)، تفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/5 ج/10 ص/1759). بتصرف.

وقوله: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ فمعناه تذهب قوتكم وشوكتكم، وترتخي أعصاب شدتكم... وقيل ﴿رِيحُكُمْ﴾ أي دولتكم فإنها مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها... وتستعار للقوة والغلبة؛ إذ لا يوجد في الأجسام أقوى منها، فإنها تهيج البحار وتقتلع أكبر الأشجار وتهدم الحصون والقلاع⁽¹⁾.

وفي عهد الرسول ﷺ حدثت أحداث دبت النزاع فيها، من هذه الأحداث (غزوة أحد)، لقد انتصر المسلمون في بداية الأمر، فلما وقع بينهم النزاع والخلاف فشلوا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾.

ولكن بالصبر والتقوى والوحدة ينتصر المسلمون ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾⁽³⁾، لأن عدوهم كان ثلاثة آلاف مقاتل، فلما واجهوهم كان الظفر والنصر أول النهار للإسلام، فلما فشلوا وتنازعوا، والمراد تنازع الرماة حين قال بعضهم نلحق الغنائم، وقال بعضهم: نثبت في مكاننا كما أمرنا رسول الله ﷺ، عند ذلك تأخر الوعد الذي كان مشروطاً بالصبر والتقوى لعدم ثباتهم وطاعتهم للرسول ﷺ، من بعد ما أراهم الله ما يحبون من النصر والظفر، فكان فريق منهم ممن رغب في المغنم حين رأى هزيمة المشركين، وفريق رغب في الأجر؛ ذلك بالبقاء في مراكزهم امتثالاً لأمر الرسول ﷺ، ثم ردَّ المسلمين عنهم بالانهزام ليمتحنهم ويختبرهم بالهزيمة بعد النصر⁽⁴⁾.

ومن الأمثلة الواقعية، على مر التاريخ الإسلامي، عند غزو التتار للبلاد الإسلامية مما أدى إلى نفس النتيجة وهي الهزيمة للمسلمين، وقتل الآلاف من المسلمين... ولم ينتصر المسلمون على كل من الصليبيين والتتار إلا بعدما وحدوا جهودهم وجمعوا صفوفهم وكانوا يداً على من عاداهم⁽⁵⁾.

من خلال هذه الأمثلة نستخلص بأن التنازع والتفكك داخل الصف الإسلامي وفي الأمة الإسلامية هو عنوان هزيمتها وذلتها، والترابط في الأمة هو شعار نصرها وعزتها وكرامتها

(1) انظر: المنار محمد رشيد رضا، (25/10)، إرشاد العقل السليم: لابن السعود، (327/3)؛ في ظلال القرآن: سيد قطب، (1528/3).

(2) سورة آل عمران آية 152.

(3) سورة آل عمران آية 125.

(4) انظر: تفسير القرآن: لابن كثير، (174/3-177)؛ فتح القدير: الشوكاني، (1/476-477)؛ تفسير الكشاف: الزمخشري، (1/402-403).

(5) من هدي القرآن في الأخلاق: محمد الخطيب، (77).

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن نذكر بأن أعداء الإسلام اتبعوا أسلوب التفارقة لإذلال الأمة، وبالفعل نجحوا في هذا المخطط ففرقوا الأمة الإسلامية إلى دويلات متناحرة متحاربة، تتنازع فيما بينها، وهذا ما هو ملاحظ في عصرنا الحالي.

هذا عن النزاعات بين الدول، أما عن النزاعات بين الطوائف داخل الدولة الواحدة فحدث ولا حرج فأمتته كثيرة جداً، على رأس هذه الأمثلة ما يحدث في مجتمعنا، فهذه النزاعات التي يثيرها الغرب الكافر إعلامياً ومادياً يجب على المسلمين أن يحذروا من نتائجها لأنهم يهدفون من خلالها إضعاف قوة المسلمين، وبهذه النزاعات يشغلونا عن الهدف الأعظم وهو إقامة دولة إسلامية على أرض فلسطين وعاصمتها القدس، ونشر الدين في الأرض.

وكل ذلك يؤدي إلى الفساد في المجتمع والأرض؛ لأنه لا يصبح هناك أمن واستقرار، وانتشار الحقد والبغضاء بين الناس.

خامساً: البغي والاستكبار في الأرض.

أ- البغي:

هو التعدي والاستطالة، يقال بغى الرجل علينا بغياً أي عدل عن الحق واستطال⁽¹⁾. وأصل البغي مجاوزة الحد، وبغى عليه يبغى بغياً، علا عليه وظلمه، وبغى الوالي: ظلم وكل مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حد الشيء بغي⁽²⁾.

والبغي على نوعين: أحدهما محمود وهو تجاوز العدل إلى الإحسان، والغرض إلى التطوع، والثاني مذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل، أو تجاوزه إلى الشبه، والبغي في أكثر المواضع مذموم⁽³⁾.

وإن القرآن حذرنا من هذا البغي لما فيه من فساد فقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٦١﴾﴾⁽⁴⁾.

(1) مفردات: ألفاظ القرآن: راغب الأصفهاني، (137).

(2) مختار الصحاح: الرازي، (59)؛ المصباح المنير: الفيومي، (64/1).

(3) لسان العرب: لابن منظور، (96/14-97).

(4) سورة الشورى آية 41-43.

وإن البغى صفة العصاة المخالفين لأمر الله، فهذا الأمر حال كثير من الناس، وهو إن أصابتهم مصيبة يلجأون إلى أرض الله فإن أخرجهم الله ونجاهم من هذا الابتلاء رجعوا إلى ما كانوا عليه من المعاصي فقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾.

فقول الله: ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ إذا هنا هي الفجائية أي فاجأوا بالبغى في الأرض بغير الحق.

والبغى هو الفساد، وزيادة في الأرض للدلالة على أن فسادهم هذا شامل أقطار الأرض⁽²⁾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ سواء كان هذا البغى على النفس خاصة، أو بغياً على الناس فإن الناس نفس واحدة.

وحين يبغون البغى يذوقون عاقبته في الحياة الدنيا، قبل الآخرة... وأخبر الله أن هذا البغى سريع الزوال، قريب الاضمحلال، كسائر أمتعة الحياة فإنها سريعة الزوال ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ أي مصيرهم إلى الله فيخبرهم بجميع أعمالهم ويؤتيهم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه⁽³⁾.

ولقد أمر الله قتال الفئة الباغية لأنها تتعدى حدود الله ولما في هذا البغى من خطر فقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁽⁴⁾.

"فإذا تقاتل فريقان من المسلمين، فعلى المسلمين أن يسعوا بينهما بالصلح، ويدعوهما إلى حكم الله، فإن حصل بعد ذلك التعدي من إحدى الطائفتين على الأخرى، ولم تقبل الصلح ولم تدخل فيه كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيتها وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعلى المسلمين أن

(1) سورة يونس آية 23.

(2) تفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/6ج/11-2054-2055)؛ وزاد المسير: لابن الجوزي، (2/324).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (7/350)؛ فتح القدير: الشوكاني، (2/540)؛ وفي ظلال القرآن: سيد قطب، (3/1774).

(4) سورة الحجرات آية 9.

يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم وتؤدي ما يجب عليها للأخرى⁽¹⁾.

وإننا نلاحظ أثر البغي في انحدار المجتمع؛ إذ إنه يمزقه ويجعله فرقاً متناحرة تبغي كل منها على الأخرى مما يضعف الأمة ويذهب قوتها، ومن أعلى درجات البغي، بغي الحكام على المحكومين، مما يقتضي وجوب رجوع هؤلاء البغاة عن بغيهم؛ لأن بغيهم من أهم أسباب الانحدار في الأمم لتضييقهم على شعوبهم وظلمهم لهم وسلب حرياتهم وتكسيم أفواههم، وقد ابتليت الأمة الإسلامية -في العصر الحاضر- بحكام طغاة بغاة لا يتقون الله في شعوبهم، بل يلجأون إلى كل الوسائل لكبتهم والتضييق عليهم، مما أدى إلى زيادة الانحدار في البلاد الإسلامية، حتى إن العلماء هجروا بلادهم وديارهم وتوجهوا إلى بلاد الغرب بسبب ما يمارس ضدّهم من ظلم.

ب - الاستكبار:

الكبر: هو العظمة، يقال كبر بالضم أي عظم فهو كبير. والكبر نقيض الصغر، كبر كبراً وكُبراً فهو كبير وكبار بالتشديد إذا أفرط⁽²⁾.

والاستكبار يقال على وجهين: أحدهما: أن يتحري الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً، وذلك حتى كان على ما يجب، وفي المكان الذي يجب وفي الوقت الذي يجب فمحمود، والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم، وعلى هذا ما ورد في القرآن⁽³⁾. وهو قوله تعالى: ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾⁽⁴⁾.

وإن الكبر مرض من أمراض القلوب، وهو حاجز منيع بين الإنسان والإيمان فقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا...﴾⁽⁵⁾.

في هذه الآية بيان أن الذين استكبروا بغير حق سوف يذلمهم الله -سبحانه - بالجهل وذلك من خلال عدم فهم آيات الله، وعدم فهم الأدلة الدالة على عظمتة وشريعته.

(1) فتح القدير: الشوكاني، (63/5)

(2) لسان العرب: لابن منظور، (149/5).

(3) انظر: مفردات ألفاظ القرآن: راغب الأصفهاني، (438)؛ المصباح المنير: الفيومي، (183/2).

(4) سورة البقرة آية 34.

(5) سورة الأعراف آية 146.

﴿وَأِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾ من الآيات المنزلة عليهم ﴿لَا يُؤْمِنُوا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ طريق صلاح الأمر وطريق الهدى ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ أي طريق الضلال والهلاك يتخذوه سبيلاً، وعلل ذلك بقوله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي كذبت بها قلوبهم ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يعلمون شيئاً مما فيها⁽¹⁾.

والمستكبرون الذين يجحدون بآيات الله يحرصون على أن يكون لهم أتباع وأعوان في مخالفتهم للرسول... إلا أنهم يتخلفون عنهم يوم القيامة، فقد وصف الله حالهم ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُوقُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ القَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾⁽²⁾.

وإن الكبر أول الذنوب التي عصي الله بها، وذلك عندما تكبر إبليس عن السجود لآدم عليه السلام وتعالى؛ لأنه كان يظن أنه أفضل من آدم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾⁽³⁾.

فإن الله تعالى لما استثنى إبليس من الساجدين كان يجوز أن يظن أنه معذور في ترك السجود، فبين الله أنه لم يسجد مع القدرة وزوال العذر بقوله ﴿أَبَى﴾ لأن الإباء هو الامتناع مع الاختيار، أما من لم يكن قادراً على الفعل لا يقال له أنه أبى ثم قال: كان يجوز أن يكون كذلك ولا ينضم إليه الكبر، فبين تعالى أن ذلك الإباء كان على وجه الاستكبار بقوله ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ ثم كان يجوز أن يوجد الإباء والاستكبار مع عدم الكفر، فبين تعالى أنه كفر بقوله ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾⁽⁴⁾.

ونرى أن الكبر له أثر مدمر على المجتمع من خلال بث الكره والبغضاء بين الناس، وهذا الأثر يضعف المجتمع ويفرقه إلى طبقات وطوائف متفككة مما يؤدي إلى انحدار وانهيار المجتمع. ويقول ابن القيم: "إن الفخر والبطر والأشر والعجب والحسد والبغي والخيلاء والظلم والقسوة والتجبر والإعراض وإياء قبول النصيحة والاستئثار وطلب العلو وحب الجاه والرئاسة، وأن يحمد بما لم يفعل، وأمثال ذلك كلها ناشئة من الكبر"⁽⁵⁾.

(1) تفسير القرآن: لابن كثير، (393/6-394)؛ مدارك التنزيل: النسفي، (112/2).

(2) سورة سبأ آية 31-33.

(3) سورة البقرة آية 34.

(4) تفسير الكبير: الرازي، (215/2).

(5) الفوائد: لابن القيم: (167).

وإن أعظم مثال يدل على أثره، في انحدار الأمم وهلاكها، ما قصه علينا القرآن عن فرعون وقومه. وأود أن أقتصر هنا على الحديث عن آية واحدة توجز لنا سبب هلاك فرعون وقومه، يقول تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾⁽¹⁾.

والاستكبار في الآية هو التعظيم بغير استحقاق، بل بالعدوان، وقد أوجد فرعون الكبر بغاية الرغبة فيه ﴿هُوَ وَجُنُودُهُ﴾ بإعراضهم لشدة رغبتهم في الكبر على الحق والاتباع للباطل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر وعرفها، إشارة إلى أنه لو قدر على ذلك في غيرها فعل ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بغير استحقاق، والتعبير بالتعريف يدل على أن التعظيم بنوع من الحق، ليس بكبر وإن كانت صورته كذلك.

﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ أي فرعون وجنوده، ظننا بنوا عليه اعتقادهم في أصل الدين الذي لا يكون إلا بدليل قاطع ﴿أَنَّهُم إِلَيْنَا﴾ أي إلى حكمنا، خاصة الذي عند انقطاع الأسباب ﴿لَا يُرْجَعُونَ﴾ بالبعث والمعاد⁽²⁾.

"ولما توهموا عدم الرجعة إلى الله واستكبروا في الأرض بغير الحق، وكذبوا بالآيات والنذر أخذهم الله بقوته وعظمته فألقاهم في اليم، قال سبحانه ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ هكذا في اختصار حاسم، أخذ شديد ونبذ في اليم، نبذ كما تحذف الحصة ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ فهي عاقبة مشهودة معروضة للعالمين، وفيها عبرة للمعتبرين، ونذير للمكذبين، وفيها يد القدرة تعصف بالطغاة والمتجبرين في مثل لمح البصر"⁽³⁾.

إن في هاتين الآيتين بيان أثر الاستكبار على الأمة، فقد أهلك الله فرعون وقومه بسبب كبرهم وتعاليمهم، تكبروا على الله وعلى خلق الله فأذاقهم الله عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

وهذا المصير هو مآل كل المتكبرين المتجبرين، إنه لخزي لهم في الحياة الدنيا وذلة ومهانة. وبذلك فإن في الكبر فساداً في المجتمع والأرض.

(1) سورة القصص الآية 39-40.

(2) فتح القدير: الشوكاني، (215/4).

(3) في ظلال القرآن: سيد قطب، (2695/5).

المطلب الرابع مضار الإفساد في الأرض وعلاجه

أولاً: مضار إفساد الأرض.

لقد أشار القرآن إلى أن السكوت عن الفساد يؤدي إلى انتشاره ويشجع المفسدين على المضي في فسادهم، ومن ثم يصبح التنبيه إلى وجود الفساد، والنهي عنه من المسؤوليات الخطيرة التي توجب على أولي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع، أن يضطلعوا بها، ولا ينبغي في أي ظرف من الظروف أن يتخلوا عنها، وقد وضع القرآن في هذا السياق أن إهمال هذه المسؤولية يؤدي إلى الفساد في الأرض، وإن فساد الأمم يؤدي إلى هلاكها، وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق.

فقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٠٠﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْحِحُونَ﴾⁽¹⁾.

ووضح القرآن كذلك أن مسؤولية الفساد في الأرض تقع على عاتق الإنسان وحده.

فقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾⁽²⁾.

ولقد ذكر فيما سبق بعض صور الفساد وعواملها، وأيضاً لإفساد الأرض مضار منها:

1- تخريب مصادر الثروة الزراعية⁽³⁾ من حيث الإتلاف المادي للحرث والنسل، فقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ...﴾ إلى قوله ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾⁽⁴⁾.

2- ومن أخطت أنواع الفساد الكفر بالله، فعنه تتولد جرائم كثيرة، تؤدي كلها إلى الفساد والإفساد؛ وذلك أن الكافر - وقد قطع صلته بالله - تصبح الدنيا أكبر همه ومبلغ مناه، فلا يحكم في تصرفاته شريعة الله، وإنما يتبع شهواته وهواه، ومن ثم يفسق ويظلم،

(1) سورة هود آية 116-117.

(2) سورة الروم آية 41.

(3) تفسير أيسر التفاسير: لابن بكر الجزائري، (89).

(4) سورة البقرة آية 204-205.

ويغدر ويقتل، ويستحل كل الحرمات⁽¹⁾، ولذلك يقترن ذكر أعمال الكافرين وصفاتهم بذكر أنهم مفسدون، فقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾⁽²⁾.

3- شن الحرب على الإسلام والمسلمين، فالذين يشنون هذه الحرب هم الذين يحاربون الله ورسوله، أي يحاربون دين الله ورسوله، واتباع هذا الدين، وهم المسلمون. وقد اقترن ذكر المحاربة لدين الله بوصفهم بأنهم مفسدون في الأرض وجزاؤهم القتل أو الصلب أو القطع أو النفي⁽³⁾.

فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ...﴾⁽⁴⁾.

4- وهناك مضار كثيرة من وراء الفساد: الجور في الحكم، وقطع الرحم، والطغيان، والعلو في الأرض، والإسراف، والفسق، والسرقة، وبخس حقوق الآخرين، ولقد وضحنا شيئاً من هذا فيما قبل⁽⁵⁾.

ثانياً: علاج الفساد.

يجب على كل فرد حريص على دينه ووطنه وأسرته أن يستخدم أي وسيلة يستطيع فعلها ليحد من انتشار الفساد. والتي منها:

أ- التوعية والتربية:

يجب على كل مسؤول، سواء كان أباً، أو كانت أمّاً، أو مدرساً أو حاكماً... إلخ، سواء في البيت أو المدرسة أو مؤسسة إعلامية، أو جامعة، أو مجلة، عليهم أن يقوموا بتوعية الشباب، والشابات ونصحهم وإرشادهم إلى طريق الحق والصواب، وذلك كما يلي:

1- على أهل العلم من الكتاب والأدباء الإسلاميين أن ينفرغوا لكتابة البحوث والنشرات والمقالات النافعة التي تشمل بيان محاسن الإسلام وعقائده وأخلاقه وغير ذلك من

(1) تفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/1ح/1ص/46)

(2) سورة البقرة آية 27.

(3) روائع البيان: الصابوني، (1/548-549).

(4) سورة المائدة آية 33.

(5) انظر: الدراسة، (ص175-193).

- الموضوعات الهامة، بالإضافة إلى ذلك يجب أن تشمل الرد على أساليب الفساد وبيان زيفه ودوره المدمر في الإسلام.
- 2- ضرورة إبراز مادة علمية دراسية جديدة، باسم محاربة الفساد أو ما شاكله من الأسماء، تشرح دور هذا الفساد ومدى تأثيره في حياة المسلمين المعاصرة فكرياً وقانونياً وتعليمياً.
- 3- إنشاء الجامعات والكليات والمعاهد المختلفة بكافة اختصاصاتها للحد من الابتعاث إلى الخارج وتدريب العلوم بكافة أنواعها، كما تقوم بتوجيه الرسائل العلمية إلى دراسة أساليب الغزو الثقافي الإفسادي وآثاره على الأمة الإسلامية، وتنظيم المسابقات والجوائز لأحسن كتاب أو دراسة موضوعية مختارة، تؤثر وترقي الفرد والمجتمع.
- 4- إيجاد إعلام إسلامي: إن مسؤولية الإعلام الإسلامي اليوم مسؤولية خطيرة، فالأحداث تتوالى من حولنا وقضايا المسلمين تزداد التهاباً وخطورة، وعلاج ذلك يتم من خلال إعلام صحيح يخدم قضايا المسلمين في العالم، ومواجهة الإعلام الغربي الذي يبيث الإفساد والدمار إلى العالم الإسلامي، مع العلم لدينا أن الإعلام الإسلامي أضعف بكثير من الإعلام الغربي الذي ينشر سمومه بين صفوف المسلمين، وله تأثير كبير على شباب المسلمين، وهذا يشكل خطراً بالغاً على الهوية الإسلامية وعلى شباب المسلمين، أليس من الأجدر أن يوجه رجال الإعلام جهودهم إلى هذا السيل العرم من وسائل الإعلام الأجنبية التي تحارب الله ورسوله جهاراً نهاراً، وتدمر حياة المسلمين.
- 5- على رجال الأعمال أن يساهموا في التصدي للفساد سواء في أماكن أعمالهم، أو في البلاد التي يتعاملون معها، وأن يكونوا قدوة في أعمالهم ومعاملاتهم وتعاملهم مع الآخرين؛ لأنهم يمثلون ثقافة وخلفية ينظر إليهم من خلالها، كما أنهم مطالبون في الداخل بأن يهبوا داعمين للأعمال الخيرية⁽¹⁾.

ب - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم وسائل مواجهة الفساد، وقد حضَّ الإسلام عليه وأمر به، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

(1) انظر: عوامل ارتقاء الأمم وانحدارها في ضوء القرآن: عودة سليمان أبو مصطفى، (200-204) رسالة ماجستير؛ الفساد كظاهرة عربية: عادل عبداللطيف، مجلة المستقبل العربي.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ⁽¹⁾. وقال رسول الله ﷺ: "من رأى منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"⁽²⁾.

وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي الذهاب إلى من ينشرون المنكرات في أماكن تواجدهم، وتقديم النصح لهم وإرشادهم ونهيبهم عن المنكر الذي ينشرونه في المجتمع. فبذلك يجب على من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بأن تتوفر فيه شروط مهمة.

ومن هذه الشروط:

أولها: الحكمة: لا بد لمن يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن يكون حكيماً في أسلوبه وحديثه فلا يغلظ القول على المدعو، ولا يقسو عليه حتى لا ينفرد من الاستجابة للدعوة، بل عليه أن يلين له في القول قال تعالى: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»⁽³⁾.

وأيضاً خاطب الله الرسول ﷺ قائلاً «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ»⁽⁴⁾.

وذلك أن الرسول ﷺ لأن ورفق بمن تولى يوم أحد، ولم يغلظ عليهم ولم يعنفهم، فبين الله في هذه الآية أن الرسول ﷺ إنما فعل ذلك بتوفيق الله (تعالى) إياه، ولو أنه ﷺ أغلظ عليهم وشد لتفرقوا من حوله، فإن كان هذا الحال مع الرسول ﷺ، فكيف بالفظاظة من غيره؟ إن أثرها أشد سوءاً على المدعوين⁽⁵⁾.

ثانيها: أن يتحلى بالصبر؛ لأنه من غير المتوقع أن يستجيب المدعو من أول زيارة أو من الثانية، بل إنه يحتاج إلى زيارات متكررة لتؤثر في نفسه.

فبذلك إن الصبر لازم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه ربما يتعرض للإيذاء، فعليه أن يتحمل هذا الإيذاء وأن يصبر ويحتسب، ولا يقابل السيئة بالسيئة حتى لا تفشل مهمته التي يقوم بها، قال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه «يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»⁽⁶⁾.

(1) سورة آل عمران آية 104.

(2) م:ك الإيمان، (20) ب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان... (ح49)، (ص50).

(3) سورة النحل آية 125.

(4) سورة آل عمران 159.

(5) تفسير جامع الأحكام: القرطبي، (248/4).

(6) سورة لقمان آية 17.

ثالثها: أن يكون الناهي عن المنكر الأمر بالمعروف عالماً بما ينهى عنه، لئلا ينهى عن أمر هو مباح شرعاً، وعليه أن يكون متسلحاً بالعلم ليتمكن من إقناع المدعو بخطورة ما هو واقع فيه من الإثم، وأثر المنكرات على الأمة فهي سبب الهلاك والدمار.

هذه الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعي لتكون دعوته ناجحة.

ج- قوة السلطان (تطبيق حكم الله) على المفسدين:

كثيراً ما نرى مرتكبي جرائم الفساد يستفيدون من ثغرات تشريعية توفر إمكانية تملصهم من ولاية القضاء. إمّا لنقص في قواعد الولاية القضائية؛ أو لتوزيع أركان جرائم الفساد المنظم بين أكثر من دولة أو لأنهم لم يلجأوا إلى حكم الله ورسوله في القضاء؛ حيث قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾⁽¹⁾، والكفر في الآية إما أنه كفر دون كفر، وإما أنه كفر مخرج من الملة إن كان المتحاكم للقوانين البشرية مستحلاً لفعله أو قاصداً به جحد أحكام الله وردها مع العلم بها، وأما من حكم بغير حكم الله وهو عالم أنه مرتكب ذنباً فينطبق عليه قوله تعالى ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وقوله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فهم ظلمة فسقه⁽²⁾.

فالحكم لله وحده لا إله غيره، وهذا الحكم يشمل جميع المناحي مما يتعلق بالأمور الدينية أو الدنيوية من عبادات ومعاملات وعقائد وشرائع وسياسة وغيرها من أمور البشر.

وعلى هذا فإنه يتوجب على المسلمين أن يحكموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وعلى المسلمين أن يلغوا القوانين الأجنبية من بلادهم.. مما يخالف حكم الله، وأن لا يلجأوا إلى المحاكم التي تحكم بقوانين تخالف الإسلام وأن يتحاكموا إلى الإسلام عند من يتقون به من أهل العلم فذلك خير لهم؛ لأن الإسلام ينصفهم، ويعدل بينهم ويوفر عليهم المال والوقت الذي يضيع في المحاكم بلا فائدة، إضافة إلى العذاب الأكبر يوم القيامة؛ لأنه أعرض عن حكم الله العادل، ولجأ إلى حكم المخلوق الظالم⁽³⁾.

وإن تغيير واستبدال التشريع الإسلامي بالقوانين الوضعية يؤدي إلى انتشار الفساد في المجتمعات الإسلامية.

(1) سورة المائدة آية 44.

(2) تفسير المنار: محمد رشيد رضا، (399/6-340).

(3) أساليب الغزو الفكري: د. علي جريشة، (47) باختصار.

الفصل الثالث

أحوال الأرض ونهايتها

يشمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الابتلاء بالأرض (العقاب بها)

المبحث الثاني: صلاحها للحياة إلى يوم القيامة

المبحث الثالث: صفتها يوم القيامة ووراثه الله لها

المبحث الأول الابتلاء بالأرض

يشمل مطلبين:

مدخل البحث.

المطلب الأول: قلب الأرض بقوم لوط

المبحث الثاني: خسف الأرض بقارون

مدخل البحث:

إن هناك أقواماً عذبوا بالأرض، أو على الأرض، وترك للناس آية من آثارهم لمن أراد منهم أن يعتبر، كقوم فرعون، وثمود، وعاد، ونوح... الخ، وقد حث القرآن الناس على السير في الأرض والتفكر في الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾⁽¹⁾.
وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾⁽²⁾.
وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾⁽³⁾.
ومنهم من عوقبوا بالأرض؛ أي صارت الأرض أداة لتعذيبهم وهم قوم لوط، وقارون، وسيأتي الحديث عنهم مفصلاً.

المطلب الأول قلب الأرض بقوم لوط

لوط هو ابن هاران بن أزر، وهو ابن أخ لإبراهيم الخليل عليهما السلام، وكان قد آمن مع إبراهيم عليه السلام، وهاجر معه إلى أرض الشام فبعثه الله إلى أهل سدوم وما حولها من القرى يدعوهم إلى الله تعالى، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها⁽⁴⁾. قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾⁽⁵⁾.

وقوم لوط عليهم السلام كانوا يرتكبون من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها ولم يسبقهم إليها أحد من البشر، إذ كانوا يأتون الرجال شهوة دون النساء وهذا شيء لم يكن بنو آدم يألفونه من قبل، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾⁽⁶⁾.

والفاحشة التي يقوم بها قوم لوط تتمثل في ثلاثة أشياء يمكن بيانها على النحو التالي:

(1) سورة آل عمران آية 137.

(2) سورة الأنعام آية 11.

(3) سورة النمل آية 69.

(4) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، (ج 6 ص 345).

(5) سورة الأنبياء آية 71.

(6) سورة الأعراف آية 80.

1- إتيان الرجال شهوة من دون النساء:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (١).

يبين الله ﷻ فعلة القوم المشينة الفاحشة، وما أصاب فطرتهم من انحراف وشذوذ جنسي، إذ يتركون النساء رغبة في الرجال، وقد أجاب القوم نبيهم ﷺ برغبتهم في الفاحشة عن قصد وعناد، كما أخبر الحق تبارك وتعالى عنهم: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ (2)، فهم يسعون للفاحشة مخالفين الفطرة التي تهتدي إليها النفوس بطبيعتها، راغبين عن الاستقامة بكل عزم وإرادة، غير مكترئين بما يترتب على فاحشتهم من فناء النسل وشفاء نفسي، فالراحة النفسية تكون في تلبية نداء الحكمة الربانية التي غرسها في النفوس (3).

2- قطع الطريق:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا إِنَّنَا بَعْدَآبِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (4).

ففي الآيات الكريمة يبين لوط ﷺ أن قومه أقاموا على ثلاثة أعمال فاحشة، يترتب عليها الفساد في الأرض، ذكر منها قطع الطريق؛ فقد كان القوم يتعرضون لأبناء السبيل، بأخذ المال، وقتلهم، أو بمساومتهم على الفاحشة حتى انقطعت الطرق وضاقت على الناس، وقيل تقطعون السبيل بمعنى قطع النسل بالإعراض عن النساء اللاتي هن الحرث، وإتيان الرجال وهم ليسوا بحرث (5).

(1) سورة الأعراف آية 80-81.

(2) سورة هود آية 79.

(3) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (ج3/1315).

(4) سورة العنكبوت آية 28-30.

(5) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبي سعيد البيضاوي، (4/314)، دار الفكر، 1416هـ-

1996م.

3- المجاهرة بالفواحش:

قال تعالى: ﴿... وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ...﴾⁽¹⁾ أي تفعلون الفواحش في مجالسكم، كالجماع والضرط وحل الإزار وغيرها من القبائح دون مبالاة بأحد، وقيل كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل قصعة فيها الحصى للخذف^(*)، فإذا مر بهم عابر قذفوه، فأيهم أصابه كان أولى به، أي لفعل الفاحشة⁽²⁾، وهذا يدل على مدى نقشي الفاحشة في القوم، حتى جهروا بها، دون رادع من خوف أو حياء، بل كانوا يرسلون العيون لتأنيهم بأخبار وكان يرد على لوط عليه السلام، حتى إذا ما علموا بقدم الملائكة الأكرمين، جاءوا مهرولين تسيل نفوسهم من هول جمال الضيوف⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾⁽⁴⁾.

مصير قوم لوط:

لقد تمثلت جريمة قوم لوط التي عجلت بهلاكهم في الخروج عن سنن الكون، وتغيير فطرة الله تعالى في سنة التزاوج، وفي ذلك قلب للمعايير الصحيحة وانتكاس عن الفطرة السليمة؛ فأخذهم الله تعالى بعذاب من جنس فعلهم، فقلب قراهم على رؤوسهم، وجعل عاليها سافلها، وأما الحصى التي كانوا يحذفون بها ابن السبيل، فيقطعون الطريق على الناس، ويؤذونهم بفعلتهم المنكر، قد أمطروها حجارة من سجيل، وعجلهم بالعذاب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سَجِيلٍ مِّنْضُودٍ ۖ مُّسَوِّمَةً ۖ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾⁽⁵⁾.

كان إهلاك قوم لوط ما بين طلوع الفجر إلى شروق الشمس بقلب جبريل عليه السلام قرية قوم لوط فقد اقتلعها بمن فيها من البشر والحيوانات، وما يتبع هذه المدن من الأراضي والأماكن ثم ارتفع بها حتى علا عنان السماء، حتى لقد سمعت الملائكة صياح الديكة، ونباح الكلاب، ثم قلبها عليهم عقبا على رأس، من هذا العلو، فجعل عاليها سافلها⁽⁶⁾.

(1) سورة العنكبوت آية 28-30.

(*) الخذف بالخاء فإنه يرمى بالحصى الصغار بأطراف الأصابع، [انظر: لسان العرب: ابن منظور، (39/9)].

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (13-341-342).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (75/9).

(4) سورة هود آية 78.

(5) سورة هود آية 82-83.

(6) انظر: تفسير القرآن: ابن كثير، (459/7)، وجامع الأحكام: القرطبي، (81/9)؛ وفتح القدير: الشوكاني،

(636-638/2)؛ قصص الأنبياء: ابن كثير (316)، الآثار والتاريخ: العبيدي، (74-80).

ثم تلا ذلك مطر من الحجارة المتوالية والمسومة، وقد وصف الله الحجارة التي رمي بها قوم لوط بصفات ثلاث هي:

- الأولى: كونها من سجيل، أي الشديد الكثير، أو الطين المتحجر.
 - الثانية: كونها «مَنْضُودٍ» أي متتابع، أو مصفوف بعضه على بعض، أو مرصوص.
 - الثالثة: «مُسُومَةٌ» أي معلمة من السیما وهي العلامة، أي كان عليها أمثال الخواتيم⁽¹⁾.
- وهكذا طويت صفحة القوم، وبقيت قراهم عبرة لكل ذي بصيرة، وردعاً لكل فاجر.

(1) انظر: تفسير المنير: الزحيلي، (120/12-121). بتصرف.

المطلب الثاني

خسف الأرض بقارون

قيل إن قارون هو ابن عم موسى عليه السلام، فهو قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهث، وقيل هو عم موسى عليه السلام فهو قارون بن يصهر، وموسى بن عمران بن يصهر، وقد رجح الطبري رحمه الله الرأي الأول⁽¹⁾. وعلى أية حال فهو من بني إسرائيل.

ولقد وصف الله تعالى حال قارون: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْسِدِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٢٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفَاخَرُ بِهَا الصَّابِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَنَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٦﴾﴾⁽²⁾.

وقد تمثل فساد قارون بالكبر والخيلاء والتعالي على الناس، قال تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾⁽³⁾. فإنه كان يخرج على قومه في زينة عظيمة وتجمل باهر من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحاشيته، فلما رآه البسطاء ممن لهم شوق إلى الحياة الدنيا ويميلون إلى زخارفها وزينتها، تمنوا أن يكون لهم مثل الذي أوتي قارون⁽⁴⁾، وإنه منع الزكاة وزرع الفساد والأحقاد بين الناس فعندما نصح الصالحون قارون باتخاذ ما آتاه الله من المال والخزائن والكنوز قربه عند الله تعالى، وإنفاقها في سبيل الله تعالى، مع أخذ حاجته منها على سبيل الاعتدال، أنكر أن تكون هذه نعمة من نعم الله تعالى عليه، وتمادى في الإنكار وادعى لنفسه العلم والخبرة والمعرفة بفنون التجارة

(1) انظر: جامع البيان: الطبري، (99/10).

(2) سورة القصص آية 76-82.

(3) سورة العنكبوت آية 39.

(4) انظر: تفسير العظيم: لابن كثير، (484/10)؛ وجامع البيان: القرطبي، (317/14).

وجمع المال، فاعتد بنفسه ونسي المنعم ﷺ⁽¹⁾، لقد تجاوز الحد؛ حيث إنه قذف موسى ﷺ بالكذب والسحر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾⁽²⁾، ولم ينته قارون عند هذا الحد من الفساد، بل تمادى في فساده وظلمه وبغيه، فعزم أن يقذف موسى ﷺ في عرضه؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما أتى موسى قومه، أمرهم بالزكاة، فجمعهم قارون فقال لهم: جاءكم بالصلاة وجاءكم بأشياء فاحتملتموها فتحملوا أن تعطوه أموالكم؟ فقالوا: لا نحتمل أن نعطيهم أموالنا، فما ترى؟ فقال لهم: أرى أن أرسل إلى بغي بني إسرائيل فنرسلها إليه فترمي به بأنه أرادها على نفسه، فدعا موسى عليهم...»⁽³⁾.

وقد ذكر المفسرون⁽⁴⁾ هذا الحديث بطوله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾⁽⁵⁾.

مصير قارون:

قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾⁽⁶⁾.

ومما يجدر ذكره هنا معنى الخسف، سواء في القرآن، أو في اللغة، أو في علوم الجيولوجية.

الخسف في القرآن الكريم:

لقد ورد لفظ خسف في القرآن ثماني مرات⁽⁷⁾، ولها معنيان، أحدهما: زهاب ضوء القمر، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ ﴿١٠﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿١١﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾⁽⁸⁾.

(1) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، (2712/5).

(2) سورة هود آية 96-97.

(3) مستدرک علی الصحیحین: حاکم النیسابوری، (27) ک التفسیر، ب تفسیر سورة القصص، (3536)، (443/2) هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يراجاه.

(4) انظر: جامع البيان: الطبري، (110/10)؛ تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (486).

(5) سورة القصص آية 81.

(6) نفس السورة والآية.

(7) انظر: معجم المفهرس لألفاظ القرآن: عبد الباقي، (285-286).

(8) سورة القيامة آية 7-9.

ثانيهما: جعل الأرض تغور بالظالم وتغيبه فيها⁽¹⁾، وذلك في قول الله: ﴿... وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾⁽²⁾، وأيضاً ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا...﴾⁽³⁾، وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾⁽⁴⁾، أي نجعلها تغور بهم، وقال: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾⁽⁵⁾، ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾⁽⁶⁾، ﴿أَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾⁽⁷⁾، وأيضاً ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ﴾⁽⁸⁾.

الخسف في اللغة العربية:

له معان كثيرة منها الغور، والتغيب، والنقصان، الذلة، تحمیل الإنسان ما يكره، الحفر في الحجارة والعمى، أما الخسف فيأتي بمعنى الظلم والذل، والخسف تأتي خسفاً وخسوفاً: غارت بما عليها، ويقال: خسف الله بهم الأرض، أي غيبهم، وخسف الأرض يعني غورها أي: أسفلها أو انخفاضها أو هبوطها⁽⁹⁾.

الخسف في علم الجيولوجيا:

هبوط جزء منها بالنسبة للجزء الآخر فجأة وذلك على طول خط انكسار محدد بفعل عوامل التعرية الطبيعية، وهذا يتسبب في انخفاضها⁽¹⁰⁾.

الخلاصة:

خلاصة الأقوال السابقة، في معنى الخسف، أنها تأتي بمعنى ذهاب ضوء القمر، أو بمعنى الظلم والذل، أو بمعنى غور الأرض أي هبوطها وانخفاضها. وبهذا الغور (أي الخسف) عوقب قارون بسبب فسادته وتجاوزة للحد، ولم يكن خسفه مرة واحدة، وإنما تم خسفه على مراحل كما ذكر المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾⁽¹¹⁾.

(1) مفردات ألفاظ القرآن: راغب الأصفهاني، (282).

(2) سورة العنكبوت آية 40.

(3) سورة القصص آية 82.

(4) سورة سبأ آية 9.

(5) سورة النحل آية 45.

(6) سورة الإسراء آية 68.

(7) سورة الملك آية 16.

(8) سورة القصص آية 81.

(9) انظر: معجم الوجيز، (196)؛ ومعجم الوسيط، (234/1).

(10) انظر: خلق الأرض والسماوات: علي السكري، (22-24). بتصرف واختصار.

(11) سورة القصص آية 81.

فقد ذكرنا -فيما سبق- حديث المرأة الباغية التي ادعت أن موسى عليه السلام أرادها لنفسه⁽¹⁾، فلما علم موسى بهذا الأمر، صلى ركعتين، وأقبل على هذه المرأة واستحلفها من حملك على ذلك، فذكرت أن قارون هو الذي حملها... فعند ذلك خر موسى عليه السلام ساجداً ودعا الله على قارون فأوحى الله إليه: أن يأمر الأرض بما شاء، فقال: يا أرض خذهم فأخذتهم إلى أقدامهم، ثم قال: يا أرض خذهم فأخذتهم إلى ركبهم، ثم قال: يا أرض خذهم، فأخذتهم إلى أعناقهم، فإنهم تضرعوا إلى موسى، ولكن موسى لم يغفر لهم، فقال: يا أرض خذهم، فأطبقت عليهم الأرض⁽²⁾.

وبذلك فبعد أن كان يتنقل على الأرض فرحاً مختالاً فخوراً، خسف الله به الأرض، وطمس على ماله وداره فهو يتجلجل وماله وبيته في الأرض إلى يوم القيامة، قال عليه السلام: "بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبراده إذ خُسفَ به الأرض فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة"⁽³⁾.

فقارون أحق بهذا العذاب الوارد في الحديث لأنه أشد سوءاً من الرجل المذكور في الحديث. والله أعلم.

(1) انظر: الدراسة، ص(227).

(2) انظر: جامع البيان: الطبري، (110/10)؛ تفسير العظيم: لابن كثير، (486/10).

(3) م:ك اللباس والزينة، (10) ب تحريم التبخر في المشي مع إعجابه بثيابه، (ح 2088)، ص(1118).

المبحث الثاني

صلاحها للحياة إلى يوم القيامة

يشمل مطلبين:

المطلب الأول: تسخيرها وإصلاحها لحياة الإنسان

المطلب الثاني: دوام ذلك إلى يوم القيامة

المطلب الأول

تسخيرها وإصلاحها لحياة الإنسان

لقد وهب الله للإنسان في العالم الذي نعيش فيه مختلف أنواع النعم، فسخر له كل ما يضمن له العيش الكريم، فخلق له النبات والحيوان، والهواء، والماء، وجعل الأرض بساطاً ومهاداً، والليل لباساً والشمس والقمر والنجوم والكواكب، ولم يغفل عن أبسط الأمور، وإن هذه النعم دائمة ومستمرة حتى قيام الساعة.

أولاً: تسخيرها للإنسان.

ورد في القرآن آيات كثيرة تدل على تسخير هذا الكون للإنسان؛ حيث قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوْؤُفٌ رَحِيمٌ﴾⁽²⁾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽³⁾، ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾⁽⁴⁾، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾⁽⁵⁾.

إن هذه الآيات فيها لفت للأنظار إلى ما هيا الله لعباده، فالكل مسخر لنا بشمسه وقمره وكواكبه، ورياحه وسحبه، وأمطاره وبحاره وأنهاره ونباته وحيواناته ومعادنه⁽⁶⁾، وإنها لنعم كثيرة قد أتمها علينا ظاهرة وباطنة، فالظاهر الشيء المرئي كنعمة السمع والبصر والصحة والإسلام؛ والباطنة الشيء الخفي كالقلب والفهم والعقل والمعرفة وما أشبه ذلك⁽⁷⁾.

(1) سورة البقرة آية 29.

(2) سورة الحج آية 65.

(3) سورة الجاثية آية 13.

(4) سورة الرحمن آية 10.

(5) سورة لقمان آية 20.

(6) سبق تفصيل الحديث عن ذلك في الفصل الأول.

(7) انظر: صفوة التفاسير: محمد الصابوني، (495/2)؛ ومحرر الوجيز: ابن عطية، (507-505/11).

وقال البيضاوي: أي أسبغ عليكم نعمه المحسوسة والمعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه⁽¹⁾.

ثانياً: إصلاحها لحياة الإنسان.

لقد بين الله ﷻ من خلال آيات كتابه العزيز، كيف جعل هذه الأرض مستقرة، ومذلة لتكون صالحة للحياة عليها ويستمر ذلك إلى يوم القيامة؛ حيث وصف الله تعالى -في عديد من آياته- أنه جعل هذه الأرض ممهدة ومبسطة، وفراشاً ومقررة ليتم العيش عليها ويتصرفون فيها، ويمشون في مناكبها، وتفصيل ذلك كما يلي:

أ- الأرض ممهدة وفراشاً:

فقد قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾⁽³⁾، وقال: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَا لَكُمْ أَلْسَانًا﴾⁽⁴⁾، وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرِاشًا﴾⁽⁵⁾.

المهاد: الوطاء والفراش، أي جعل الأرض فراشاً وبساطاً وقراراً تستقرون عليها، وما ليس بفراش كالجبال والأوعار والبحار فهي من مصالح ما يفترش منها؛ لأن الجبال كالأوتاد والبحار تتركب إلى سائر منافعها⁽⁶⁾.

ب- الأرض واسعة:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾⁽⁷⁾، وقال: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾⁽⁸⁾، أي أنها متسعة ممتدة في الطول والعرض⁽⁹⁾.

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي، (349/4).

(2) سورة الزخرف آية 10.

(3) سورة النبا آية 6.

(4) سورة الذاريات آية 48.

(5) سورة البقرة آية 22.

(6) انظر: جامع الأحكام: القرطبي، (171/19)، (228/1)؛ وتفسير المنير: الزحيلي، (123/25)، (42/27).

(7) سورة الرعد آية 3.

(8) سورة ق آية 7.

(9) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (104/8).

ج - مبسطة ومقررة:

حيث قال تعالى: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا»⁽¹⁾، وقال: «وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سَطَحَتْ»⁽²⁾، وقال: «أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا»⁽³⁾؛ وقال: «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا»⁽⁴⁾.

أي جعلها لكم مستقرًا بساطًا مهادًا تعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون في مناكبها وأرساها بالجبال الشامخات لئلا تميد بكم⁽⁵⁾.

وبعد: ففي هذه الآيات إشارة إلى السير في حياة البشر على هذه الأرض، حيث أعدها الله لتكون لهم سكنًا مريحاً وملجأً وافيًا كالفراش، ومهد لهم وسائل العيش فيها وسخر لهم فيها أيضاً وسائل الراحة والمتاع، ولولا هذا التسخير والتمهيد ما قامت الحياة على هذا الكوكب، وبذلك فإن فيها منفعة إلى يوم القيامة.

(1) سورة نوح آية 19.

(2) سورة الغاشية آية 20.

(3) سورة النمل آية 61.

(4) سورة غافر آية 64.

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (141/14)؛ وجامع الأحكام: القرطبي، (306/18)؛ وزاد المسير:

لابن الجوزي، (42/4)؛ ومحرك الوجيز: لابن عطية، (120/15).

المطلب الثاني

دوام ذلك إلى يوم القيامة

إن النعم التي أنعمها الله علينا لتكون هذه الأرض صالحة ليست لفترة محددة يوماً أو اثنين، وإنما تستمر هذه المنفعة إلى يوم القيامة، حيث قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾⁽¹⁾. أي في الأرض موضع استقرار وإقامة، ومتاع ومنفعة ومعيشة إلى حين انقضاء آجالكم إلى يوم القيامة⁽²⁾.

وهناك من القرآن ما يدل على أن الحياة مستمرة إلى يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾⁽³⁾.

في هذه الآية بيان لما يكون بين يدي الساعة أي وإذا قُرِبَ نزول العذاب وقيام الساعة، وحين وقت عذاب الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ...﴾ أي تخرج للكفار هذه الآية الكبيرة ﴿دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ تكلم الناس وتناظرهم⁽⁴⁾.

قال ابن كثير: "هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، فتكلم الناس وتخطبهم مخاطبة، قال ابن عباس وعطاء: تكلمهم كلاماً فتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون"⁽⁵⁾.

ودابة الأرض آية من آيات الله تخرج في آخر الزمان، عندما يكثر الشر، ويعم الفساد، ويكون الخير قلة في ذلك الزمان، وإنها حيوان نكَلِ عِلْمِ نوعه وشكله وهيئته إلى الله ﷻ، فيسم الكافر بوسم الكفر، ويطبع المؤمن بطابع الإيمان، وحينئذ لا تنفع نفساً إيمانها إن لم تكن قد آمنت من قبل⁽⁶⁾.

وهذا إخبار القرآن عنها، بينما إخبار السنة، فتأكيد للذي أخبر عنه القرآن.

(1) سورة البقرة آية 36؛ سورة الأعراف آية 24.

(2) انظر: تفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/4ج/8ص/1451).

(3) سورة النمل آية 82.

(4) انظر: صفوة التفاسير: محمد الصابوني، (2/419)؛ أيسر التفاسير: لأبي بكر الجزائري، (921).

(5) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (10/430).

(6) انظر: كبرى اليقينيات الكونية: محمد سعيد البوطي، (335)، دار الفكر بيروت - لبنان، ط1 1389-

1969م؛ والقيامة الصغرى؛ د. عمر سليمان الأشقر، (286)؛ دار النفائس ط12 1421-2000م.

روى مسلم عن عبدالله بن عمرو، قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى أيهما ما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على إثرها قريباً"⁽¹⁾.

ودليل آخر على استمرار الحياة ظهور يأجوج ومأجوج في آخر الزمان فقد أخبر القرآن عنهم، وذلك قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿١٠٠﴾ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٠١﴾»⁽²⁾.

وقوله تعالى: «قَالُوا يَا ذَا الْقُرَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿١٠٢﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿١٠٣﴾»⁽³⁾ إلى قوله تعالى «فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿١٠٤﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٠٥﴾»⁽⁴⁾.

ويأجوج ومأجوج أمتان كثيرتا العدد، يفاجا بها العالم، تنسل إليه من كل حدب^(*)، تنتشر الفساد والدمار في الأرض على نحو مذهل وبطريقة مرعبة وأن القرآن أخفى عن الناس ميعاد ظهورهم، فلا يعلم أجل ذلك أحد إلا الله ﷻ وأنهما من ذرية آدم عليه السلام⁽⁵⁾، كما ثبت في الصحيحين: "إن الله تعالى يقول: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك. فيقول: ابعث بعث النار. فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة فحينئذ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها"⁽⁶⁾.

(1) م:ك الفتن وأشرط الساعة، (23) ب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى، (ح2941)، (ص1526).

(2) سورة الأنبياء آية 96-97.

(3) سورة الكهف آية 94-96.

(4) سورة الكهف آية 97-98.

(*) حدب: ما ارتفع من الأرض [مختار الصحاح: الرازي، (125)].

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (9/190).

(6) خ:ك الرقاق، ب قوله عز وجل "إن زلزلة الساعة شيء عظيم"، (ح653) (ص1324)؛ م:ك الإيمان (96)،

ب قوله يقول الله لأدم أخرج بعث النار...، (ح222)، (ص136).

وأيضاً روي عن حذيفة⁽¹⁾ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: أول الآيات: الدجال ونزول عيسى، ونار تخرج من قعر عدن أبين، تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا، والدخان، والدابة، ثم يأجوج ومأجوج" قال حذيفة: قلت: يا رسول الله وما يأجوج ومأجوج؟ قال: "يأجوج ومأجوج: أمم، كل أمة أربع مئة ألف، لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه، وهم ولد آدم فيسيرون إلى خراب الدنيا، يكون مقدمتهم بالشام وساقنتهم بالعراق، فيمرون بأنهار الدنيا، فيشربون الفرات والدجلة وبحيرة الطيرية حتى يأتوا بيت المقدس"⁽²⁾.

ومما يدل أيضاً على استمرار الحياة وصلاحها على الأرض إلى يوم القيامة وهو نزول عيسى على الأرض قبيل يوم القيامة.

وهو من أهم أشراف الساعة، ومن أخطر الأحداث التي تكون بين يديها، ومعنى نزوله، أن يهبط إلى الأرض، بعد احتجابه عنها كل هذه الفترة...

في مكان ما من ملكوت الله ﷻ، وهو لا يزال يتمتع بحياته الأولى التي أحياء الله بها...، فيمكث في الأرض مدة من الزمن يقيم عليها دعائم العقيدة الإسلامية التي بعث هو والأنبياء كلهم لإقامتها، وينفذ الشريعة الإسلامية الناسخة لجميع الشرائع السابقة والتي بعث بها محمد عليه الصلاة والسلام، دون أن يؤيد ذلك بوحى جديد من الله ﷻ⁽³⁾.

إن الدليل على ذلك ثابت في القرآن والسنة: أما دليل الكتاب فهاتان الآيتان:

الآية الأولى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾⁽⁴⁾.

والمعنى: لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى ﷺ إلا آمن به قبل موت عيسى ﷺ. فالضمير في ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ عائد، كما هو واضح من سياق الآيات السابقة لهذه الآية، إلى عيسى بن مريم، وهو نص على أنه عليه الصلاة والسلام لم يمتم بعد⁽⁵⁾.

(1) حذيفة بن اليمان العبسي، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، صح في مسلم عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة وأبوه صحابي، استشهد بأحد، ومات حذيفة في أول خلافة علي، سنة ست وثلاثين، [تقريب التهذيب، (189)]

(2) ت: (31) ك الفتن، (59) بما جاء في فتنة الدجال، (ح2240)، (ص506) حسن صحيح غريب.

(3) انظر: كبرى اليقينيات: البوطي، (322).

(4) سورة النساء آية 159.

(5) انظر: تحرير التنوير، م4/4ج6ص24.

قال ابن كثير بعد أن شرح الآية على هذا الوجه: "ولاشك أن هذا هو الصحيح؛ لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة بذلك. فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باق حي، وأنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة، فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم"⁽¹⁾.

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾⁽²⁾.

والمعنى: إن عيسى بن مريم لدليل على قيام الساعة، وإنما يكون كذلك بنزوله من السماء حكماً مقسطاً عادلاً⁽³⁾.

وأما الأحاديث فكثيرة جداً. وإليك هذا الحديث منها:

ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: وقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

فهذه الأدلة، أي خروج الدابة، وظهور يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى وإقامة العدل في الأرض، أن هناك أناساً سيقفون أحياء إلى ذلك اليوم، وما داموا أحياء إلى ذلك الحين فمعناه أن عوامل صلاح حياتهم على الأرض مستمرة إلى يوم القيامة وإلا انقرضوا قبل ذلك.

والله أعلم

(1) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (344/4-345)

(2) سورة الزخرف آية 61.

(3) تفسير القرآن، ابن كثير، (323/12)

(4) سورة النساء آية 159.

(5) م:ك الإيمان، (71) ب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، (ح155)،

(ص94)

المبحث الثالث

صفتها يوم القيامة ووراثه الله لها

يشمل مطلبين:

المطلب الأول: صفتها يوم القيامة

المطلب الثاني: وراثه الله لها

المطلب الأول

صفتها يوم القيامة

كما نبه القرآن إلى ثروات الأرض وزينتها وجمالها، نبه كذلك إلى أن الحياة عليها مؤقتة، وأن زينتها زائلة، «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ»⁽¹⁾. وأنه عندما تقوم الساعة تحدث في الأرض تغيرات هائلة منها أنها ترح، وتدك، وتزلزل، وتتشقق وترجف وتخرج ما في جوفها.

أولاً: جمعها الأحياء والأموات.

دائماً علينا أن نحمد الله ﷻ خالق هذه الأرض، لما يعود علينا منها من نفع، سواء أكنّا أحياء، أو أمواتاً فإنها تجمعنا وتضمنا في حضنها كالأم الحنون على طفلها؛ حيث قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿١٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾⁽²⁾.

أي ألم نجعل هذه الأرض التي تعيشون عليها كالأم لكم، تجمع الأحياء على ظهرها، والأموات في بطنها؟ قال المفسرون: الكفت: الجمع والضم⁽³⁾ فإن الأرض تجمع وتضم إليها جميع البشر، فهي كالأم لهم، فالأحياء يسكنون في منازلهم؛ والأموات يسكنون في بطنها في القبور «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى»⁽⁴⁾. فهذه حقيقة من الحقائق الثابتة، وسنة من سنن الكون الإلهية التي لا تتبدل ولا تتغير، وأية باهرة دالة على قدرة الله؛ فإن أبانا آدم خلق من الأرض، كما سبق وقد تحدثنا عن ذلك، فهذه الأرض أصبحت موطن سكنا، ودار حياتنا منذ أن هبط آدم عليها. وذلك فعليها نعيش وفيها نقضي آجالنا، وعليها نقبض أرواحنا، وفي باطنها تقبر وتوارى أجسامنا، ومنها نخرج عند بعثنا⁽⁵⁾.

وقال الشعبي: بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم⁽⁶⁾.

﴿أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتًا﴾: جاءت نكرة لأنه تكفت أحياء لا يعدون وأمواتاً لا يحصون، وتدل على أن أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا بجميع الأحياء والأموات وهناك أيضاً الحيوانات⁽⁷⁾.

(1) سورة الرحمن آية 26.

(2) سورة المرسلات آية 25-26.

(3) انظر: الأساس في التفسير: سعيد حوى، (6322/11)؛ الكشف: الزمخشري، (666/4)؛ وأيسر التفاسير: ابن الجزائري، (1435).

(4) سورة طه آية 55.

(5) انظر: تفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/8ج/16-3169-3170).

(6) انظر: الأساس: سعيد حوى، (6322/11)؛ في رحاب التفسير: عبدالحميد كشك، (7818/9).

(7) انظر: الكشف: الزمخشري، (666/4)؛ مدارك التنزيل: النسفي، (473/4).

وجمع الأرض للأحياء والأموات مستمر من أيام آدم ﷺ إلى يوم القيامة غير أنه يوم القيامة، بعد النفخ الأول في الصور، تضم جميع الناس أمواتاً فقط. قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾⁽¹⁾.

ثانياً: خرابها.

إن هذه الأرض، التي سخرها الله للإنسان بخيراتها وجمالها... الخ، سوف يختل نظامها ويتغير يوم القيامة، وذلك لانتهاه دورها، وتفصيل ما يحدث للأرض كما يلي:

أ- تبدل الأرض غير الأرض:

فمن علامات يوم القيامة تبدل هذه الأرض إلى ماذا؟ وعلى أي هيئة؟ لا نعلم، وإنما العلم لله وحده، فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾⁽²⁾.

فقد جاء في تبدل الأرض روايات كثيرة.

قال ابن عباس: ﴿تُبَدَّلُ الْأَرْضُ﴾ يزداد فيها، وينقص منها، وتذهب جبالها، وأوديتها وشجرها وما فيها، وتمد مد الأديم العكاظي*⁽³⁾ وتصير مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً؛ "وتبدل السموات" بذهاب شمسها وقمرها، ونجومها وكواكبها بتغير كلِّ عما هو عليه في الدنيا⁽⁴⁾. وعن مجاهد: تكون الأرض كالفضة، والسموات كذلك⁽⁵⁾.

وعن ابن مسعود: تبدل الأرض أرضاً بيضاء، كأنها سبيكة بيضاء ما لم يسفك فيها دم حرام، ولم يعمل منها خطيئة⁽⁶⁾.

وقيل في تبديلها: يبدلها الله ﷻ يوم القيامة بأرض من فضة لم تعمل عليها الخطايا، ينزلها الرب ﷻ، إلى الناس يومئذ على الصراط، والسموات تصير جناناً ويصير مكان البحر ناراً.

(1) سورة الزمر آية 68.

(2) سورة إبراهيم آية 48.

* عكاظ: يتفخرون ويتناشدون وذلك في سوق بصرى بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً [القاموس المحيط: (899)].

(3) تفسير العظيم: لابن كثير، (237/8)؛ محرر الوجيز: لابن عطية، (268/8).

(4) تفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/7/13/3527-3528).

(5) تفسير مجاهد، (414).

(6) جامع البيان: الطبري، (479/7).

وقد قيل: أنها تبدل ناراً؛ وأرضاً من فضة، وقيل تبدل خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه... الخ⁽¹⁾.

تري الباحثة: ما هو واجب الإيمان به أن الأرض تبدل غير الأرض، ممكن أن تكون فضة، أو خبزاً أو ناراً أو غير ذلك، ولا يوجد لدينا أي دليل من القرآن، أو السنة، أو حتى الإجماع عن الهيئة التي تبدل إليها الأرض، وهذا من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وواجبنا أن نؤمن بما جاء بظاهر الآية أن الأرض تبدل غير الأرض.

جاء في الصحيحين عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها معلم لأحد"⁽²⁾.
ففي هذه الآية أن وعد الله للمكذبين بالويل حاصل يوم تبدل الأرض وهي هذه غير الصفة المألوفة المعروفة⁽³⁾.

هذا ما ذهب إليه المفسرون في تبديل الأرض، بينما العلماء قالوا: إن الدراسة الحالية أن الألواح النكتونية، التي يتكون منها سطح الأرض، تتحرك باستمرار إما متباعدة، أو متقاربة من بعضها بسرعة بطيئة، وسوف يؤدي تحركها في النهاية إلى تجمع القارات الست المعروفة حالياً، (الأمريكتين، وآسيا، وأوروبا، وأفريقيا، وأستراليا) مع الزمن الجيولوجي في مكان واحد بشمال شرق الكرة الأرضية، لكي تكون قارة واحدة عملاقة يحيط بها محيط واحد ضحل الماء هكذا، فإن الأرض سوف تبدل في آخر الزمان بغير الأرض المعروفة حالياً⁽⁴⁾.

والله أعلم

ولكن ما يجب الإيمان به هو أن الأرض سوف تبدل يوم القيامة، وهذا ما آمن به الرسول ﷺ ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾⁽⁵⁾.

ب - زلزلة الأرض وانشقاقها وشهادتها:

من أحوال الأرض يوم القيامة أنها ستنزلززل أولاً، وتخرج الأثقال من بطنها فتقذفها فوق ظهرها ثانية، ولها أيضاً وقفة مع الإنسان عندما تفصح أسرارها وتنتشر أستاره. وتفصيل ذلك كما يلي:

(1) جامع البيان: الطبري، (479/7-483).

(2) خ: (8) ك رفاق، (44) ب يقبض الله الأرض يوم القيامة، (ح6521)، (ص1323)، م: ك صفة القيامة والجنة والنار، (2) ب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، (ح2790)، (ص1456).

(3) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (232/8).

(4) خلق السموات والأرض: علي السكري، (73).

(5) سورة آل عمران آية 53.

1- زلزلة الأرض:

قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾⁽¹⁾.

فكلمة الزلزال في اللغة: تعني هزة أرضية طبيعية تنشأ تحت سطح الأرض، والزلزال هو الهول والبلية والشدة.

وزلزلة زلزلة وزلزلاً: هزة وحركة شديدة⁽²⁾ وعند المفسرين يرون أن معنى الزلزلة: أي تحركت الأرض تحريكاً عنيفاً واضطراباً شديداً واهتزت بمن عليها اهتزازاً يقطع القلوب ويفزع الألباب⁽³⁾، ومعنى زلزالها -بالإضافة- قال الزمخشري: "زلزالها الذي تستوجبها في الحكمة ومشية الله وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده. ونحوه قولك: أكرم النبي إكرامه وأهن الفاسق إهانته، تريد: ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه"⁽⁴⁾.

وزلزلة الأرض: في النفحة الأولى يزلزلها وهذا ما قاله مجاهد⁽⁵⁾؛ بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾⁽⁶⁾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ⁽⁶⁾.

أما من ناحية علمية فإن العلم يقول: إن الزلازل هي اهتزازات موجية في القشرة الأرضية... سببها اضطرابات وأحداث وتغييرات في جوف الأرض، وهذه الاهتزازات موجية؛ لأن الحركة هي التي تنتقل في صخور الأرض، فهي تشبه الأمواج التي تحدث في الماء إذا ألقى فيه حجر، ولذلك الناس لا يشعرون بها في وقت واحد ولا بقوة واحدة، ولكن في أوقات مختلفة. فإن هذه الزلازل مختلفة عن زلزال الآخرة، وما ذهب إليه العلم أنه تحدث في الدنيا من حين لآخر بسبب الفساد والغفلة عن ذكر الله.

2- خروج أثقالها:

قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾⁽⁷⁾.

فقد ورد في معنى أثقالها قولان:

-
- (1) سورة الزلزلة آية 1.
 - (2) انظر: معجم الوسيط، (387/1).
 - (3) انظر: تفسير العظيم: لابن كثير، (427/14)؛ في رحاب التفسير: كشك، (8056/9).
 - (4) الكشاف: الزمخشري، (775/4).
 - (5) انظر: الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (147/20).
 - (6) سورة النازعات آية 6-7.
 - (7) سورة الزلزلة آية 2.

أحدهما: «أثقالها» أمواتاً، تخرجهم في النفخة الثانية وهذه كقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ»⁽¹⁾، وكقوله «وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٦٦﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ»⁽²⁾، هذا ما ذهب إليه ابن عباس ومجاهد⁽³⁾.

الثاني: «أثقالها» كنوزها⁽⁴⁾، ومنه الحديث الذي رواه أبو هريرة حيث قال: قال رسول الله ﷺ: "تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت. ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً"⁽⁵⁾.

تري الباحثة أن معنى أثقالها: أمواتها؛ لأن ذلك فيه إشارة إلى البعث وذلك عند النفخة الثانية حيث الله يخرج الناس للحساب.

3- وقفه مع الإنسان:

«وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٦٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٦٨﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٦٩﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ»⁽⁶⁾.

وقول الإنسان «مَا لَهَا» هو قول على معنى التعجب من هول ما يرى، ولكن اختلفوا في المراد بالإنسان، هل هو الكافر، وهذا متمكن لأنه يرى ما لم يظن به قط ولا صدقة وهذا ما ذهب إليه ابن عباس⁽⁷⁾.

وقيل: أراد كل إنسان يشاهد ذلك عند قيام الساعة في النفخة الأولى: من مؤمن وكافر، فالكافر على ما قدمناه، والمؤمن - وإن كان قد آمن بالبعث - فإنه استهول المرأى⁽⁸⁾.

«يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا»

فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: «تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» بأعمال العباد على ظهرها. وهذا قول من يقول بأن الزلزلة يوم القيامة.

(1) سورة الحج آية 1.

(2) سورة الانشقاق آية 3-4.

(3) انظر: جامع الأحكام: القرطبي، (147/20)؛ تفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/15 ج/30 ص/6623)

(4) جامع الأحكام: القرطبي، (147/20).

(5) م:ك الزكاة، (18) ب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، (ح/1013)، (ص/484).

(6) سورة الزلزلة آية 4-6.

(7) انظر: جامع الأحكام: القرطبي، (148/20)؛ محرر الوجيز: ابن عطية، (535/15).

(8) انظر: محرر الوجيز: لابن عطية، (535/15).

الثاني: تحدث أخبارها بما أخرجت من أبقالها؛ قاله يحيى بن سلام: وهذا قول من يقول بأن الزلزلة أشراط الساعة.

الثالث: أنها تحدث بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها؟ قاله ابن مسعود: فتخبر أن أمر الدنيا قد انقضى، وأمر الآخرة قد أتى⁽¹⁾.

تري الباحثة إن المراد «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» أي تحدث بما عمل العاملون على ظهرها، ويؤيد ذلك ما جاء في السنة حيث قال الترمذي: عن أبي هريرة قال: "قرأ رسول الله هذه الآية «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا»، قال: "أتدرون ما أخبارها؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها"⁽²⁾.

«أَوْحَى لَهَا» أي أن الله أمرها وقال القرطبي: أمرها أن تتشقق عنهم⁽³⁾.

«يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ»: أي إن الناس يصدرون، وذلك عند النشور، أشتاتاً من القبور أي أنواعاً وأصنافاً، ما بين شقي وسعيد، مأمور إلى الجنة ومأمور به إلى النار، وأنهم يبعثون من أقطار الأرض، ويكونوا متفرقين عن موقف الحساب⁽⁴⁾.

فمن يعمل من الكفار مثقال ذرة خيراً يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الآخرة، ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الآخرة، مع عقاب الشرك، ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين يره في الدنيا، ولا يعاقب عليه في الآخرة إذا مات، ويتجاوز عنه، وإن عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه، ويضاعف له في الآخرة⁽⁵⁾.

وبعد.. فإن أحوال الأرض يوم القيامة كل حال مترتب على الآخرة فإنه في يوم القيامة تزلزل الأرض، وذلك في النفخة الأولى ثم بعد ذلك النفخة الثانية تتشقق الأرض وتخرج الأموات وذلك للحساب، وبعد ذلك عند المحاسبة يستنكر الإنسان ويستعجب من الأرض التي كانت صامته ففي هذا اليوم تنطق وتدافع عن نفسها، وإن هذا الحديث ليس بإرادتها ولا طاقتها وإنما هو أمر من عند الله، لتبين وتكشف عن عيوب الناس، وماذا كانوا يفعلون فوقها.

(1) انظر: النكت والعيون: للماوردي.

(2) ت: (44) ك تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (88) ب "ومن سورة إذا زلزلت الأرض زلزالها"، (ح3353)، (ص761). حسن صحيح.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (429/14).

(4) انظر: جامع البيان: الطبري، (661/12)؛ وتفسير القرآن: ابن كثير، (429/14)؛ جامع الأحكام: القرطبي، (150/20)؛ في رحاب التفسير: كشك، (8057/9).

(5) في ظلال القرآن: سيد قطب، (3956/6).

ج - نسف الجبال وتسييرها:

لقد ورد ذكر الجبال في آيات قرآنية تتعلق بالقيامة وأشراتها، ويتضح من هذه الآيات أن مصير الجبال يتفق مع الأحداث الكونية التي سبق شرحها. وتفصيل مصير الجبال كما يلي:

1- رجف الجبال:

إن الجبال يوم القيامة عندما تتغير تصير رملاً مهياً، ثم عنهاً منفوشاً، ثم هباءً منثوراً. فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾⁽¹⁾.
الرجف: الزلزلة والزعزعة الشديدة⁽²⁾.

الكثيب: الرمل المجتمع من كثر الشيء إذا جمعه⁽³⁾.

المهيل: الرمل الذي يمر فتح الأرجل. قال الضحاك والكلبي: المهيل: هو الذي إذا وطئته بالقدم زل من تحتها⁽⁴⁾.

أي يوم تتزلزل الأرض وتهتز بمن عليها اهتزازاً عنيفاً شديداً هي وسائر الجبال، وذلك يوم القيامة، فإن الجبال تصبح على صلابتها تلاً من الرمل سائلاً متناثراً، بعد أن كانت صلبة جامدة.

قال ابن كثير: "أي تصير الجبال ككثبان الرمال، بعدما كانت حجارة صماء، ثم إنها تتسف نسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب"⁽⁵⁾.

وبعد أن تصبح رملاً تتطاير كالصوف المنفوش إذا هب عليه الريح كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾⁽⁶⁾. وأيضاً قوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمُنْفُوشِ﴾⁽⁷⁾.

العهن المنفوش: هو الصوف الأحمر أو ذو الألوان، شبه الجبال به في تلونها ألواناً⁽⁸⁾.
وبذلك فإن الجبال بعد أن أصبحت رملاً فإنها تكون متناثرة متطايرة كالصوف المنفوش إذا طيرته الريح.

وبعد هاتين المرحلتين للجبال حيث تصير رملاً مهياً، ثم عنهاً منفوشاً، تأتي مرحلة الهباء المنثور.

(1) سورة المزمل آية 14.

(2) انظر: الكشاف: الزمخشري، (628/4).

(3) المرجع نفسه.

(4) انظر: جامع الأحكام: القرطبي، (47/19).

(5) انظر: جامع البيان: الطبري، (289/12-290)؛ وتفسير العظيم: لابن كثير، (169/14)؛

(6) سورة المعارج آية 9.

(7) سورة القارعة آية 5.

(8) انظر: جامع الأحكام: القرطبي، (285/18).

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾⁽¹⁾.

أي إذا زلزلت وحركت الأرض تحريكاً شديداً فتهتز وترتج وتضطرب، حتى ينهدم كل ما عليها من بناء وجبال؛ وإنما ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها من بناء، وينكسر كل ما فيها من جبال وحصون⁽²⁾.

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾: أي فتنتت تفتتتاً حتى صارت كالدقيق المبسوس - وهو المبلول - بعد أن كانت شامخة ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ أي فصارت غباراً متفرقاً متطايراً في الهواء، كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل النافذة، فهذا هو الهباء⁽³⁾.

والمنبث المتفرق، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾⁽⁴⁾.

2- نسف الجبال:

فبعد أن ذكرت رج الجبال ومراحل تغير الجبال من رمل مهيل ثم عهن منفوش ثم هباء منثور؛ ذكر الحال الثانية التي تصيب الجبال وهي النسف.

فقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾⁽⁵⁾.

فإن الأرض كلها تصبح مستوية؛ لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، والله يترك مكان الجبال قاعاً صفصفاً، والقاع: هو المنكشف من الأرض، دون أن يكون عليه نبات أو بناء، والصفصف: الأرض المستوية الملساء، حتى لكأن أجزاءها صف واحد من كل جهة، وبعد اقتلاع الجبال لا ترى في الأرض عوجاً (مكاناً منخفضاً) ولا أمثاً: أي ولا مكاناً مرتفعاً؛ فالأرض كلها في ذلك اليوم مستوية ملساء؛ لا انخفاض فيها ولا ارتفاعاً، ينكشف الناس جميعاً عليها؛ فلا يحجبهم منخفض أو مرتفع⁽⁶⁾.

3- سير الجبال:

وهذا المصير النهائي للجبال (أي الزوال التام) كما يتضح من الآيات الكريمة التالية:

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۖ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾⁽⁷⁾.

(1) سورة الواقعة آية 4-6.

(2) انظر: تفسير المنير: وهبة الزحيلي، (242/27)؛ تفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/15/ج29/ص6158)؛ جامع الأحكام: القرطبي، (196/17).

(3) انظر: صفورة التفاسير: الصابوني، (306-305/3).

(4) سورة القارعة آية 5.

(5) سورة طه آية 105.

(6) انظر: مدارك التنزيل: النسفي، (101/3)؛ وتفسير القرآن: عبدالله شحاتة، (م/8/ج16/ص3199-3200).

(7) سورة الطور آية 9-10.

وأيضاً «وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ»⁽¹⁾، وأيضاً «وَسَيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا»⁽²⁾.
سيرت: نسفت من أصولها، وقيل: أزيلت عن مواضعها⁽³⁾، أي إن الجبال نسفت وقلعت
من أماكنها، حتى أصبح يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء، كالسراب يظنه الرائي ماء
وليس بماء.
قال الطبري: "صارت الجبال بعد نسفها هباء منبثاً لعين الناظر، كالسراب الذي يظنه من
يراه ماء وهو في الحقيقة هباء"⁽⁴⁾.
وإن الحكمة من سير الجبال، الإنذار والإعلام بأن لا رجوع ولا عودة إلى الدنيا؛ وذلك
لأن الأرض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك إنما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع
بني آدم بذلك، فلما لم يبق لهم عودة إليها أزالها الله تعالى، وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة.

(1) سورة التكويد آية 3.

(2) سورة النبأ آية 20.

(3) جامع الأحكام: القرطبي، (176/19).

(4) جامع البيان: الطبري، (402/12).

المطلب الثاني وراثه الله لها

إن هذه الأرض سيتغير نظامها كما سبق يوم القيامة، ويعود ميراثها لخالقها ومبدعها والتفصيل كما يلي:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾⁽¹⁾ ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ﴾
"فيه قولان: أحدهما أنه تعالى له ملك جميع ما يقع من إرث في السموات والأرض، وإنه هو المالك له حقيقة، فكل ما يحصل لمخلوقاته مما ينسب إليهم ملكه هو مالكة حقيقة".

الثاني: أنه أخبر بفناء العالم، وأن جميع ما يخلفونه فهو وراثته وهو خطاب على ما يفهم البشر، دل على فناء الجميع، وأنه لا يبقى مالك إلا الله، وإن كان ملكه على كل شيء لم يزل⁽²⁾.

والميراث في الأصل هو ما يخرج من مالك إلى آخر ولم يكن مملوكاً لذلك الآخر قبل انتقاله إليه بالميراث، ومعلوم إن الله سبحانه هو المالك بالحقيقة لجميع مخلوقاته؛ وذلك لأنه يوم القيامة سيذهب جميع ما في الأرض ولا يبقى سوى وجهه الكريم، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾⁽³⁾، ففي هذه الآية يخبر الله تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعين، وكذلك أهل السموات، إلا من شاء الله، ولا يبقى سوى وجهه الكريم، فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً...

وأيضاً ما يدل على أن الله يرث السموات والأرض قوله: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽⁴⁾، وأيضاً ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾⁽⁵⁾، في هاتين الآيتين بيان أن الخلق كلهم يهلكون ويبقى الله تعالى وتقدس، ولا أحد يدعي ملكاً ولا تصرفاً، بل هو الوارث لجميع خلقه الباقي بعدهم الحاكم فيهم، فلا تظلم نفس شيئاً، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته⁽⁶⁾.

(1) سورة آل عمران آية 180.

(2) انظر: جامع الأحكام: القرطبي، (293/4)؛ وفتح القدير: الشوكاني، (509/1)؛ وبحر المحيط: لأبي حيان، (134/3).

(3) سورة الرحمن آية 26-27.

(4) سورة الحديد آية 10.

(5) سورة مريم آية 40.

(6) انظر: جامع البيان: الطبري، (346/8)؛ تفسير العظيم: ابن كثير، (250/9)؛ في رحاب التفسير: كشك: (2324/3).

وقال ابن أبي حاتم: كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عبدالرحمن صاحب الكوفة، أما بعد؛ فإن الله كتب على خلقه حين خلقهم الموت فجعل مصيرهم إليه، وقال فيما أنزل من كتابه الصادق الذي حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على خلقه أنه يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون⁽¹⁾.

وهذا كله يدل على أن الله هو المالك لكل شيء، وهذا يعني أن من يملك أي شيء لا يكون أكثر من وصي على هذه الممتلكات التي تعود في الواقع إلى الله الواحد؛ لذلك على الملوك اليوم أن يدركوا أن هذا الملك ليس دائماً لهم، بل هو زائل فلا يتفاخروا ولا يفسدوا في الأرض.

(1) الدر المنثور: البيضاوي، (220/4)

الخاتمة

موجز الرسالة وأهم نتائجها

التمهيد:

تناول التمهيد تعريف الأرض في اللغة، وعند المتكلمين والحكماء ومعناها في الاصطلاح العلمي، وأيضاً تناول الاستعمالات القرآنية للفظ الأرض مع استعراض المواضع التي وردت فيها هذه الاستعمالات القرآنية.

نتائج التمهيد:

1. للأرض ثلاثة أصول في اللغة العربية، أصلان لا ينفاسان: الزكمة والرعدة، وأصل يتفرع هو : كل شيء يسفل ويقابل السماء.
2. الأرض لم تذكر في القرآن إلا مفردة، والسبب في ذلك ليكون لظاهر الآيات معنى مناسب وملائم لعقول عامة الناس.
3. تتلخص الحكمة في تفرع آيات الأرض في سور من القرآن؛ لأن أسلوب القرآن يتميز بالربط والمزج، وأيضاً لو تم جمعها لأصبح الأمر عسيراً في فهمها.
4. استعمل القرآن لفظ الأرض على واحد وعشرين وجهاً لكل منها معناه الخاص، ومنها: معنى الكرة الأرضية، وأيضاً بمعنى الجنة وأيضاً بمعنى تراب القبر، وبمعنى الأرضين السبع، والأرض المقدسة ... الخ.

الفصل الأول:

هو صلب الرسالة، وتناولت الحديث فيه عن صفة خلق الأرض وتسخيرها للإنسان، وحصرت ذلك في معرفة صفة خلق الأرض من حيث نشأتها، ومراحل تكوينها وكرويتها وجاذبيتها، وحركة الأرض ودورانها ووسعها، وتناولت أيضاً عوامل الحياة على الأرض متمثلة في الهواء والماء والغذاء، وتحدثت أيضاً عن الثروة المعدنية وما تحمل في أعماقها من كنوز.

نتائج هذا الفصل:

1. إن القرآن الكريم لم يصرح ما هو أصل الأرض، كما صرح بأن أصل السماوات هو الدخان.
2. ثبت أن الأرض خلقت قبل السماوات ثم دحيت.
3. من حكمة الله أن خلق الأرض في مراحل عدة ليتعلم الناس التآني.

4. إن كل مخلوق في الأرض يتحدث بلغة خاصة به.
5. بيان أن الأرض بيضاوية الشكل.
6. إن الجاذبية هي السبب في بقاء الإنسان على الأرض وثباته وعدم طيرانه في الفضاء.
7. الجبال تجعل الأرض متوازنة وغير مضطربة أو مائلة.
8. إن الأرض لها طبقات سبع، كما للسماء طبقات سبع.
9. إن الهواء بمثابة الروح للأحياء التي تعيش على الأرض.
10. إن الماء أصل الحياة على الأرض.
11. الله ﷻ سنن ثابتة لا تتغير ما دامت الحياة مثل سنة الله في الإنبات.
12. إن العلم الحديث لم يكتشف بعد كل تفاصيل الحقائق الجغرافية والجيولوجية والفلكية وذلك في قوله تعالى : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ (الرحمن:35)
13. إن الأرض لها بداية في خلقها، ولها نهاية لخلقها يوم القيامة.
14. إن الأرض كانت متصلة بالسموات ثم انفصلت عنها.

الفصل الثاني:

تحدثت فيه عن بدء الحياة على الأرض وحكمة ذلك، وحصرت ذلك في بدء الحياة على الأرض سواء بدء حياة النبات أو الحيوان، أو بدء حياة الجن أو بدء حياة الإنسان وأيضاً تحدثت فيه عن عمارة الأرض واستخلاف الصالحين لها، وختمت هذا الفصل بذكر عوامل فساد الأرض والمضار المترتبة عن هذا الفساد، وأسباب وعوامل إصلاح الأرض والمنافع المترتبة عن هذا الإصلاح.

نتائج هذا الفصل:

1. تهيئة الأرض لتكون صالحة للسكنى قبل خلق الإنسان.
2. إن الجن خلقوا قبل خلق سيدنا آدم عليه السلام.
3. الجن خلقوا من نار، والإنس خلق من طين.
4. حكمة خلق الإنسان على الأرض تتلخص في العبادة والاستخلاف والعمارة.
5. من إكرام الله للإنسان استخلافه في الأرض.

6. إن العبادة والعمل الصالح ثمن للتمكنين في الأرض.
7. العمل بالقرآن الكريم يحفظ الإنسان من مخاطر الفساد، ويزرع في نفسه عوامل الصلاح.

الفصل الثالث:

تناولت فيه أحوال الأرض ونهايتها، وتحدثت فيه عن عقاب الأقوام بالأرض (بالقلب والخسف) وأيضاً تحدثت عن صلاح الأرض للحياة إلى يوم القيامة، وتناولت فيه صفة وهيئة الأرض يوم القيامة، وأنهيت الفصل بوراة الله لهذا العالم بعد الفناء.

نتائج هذا الفصل:

1. الأرض الممهدة المذللة التي تمدنا بالخيرات والبركات، من الأدوات التي يعذب الله بها.
2. إن هذا الكون مسخر للإنسان وصلاح للحياة منذ خلق آدم عليه السلام إلى يوم قيام الساعة.
3. الأرض تشهد على الناس بما عملوا عليها من خير ومن شر.
4. الله جل ثناؤه الوارث الوحيد للأرض وما عليها يوم القيامة.

التوصيات:

1. أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله ﷻ.
 2. أوصي طلبة قسم علم التفسير وعلوم القرآن بالاهتمام بالتفسير الموضوعي.
 3. أوصي طلبة العلم المتخصصين أن يتناولوا ببحث ماجستير موضوع (السموات في ضوء القرآن) دراسة تفسيرية.
 4. أوصي المتخصصين في العلوم الكونية الرجوع إلى القرآن وتفسيره العلمي ليستفيدوا من الإعجاز العلمي الوارد فيه.
- وبعد فلا يفوتني في آخر هذه الخاتمة أن أثنى بالحمد للمولى -تبارك وتعالى- على عظيم نعمه المتتابة، وأسأله تبارك وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجزل المثوبة لكل من أعان على إتمامه وإخراجه بهذه الصورة.
- وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الفهارس

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً : فهرس الأعلام.

رابعاً : فهرس المراجع

خامساً : فهرس الموضوعات.

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------------------|-------|---|
| سورة البقرة | | |
| 75 | 19 | ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ...﴾ |
| 16 | 21 | ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ...﴾ |
| 116 ، 239 | 22 | ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا...﴾ |
| 220 | 25 | ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ |
| 124 | 26 | ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا...﴾ |
| 199 | 27 | ﴿الَّذِينَ يَبْقِضُونَ عَهْدَ اللَّهِ...﴾ |
| 238 ، 26 | 29 | ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ...﴾ |
| 167 ، 163 ، 157 | 30 | ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ...﴾ |
| 164 | 33 | ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ...﴾ |
| 196 ، 195 | 34 | ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا...﴾ |
| 164 ، 162 | 35 | ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ...﴾ |
| 240 | 36 | ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ...﴾ |
| 164 | 36 | ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا...﴾ |
| 125 | 54 | ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ...﴾ |
| 67 | 57 | ﴿وَوَضَعْنَا عَلَىٰكُمْ الْعِمَامَ...﴾ |
| 78 ، 77 | 60 | ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ...﴾ |
| 115 ، 5 | 61 | ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتَبِئُ الْأَرْضُ...﴾ |
| 125 | 70 | ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ...﴾ |
| 111 | 71 | ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ...﴾ |
| 85 | 74 | ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ...﴾ |
| 47 | 115 | ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ...﴾ |
| 63 ، 57 ، 16 | 164 | ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ...﴾ |
| 125 | 173 | ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ...﴾ |
| 204 | 183 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|----------------------|---------|--|
| 206 | 197 | ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ...﴾ |
| 198 ، 169 | 206-204 | ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ...﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ...﴾ |
| 188 | 219 | ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ...﴾ |
| 172 | 250 | ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ...﴾ |
| 119 | 261 | ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ...﴾ |
| 72 | 264 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ |
| 111 ، 109 ، 72 | 265 | ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ...﴾ |
| 182 | 279-275 | ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا...﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا...﴾ |
| 205 | 277 | ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ |
| 205 ، 203 | 277 | ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ |
| سورة آل عمران | | |
| 144 | 14 | ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ...﴾ |
| 44 | 27 | ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ...﴾ |
| 248 | 53 | ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ...﴾ |
| 174 | 83 | ﴿فَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ...﴾ |
| 174 | 85 | ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ...﴾ |
| 7 | 91 | ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا...﴾ |
| 207 ، 201 | 104 | ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ...﴾ |
| 209،207 | 110 | ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ...﴾ |
| 192 | 125 | ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا...﴾ |
| 182 | 130 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا...﴾ |
| 229 ، 14 | 137 | ﴿فَدَخَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾ |
| 192 | 152 | ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ...﴾ |
| 201 ، 144 | 159 | ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ...﴾ |
| 255 | 180 | ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ...﴾ |
| سورة النساء | | |
| 162 | 1 | ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------------|----------|--|
| 8 | 42 | ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ |
| 209 | 58 | ﴿وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ...﴾ |
| 178 | 59 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا...﴾ |
| 213 k 212 k 211 | 65 | ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ...﴾ |
| 96 | 79 | ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ...﴾ |
| 9 | 97 | ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ...﴾ |
| 49 k 10 | 97 | ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً...﴾ |
| 49 k 10 | 100 | ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ...﴾ |
| 14 | 101 | ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ |
| 68 | 102 | ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ...﴾ |
| 224 k 209 | 135 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ...﴾ |
| 180 | 139- 138 | ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ...﴾ إلى قوله... ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ...﴾ |
| 244 k 243 | 159 | ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾ |
| 182 | 161 | ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ...﴾ |
| سورة المائدة | | |
| 131 | 1 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...﴾ |
| 222 | 2 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا...﴾ |
| 173 | 3 | ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ |
| 223 ، 209 | 8 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ...﴾ |
| 223 k 219 | 9 | ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ |
| 9 | 26 | ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ...﴾ |
| 164 k 124 | 31-27 | ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ...﴾ إلى قوله ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ...﴾ |
| 199 k 13 | 33 | ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ...﴾ |
| 190 | 38 | ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا...﴾ |
| 202 | 44 | ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾ |
| 213 k 212 | 50 | ﴿أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------------|-------|---|
| 180 | 51 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا...﴾ |
| 181 | 52 | ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾ |
| 212 k 208 | 79-78 | ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ إلى قوله ﴿كَانُوا لَا يَتَّاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ...﴾ |
| 188 | 90 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ...﴾ |
| 190 k 188 | 91 | ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ...﴾ |
| 93 | 96 | ﴿أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ...﴾ |
| 208 | 105 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ...﴾ |
| سورة الأنعام | | |
| 85 | 6 | ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا...﴾ |
| 229 | 11 | ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ |
| 123 | 38 | ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ...﴾ |
| 75 | 44 | ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ...﴾ |
| 69 | 59 | ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ...﴾ |
| 24 | 73 | ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ...﴾ |
| 114 | 96-95 | ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ...﴾ |
| 116 | 99 | ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ...﴾ |
| 96 | 130 | ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالنَّاسِ أَلَمْ...﴾ |
| 116 | 141 | ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ...﴾ |
| 24 | 143 | ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّئَانِ...﴾ |
| 124 | 144 | ﴿وَمِنَ الْأَبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ...﴾ |
| 210 k 186 k 185 | 152 | ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ...﴾ |
| سورة الأعراف | | |
| 124 | 40 | ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا...﴾ |
| 221 | 43 | ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ...﴾ |
| 28 | 54 | ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------------|-------|---|
| 43 k 42 | 54 | ﴿يَغْشَى اللَّيْلَ...﴾ |
| 71 k 60 k 59 | 57 | ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا...﴾ |
| 230 k 229 | 81-80 | ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً...﴾ |
| 69 | 84 | ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا...﴾ |
| 75 | 96 | ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى...﴾ |
| 5 | 110 | ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ...﴾ |
| 225 k 11 | 128 | ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا...﴾ |
| 11 | 129 | ﴿قَالُوا أَوْدِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا...﴾ |
| 10 | 137 | ﴿وَأُورَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا...﴾ |
| 195 | 146 | ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ...﴾ |
| 78 k 67 | 160 | ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَابًا...﴾ |
| 93 | 163 | ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ...﴾ |
| 160 | 179 | ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا...﴾ |
| سورة الأنفال | | |
| 102 | 11 | ﴿إِذْ يُغَشِّبِكُمُ النَّعَاسَ آمِنَةً مِنْهُ...﴾ |
| 217 | 45 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ...﴾ |
| 191 | 46 | ﴿وَلَا تَتَّزَعُوا فِتَقَشُلُوا...﴾ |
| سورة التوبة | | |
| 180 | 23 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا...﴾ |
| 211 k 143 | 34 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ...﴾ |
| 211 k 143 | 35 | ﴿يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ |
| 207 | 71 | ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾ |
| 207 | 122 | ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا...﴾ |
| سورة يونس | | |
| 54 | 22 | ﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾ |
| 194 | 23 | ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|-------------------|-------|---|
| 49 | 24 | ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ...﴾ |
| 220 | 26 | ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ...﴾ |
| سورة هود | | |
| 31 | 7 | ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ...﴾ |
| 219 | 11 | ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ |
| 167 | 61 | ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ...﴾ |
| 13 | 64 | ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ...﴾ |
| 231 | 78 | ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ...﴾ |
| 230 | 79 | ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ...﴾ |
| 231 | 82 | ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا...﴾ |
| 231 | 83 | ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ...﴾ |
| 234 | 96 | ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ...﴾ |
| 234 | 97 | ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ...﴾ |
| 204 | 114 | ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ...﴾ |
| 198 | 116 | ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ...﴾ |
| 198 | 117 | ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ...﴾ |
| سورة يوسف | | |
| 5 | 9 | ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا...﴾ |
| 82 | 15 | ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا...﴾ |
| 82 | 19 | ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا...﴾ |
| 11 | 55 | ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ...﴾ |
| 11 | 56 | ﴿وكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ...﴾ |
| سورة الرعد | | |
| 37 | 2 | ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ...﴾ |
| 239 k 117 k 85 | 3 | ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ...﴾ |
| 108 | 4 | ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ...﴾ |
| 65 | 12 | ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------------|-------|---|
| 87 k 142 k 113 | 17 | ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ...﴾ |
| 220 k 217 | 29 | ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ...﴾ |
| 10 k 5 | 41 | ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا...﴾ |
| سورة إبراهيم | | |
| 94 k 86 | 32 | ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ...﴾ |
| 247 k 15 | 48 | ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ...﴾ |
| سورة الحجر | | |
| 40 | 19 | ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا...﴾ |
| 109 | 21 | ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا...﴾ |
| 113 k 55 k 53 | 22 | ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ...﴾ |
| 159 | 27 | ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ...﴾ |
| 161 | 28 | ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ...﴾ |
| 161 | 29 | ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ...﴾ |
| 162 | 31 | ﴿إِلَّا إِلِيلِيسَ أَبِي أَنْ يُكُونَ...﴾ |
| 162 | 34 | ﴿قَالَ فَاخْرُجْ...﴾ |
| 162 | 35 | ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ...﴾ |
| 163 k 160 | 42 | ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ...﴾ |
| 163 | 44 | ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ...﴾ |
| سورة النحل | | |
| 128 | 8-5 | ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ...﴾ إلى قوله ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ...﴾ |
| 105 | 10 | ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ...﴾ |
| 95 ، 94 ، 92 | 14 | ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ...﴾ |
| 87 | 15 | ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ...﴾ |
| 235 | 45 | ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ...﴾ |
| 127 ، 124 | 66 | ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ...﴾ |
| 188 | 67 | ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ...﴾ |
| 126 | 68 | ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------------|-------|--|
| 129 | 69 | ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ...﴾ |
| 38 | 79 | ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ...﴾ |
| 128 | 80 | ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ...﴾ |
| 215 | 97 | ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى...﴾ |
| 201 | 125 | ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ...﴾ |
| سورة الإسراء | | |
| 187 | 32 | ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنَى...﴾ |
| 160 | 64 | ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ...﴾ |
| 94 | 66 | ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ...﴾ |
| 56,35 | 68 | ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ...﴾ |
| 56 | 69 | ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ...﴾ |
| 170 ، 164 | 70 | ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾ |
| 145 | 93 | ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ...﴾ |
| سورة الكهف | | |
| 50 | 7 | ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ...﴾ |
| 125 | 18 | ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ...﴾ |
| 144 | 31 | ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ...﴾ |
| 84 | 41 | ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا...﴾ |
| 158 | 50 | ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا...﴾ |
| 92 | 61 | ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا...﴾ |
| 95 | 79 | ﴿أَمَّا السَّقِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ...﴾ |
| 79 | 86 | ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ...﴾ |
| 242 | 96-94 | ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ...﴾ إلى قوله ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ...﴾ |
| 242 ، 135 | 97 | ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ...﴾ |
| 242 ، 135 | 98 | ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي...﴾ |
| سورة مريم | | |
| 255 | 40 | ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|----------------------|-------|---|
| 218 | 96 | ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا...﴾ |
| سورة طه | | |
| 141 | 6 | ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ |
| 240 | 21 | ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ...﴾ |
| 118 | 53 | ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا...﴾ |
| 246 | 55 | ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ...﴾ |
| 253 | 105 | ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ...﴾ |
| 164 | 121 | ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ...﴾ |
| 222 | 132 | ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ...﴾ |
| سورة الأنبياء | | |
| 163 | 27 | ﴿لَا يَسْتَفِيقُونَهُ بِالْقَوْلِ...﴾ |
| 10، 63، 19 | 30 | ﴿أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ |
| 229 | 71 | ﴿وَنَجِّنَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ...﴾ |
| 241 | 97-96 | ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ...﴾ |
| 225، 172، 16، 7 | 105 | ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ...﴾ |
| سورة الحج | | |
| 250 | 1 | ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ...﴾ |
| 110، 99، 16 | 5 | ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً...﴾ |
| 123 | 18 | ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ...﴾ |
| 134 | 21 | ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ...﴾ |
| 145 | 23 | ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ |
| 127 | 36 | ﴿وَالْبُذُنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ...﴾ |
| 127 | 37 | ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا...﴾ |
| 173 | 41 | ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ |
| 81 | 45 | ﴿فَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا...﴾ |
| 100 | 46 | ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|------------------------------|-------|--|
| 154 ، 30 | 47 | ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ...﴾ |
| 141 ، 238 ، 138 | 65 | ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ...﴾ |
| سورة المؤمنون | | |
| 83 | 18 | ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾ |
| 119 | 19 | ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ...﴾ |
| 119 | 20 | ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ...﴾ |
| 128 | 21 | ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً...﴾ |
| 128 | 22 | ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ...﴾ |
| سورة النور | | |
| 187 | 2 | ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا...﴾ |
| 121 | 35 | ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ |
| 74 ، 65 ، 61 | 43 | ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي...﴾ |
| 43 | 44 | ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...﴾ |
| 23 ، 99 | 45 | ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ...﴾ |
| 210 | 48 | ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ...﴾ |
| 176 | 54 | ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾ |
| 225 ، 173 ، 171 ، 167 ، 8 | 55 | ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ...﴾ |
| سورة الفرقان | | |
| 102 ، 55 | 48 | ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ...﴾ |
| 104 ، 103 | 49 | ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ...﴾ |
| 104 ، 89 | 53 | ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ...﴾ |
| 99 | 54 | ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ...﴾ |
| 187 | 67 | ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ...﴾ |
| 218 ، 187 | 68 | ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ...﴾ |
| 218 | 69 | ﴿يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ |
| 218 | 70 | ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|----------------------|---------|--|
| سورة الشعراء | | |
| 115 | 9-7 | ﴿أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ إِلَى الْأَرْضِ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ...﴾ |
| 80 | 134-132 | ﴿وَأَتَقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَجَنَّاتٍ وَعَيْونٍ...﴾ |
| 81 | 148-146 | ﴿أَتَنْزَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا...﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ...﴾ |
| سورة النمل | | |
| 125 | 18 | ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ...﴾ |
| 124 | 20 | ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا...﴾ |
| 240 ، 86 | 61 | ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا...﴾ |
| 229 | 69 | ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ |
| 235 | 82 | ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ...﴾ |
| 240 | 82 | ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ...﴾ |
| 46 ، 45 | 88 | ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا...﴾ |
| سورة القصص | | |
| 11 | 4 | ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ...﴾ |
| 167 ، 11 | 5 | ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ |
| 11 | 6 | ﴿وَنُمكنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ |
| 167 ، 11 | 39 | ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ...﴾ |
| 197 | 40 | ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ...﴾ |
| 233 | 82-76 | ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ...﴾ |
| 234 | 81 | ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ...﴾ |
| 169 | 83 | ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ...﴾ |
| سورة العنكبوت | | |
| 122 ، 218 | 7 | ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ |
| 156 | 20 | ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ |
| 230 | 29-28 | ﴿وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------------------|-------|--|
| 233 | 39 | ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ...﴾ |
| 235 | 40 | ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ..﴾ |
| 125 | 41 | ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا...﴾ |
| 25 | 44 | ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ...﴾ |
| 49 | 56 | ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ |
| 48 | 57 | ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ...﴾ |
| سورة الروم | | |
| 12 | 2 | ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ...﴾ |
| 12 | 3 | ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ...﴾ |
| 167 | 9 | ﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ |
| 182 | 39 | ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا...﴾ |
| 198 | 41 | ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ...﴾ |
| 60 | 46 | ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ...﴾ |
| 74 ، 64 ، 54 | 48 | ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ...﴾ |
| 71 ، 70 | 49 | ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ...﴾ |
| 102 ، 71 | 50 | ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ﴾ |
| سورة لقمان | | |
| 201 | 17 | ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ...﴾ |
| 128 | 19 | ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ...﴾ |
| 238 | 20 | ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ...﴾ |
| 44 | 29 | ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ...﴾ |
| 70 ، 69 ، 15 | 34 | ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ...﴾ |
| سورة السجدة | | |
| 154 | 5 | ﴿ثُمَّ يَعْزُجُ إِلَيْهِ فِي...﴾ |
| 220 | 17 | ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا...﴾ |
| 84 | 27 | ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------------|---------|---|
| سورة الأحزاب | | |
| 56 | 9 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا...﴾ |
| 12 | 27 | ﴿وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ...﴾ |
| 161 | 72 | ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى...﴾ |
| سورة سبأ | | |
| 235 ، 38 | 9 | ﴿إِن نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ...﴾ |
| 140 ، 135 | 10 | ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا...﴾ |
| 140 ، 138 | 12 | ﴿وَالسَّلِيمَانَ الرِّيحَ غُدُوها...﴾ |
| 196 | 32-31 | ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ إلى قوله ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا...﴾ |
| سورة فاطر | | |
| 95 ، 93 ، 92 ، 91 | 12 | ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا...﴾ |
| سورة يس | | |
| 79 ، 78 | 34 | ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ...﴾ |
| 78 | 35 | ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا...﴾ |
| 118 | 36 | ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ...﴾ |
| 44 | 37 | ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ...﴾ |
| 43 | 40 | ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا...﴾ |
| 150 ، 122 | 80 | ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ...﴾ |
| 33 | 82 | ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا...﴾ |
| سورة الصافات | | |
| 95 | 140 | ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ...﴾ |
| 92 | 142 | ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ...﴾ |
| 119 | 145 | ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ...﴾ |
| 119 | 146 | ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً...﴾ |
| 175 | 173-171 | ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا...﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|----------------------------|-------|---|
| سورة ص | | |
| 211 | 26 | ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ...﴾ |
| 25 | 27 | ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ...﴾ |
| 162 | 73 | ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ...﴾ |
| 162 | 75 | ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ...﴾ |
| 162 | 81-80 | ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ...﴾ |
| سورة الزمر | | |
| 42 ، 34 | 5 | ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ...﴾ |
| 44 | 5 | ﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ...﴾ |
| 247 | 68 | ﴿وَنَفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ...﴾ |
| 9 | 69 | ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورٍ...﴾ |
| 225 ، 8 | 74 | ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ...﴾ |
| سورة غافر | | |
| 71 | 13 | ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ...﴾ |
| 11 | 29 | ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ...﴾ |
| 12 | 46 | ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا...﴾ |
| 240 | 46 | ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ...﴾ |
| 95 | 80 | ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا...﴾ |
| سورة فصلت | | |
| 154 ، 30 ، 29 ، 26 ، 21 | 12-9 | ﴿قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ...﴾ |
| 33 ، 32 | 29 | ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ...﴾ |
| 139 ، 154 ، 24 | 11 | ﴿لَتُنْتَبِئَنَّ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا...﴾ |
| 16 | 39 | ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ...﴾ |
| سورة الشورى | | |
| 179 | 10 | ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ...﴾ |
| 70 ، 69 | 28 | ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------------|-------|---|
| 222 | 40-36 | ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ...﴾ إلى قوله ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا...﴾ |
| 193 | 43-41 | ﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ...﴾ |
| سورة الزخرف | | |
| 239 ، 37 | 10 | ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا...﴾ |
| 241 | 10 | ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾ |
| 49 | 10 | ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ |
| 145 | 35-33 | ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعٌ...﴾ |
| 243 | 61 | ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ |
| سورة الدخان | | |
| 33 ، 32 | 29 | ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ...﴾ |
| 25 | 39-38 | ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ |
| سورة الجاثية | | |
| 71 | 5 | ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ |
| 238 | 13 | ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ...﴾ |
| 25 | 22 | ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ |
| سورة الأحقاف | | |
| 25 | 3 | ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ |
| 68 | 24 | ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ...﴾ |
| سورة محمد | | |
| 218 ، 217 | 2 | ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ |
| سورة الحجرات | | |
| 194 | 9 | ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ |
| 222 | 10 | ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|----------------------|-------|---|
| سورة ق | | |
| 239 ، 34 | 7 | ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا...﴾ |
| 134 | 22 | ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ...﴾ |
| 32 ، 28 | 38 | ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ...﴾ |
| سورة الذاريات | | |
| 54 | 1 | ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا...﴾ |
| 67 ، 54 | 2 | ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا...﴾ |
| 54 | 3 | ﴿فَالجَّارِيَاتِ يُسرًا...﴾ |
| 54 | 4 | ﴿فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا...﴾ |
| 155 | 20 | ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ...﴾ |
| 71 | 22 | ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ...﴾ |
| 239 ، 117 | 48 | ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ...﴾ |
| 117 | 49 | ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ...﴾ |
| 160 | 56 | ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ...﴾ |
| سورة الطور | | |
| 253 | 9 | ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ...﴾ |
| 65 | 44 | ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ...﴾ |
| سورة القمر | | |
| 81 | 11 | ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ...﴾ |
| 81 | 12 | ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا...﴾ |
| 85 ، 84 | 54 | ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ...﴾ |
| سورة الرحمن | | |
| 238 | 10 | ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا...﴾ |
| 159 | 15 | ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ...﴾ |
| 47 | 17 | ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ...﴾ |
| 95 | 22 | ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ...﴾ |
| 38 ، 137 | 35 | ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------------|-------|---|
| 79 | 50 | ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ...﴾ |
| 148 | 58-56 | ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ...﴾ إلى قوله ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ...﴾ |
| 121 ، 120 | 68-62 | ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ...﴾ إلى قوله ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَّانٌ...﴾ |
| 79 | 66 | ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ...﴾ |
| سورة الواقعة | | |
| 253 | 6-4 | ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا...﴾ |
| 220 | 30 | ﴿وَوَظِلٌّ مَمْدُودٌ...﴾ |
| 65 ، 60 | 70-68 | ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي...﴾ إلى قوله ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا...﴾ |
| 150 ، 122 | 71 | ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ...﴾ |
| 150 ، 122 | 72 | ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ...﴾ |
| سورة الحديد | | |
| 255 | 10 | ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ...﴾ |
| 201 | 21 | ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ |
| 210 ، 135 | 25 | ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ...﴾ |
| 69 | 20 | ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ...﴾ |
| سورة الصف | | |
| 175 | 8 | ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ...﴾ |
| 175 | 9 | ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى...﴾ |
| سورة الجمعة | | |
| 83 | 1 | ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ...﴾ |
| 14 | 10 | ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا...﴾ |
| 145 | 11 | ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا...﴾ |
| سورة الطلاق | | |
| 50 ، 8 ، 6 | 12 | ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ...﴾ |
| سورة التحريم | | |
| 221 ، 162 | 6 | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------|-------|---|
| سورة الحاقة | | |
| 56 | 6 | ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ...﴾ |
| سورة المعارج | | |
| 252 | 9 | ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ...﴾ |
| 47 | 40 | ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ...﴾ |
| سورة الجن | | |
| 75 | 16 | ﴿وَالْوِاسْتِقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ...﴾ |
| سورة المزمل | | |
| 47 | 9 | ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...﴾ |
| 252 | 14 | ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ...﴾ |
| سورة الإنسان | | |
| 165 | 1 | ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ...﴾ |
| 79 ، 77 | 6 | ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ...﴾ |
| 147 | 13 | ﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ...﴾ |
| 147 | 16-15 | ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا...﴾ |
| سورة المرسلات | | |
| 55 | 1 | ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا...﴾ |
| 55 | 2 | ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا...﴾ |
| 55 | 3 | ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا...﴾ |
| 55 | 4 | ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا...﴾ |
| 55 | 6-5 | ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا...﴾ إلى قوله تعالى ﴿عُدْرًا أَوْ نُذْرًا...﴾ |
| 57 | 14 | ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفُصْلِ...﴾ |
| 273 | 26-25 | ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا...﴾ |
| سورة النبأ | | |
| 239 ، 40 | 6 | ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا...﴾ |
| 40 | 7 | ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|---------------|-------|--|
| 74 ، 75 ، 74 | 14 | ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا...﴾ |
| 254 | 20 | ﴿وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا...﴾ |
| سورة النازعات | | |
| 249 | 6 | ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ...﴾ |
| 249 | 7 | ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ...﴾ |
| 25 | 33-27 | ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا...﴾ إلى قوله ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ |
| 36 | 31-30 | ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ |
| سورة عبس | | |
| 115 | 32-24 | ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ...﴾ إلى قوله تعالى ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ...﴾ |
| سورة الانفطار | | |
| 39 | 1 | ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ...﴾ |
| 39 | 2 | ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ...﴾ |
| سورة المطففين | | |
| 184 | 1 | ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ...﴾ |
| 185 | 4 | ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ...﴾ |
| 185 | 5 | ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ...﴾ |
| 185 | 6 | ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾ |
| سورة الطارق | | |
| 89 ، 72 | 11 | ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ...﴾ |
| سورة الغاشية | | |
| 126 ، 124 | 17 | ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ...﴾ |
| 240 ، 35 | 20 | ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ...﴾ |
| سورة الزلزلة | | |
| 249 | 1 | ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا...﴾ |
| 249 | 2 | ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا...﴾ |

| الصفحة | رقمها | الآية |
|--------------|-------|---|
| 250 | 6-4 | ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا...﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا...﴾ |
| سورة العصر | | |
| 208 | 2-1 | ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ...﴾ |
| سورة الفيل | | |
| 124 | 1 | ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ...﴾ |
| سورة الماعون | | |
| 211 | 5-4 | ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ...﴾ |

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

| الصفحة | الراوي | طرف الحديث |
|---------|-------------------|---|
| 155، 29 | أبو هريرة | "أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي..." |
| 204 | عبد الله بن مسعود | "أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم..." |
| 220 | أبو هريرة | "أعددت لعبادي..." |
| 219 | أبو ذر | "اتبع السيئة..." |
| 183 | أبو هريرة | "اجتنبوا السبع الموبقات..." |
| 241 | عبد الله بن عمرو | "إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس..." |
| 131 | أسماء بنت أبي بكر | "إن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى..." |
| 220 | أبو هريرة | "إن في الجنة لشجرة يسير..." |
| 130 | جابر بن عبد الله | "إن كان في شيء من أدويتكم..." |
| 218 | أبو هريرة | "إن الله إذا أحب عبداً..." |
| 242 | أبو سعيد | "إن الله تعالى يقول : يا آدم. فيقول لبيك وسعديك..." |
| 161 | أبو هريرة | "إن الله خلق آدم بيده..." |
| 172 | ثوبان | "إن الله زوى..." |
| 216 | أنس | "إن الله عز وجل لا يظلم..." |
| 217 | أبو موسى | "إن الله ليملئ..." |
| 149 | عبد الله بن مسعود | "إن المرأة من نساء أهل الجنة..." |
| 210 | بريدة | "إن المقسطين..." |
| 213 | ثوبان | "إنما أخاف على أمتي..." |
| 160 | أبو هريرة | "إن النبي أمره أن يأتيه بأحجار..." |
| 224 | ابن عباس | "بعث معاذاً إلى اليمن..." |
| 211 | جابر بن عبد الله | "بين الرجل وبين الشرك..." |
| 64 | أبو هريرة | "بينما رجل بفلاة من الأرض..." |
| 106 | أبو هريرة | "بينما رجل يمشي بطريق..." |
| 236 | أبو هريرة | "بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته..." |
| 250 | أبو هريرة | "تلق الأرض أفلاذ كبدها..." |

| الصفحة | الراوي | طرف الحديث |
|--------------|------------------------|---|
| 105 | أبو هريرة | "ثلاثة لا يكلمهم الله..." |
| 51 | أبو هريرة | "خسف به إلى سبع أرضين..." |
| 159 | عائشة | "خلقت الملائكة من نور..." |
| 15 | عائشة | "سئل رسول الله عن قوله تعالى: 'يوم تبدل الأرض...'" |
| 175 | عبد الله بن عمر | "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: 'تقاتلون اليهود...'" |
| 206 | أبو هريرة | "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: 'من حج فلم يرفث...'" |
| 174 | خباب بن الأرت | "شكونا إلى رسول الله وهو متوسد..." |
| 251 | عائشة | "قرأ رسول الله هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها..." |
| 211 | عبد الله بن عمر | "القضاة ثلاثة: اثنان في النار..." |
| 106 | أنس | "كان يتنفس في الشراب..." |
| 15 | ثوبان مولى الرسول | "كنت قائماً عند رسول الله فجاء حبر..." |
| 131 | أبو هريرة | "لتؤدن الحقوق إلى أهلها..." |
| 183 | جابر بن عبد الله | "لعن الله آكل الربا..." |
| 158 | ابن عباس | "لقد أخرج الله آدم..." |
| 204 | ابن عباس | "لما أتى موسى قومه أمرهم بالزكاة..." |
| 216 | عمر | "لو أنكم توكلتهم..." |
| 165 | عبد الله بن مسعود | "لا تقتل نفساً ظالماً" |
| 190 | عائشة | "لا تقطع يد السارق..." |
| 105 | أبو هريرة | "لا يمنع فضل الماء..." |
| 223 ، 212 | ثوبان | "مثل القائم على حدود الله..." |
| 223 | ابن عمر رضي الله عنهما | "المسلم إذا كان..." |
| 118 | عمر | "من أحيا أرضاً..." |
| 208 | أبو سعيد | "من رأى منك منكرًا..." |
| 51 | عائشة | "من ظلم قيد شبر..." |
| 205 | أبو هريرة | "من لم يدع قول الزور..." |

| الصفحة | الراوي | طرف الحديث |
|--------|-------------------|---------------------------------|
| 56 | ابن عباس | "نصرت بالصبا..." |
| 106 | أبو قتادة | "فهي أن يتنفس..." |
| 176 | عقبة بن عامر | "وإني أعطيت مفاتيح..." |
| 244 | أبو هريرة | "والذي نفسي بيده ليوشكن..." |
| 179 | عبد الله بن مسعود | "وما لم تحكم أئمتهم..." |
| 186 | ابن عمر | "يا معشر المهاجرين خمس خصال..." |
| 248 | سهل بن سعد | "يحشر الناس يوم القيامة..." |

ثالثاً: فهرس تراجم الأعلام

| الصفحة | اسم العلم |
|--------|--|
| 174 | تميم بن أوس |
| 15 | ثوبان مولى الرسول صلى الله عليه وسلم |
| 242 | حذيفة بن اليمان |
| 174 | خباب بن الأرت |
| 2 | طفيل بن عوف بن كعب الغنوي |
| 181 | عبادة بن الصامت |
| 35 | عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خراذبة (أبو القاسم) |
| 14 | عراك بن الغفاري المدني |
| 35 | علي بن أحمد بن حزم (أبو محمد) |
| 26 | علي بن أحمد بن علي بن مثنوية الواحدي (أبو الحسن) |
| 22 | مجاهد بن جبر المكي المقرئ المفسر |
| 26 | مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (أبو الحسن) |

رابعاً: المراجع

أولاً: الكتب

1. الإتيقان في علوم القرآن:
جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار التراث، دون تاريخ.
2. الآثار والتاريخ:
الدكتور المهندس خالد فائق العبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2005م
3. أحكام القرآن:
محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي،
تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1422هـ -
2001م.
4. إحياء علوم الدين:
الإمام أبي حامد الغزالي، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، القاهرة - ط1425هـ، 2004م.
5. الأرض:
الدكتور المهندس خالد فائق العبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2005م
6. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:
للقاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، تحقيق: الشيخ محمد صبحي حسن
حلاق، دار الفكر، ط1، 1421هـ - 1421م.
7. أساس البلاغة:
جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة،
بيروت - لبنان. 1402هـ - 1982م.
8. الأساس في التفسير:
سعيد حوى، دار السلام، ط1، 1405هـ - 1985م.
9. الإسلام:
سعيد حوى، دار السلام، ط2، 1408هـ - 1988م.

10. إسلامنا:

السيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، دون تاريخ.

11. أساليب الغزو الفكري: للعالم الإسلامي.

الدكتور علي محمد جريشة، دار الاعتصام، القاهرة (مصر)، 1977م.

12. الإسلام يتحدي:

وحيد الدين خان، تعريف: ظفر الإسلام خان، تحقيق: د. عبد الصبور شاهين، دار البحوث العلمية، ط3، 1399هـ-1979م.

13. الأشباه والنظائر في القرآن:

مقاتل بن سليمان البلخي، دار غريب، 2001م.

14. أضواء البيان في إيضاح القرآن:

محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ط2، 1400هـ-1979م.

15. الإعجاز العلمي في الإسلام:

محمد كامل عبد الصمد، الدار المصرية اللبنانية، ط4، 1417هـ-1997م.

16. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

د. عبد السلام اللوح، آفاق غزة - فلسطين، ط1، 1419هـ-1999م.

17. الإعجاز العلمي والتاريخي في القرآن:

محمد محمود عبد الله، مكتبة الإيمان، ط1

18. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال:

خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط5، 1980.

19. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير:

أبي بكر جابر الجزائري، دار لينة، دون تاريخ.

20. الإيمان أركانه. حقيقته. نواقضه:

محمد نعيم يس، الطابعون جمعية عمان المطابع التعاونية، ط3، 1402هـ-1982م.

21. بحر العلوم:

لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، دار الكتب العلمية، بيروت-
لبنان، ط1، 1413هـ-1993م.

22. البحر المحيط:

محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي
محمد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1422هـ-2001م.

23. بدائع الفوائد

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر بابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي،
بيروت-لبنان، ط1، 1414هـ-1994م.

24. البرهان في علوم القرآن:

بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار التراث، دون تاريخ.

25. بصائر ذو التمييز في لطائف الكتاب العزيز:

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط2، 1406هـ-1986.

26. البيئة من منظور إسلامي:

صالح محمود وهبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2004م.

27. البيان في تفسير القرآن:

أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الزهراء، ط4، 1395هـ-1975م.

28. البداية والنهاية:

أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1422هـ-
2002م.

29. تاج العروس من جواهر القاموس:

محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، تحقيق: مصطفى حجازي، دار الهداية، 1408هـ-
1987م.

30. تاج اللغة وصحاح العربية:

إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، ط2، 1399هـ-1979م.

31. تاريخ الإنسانية وأبطالها:

محمد رضا، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط1، 1422هـ-2001.

32. التحرير والتنوير:

محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون- تونس، دون تاريخ.

33. التسهيل لعلوم التنزيل

محمد بن أحمد بن جزي الملكي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1415هـ-1995م.

34. التعريفات

أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1421هـ-2000م.

35. تفسير الآيات الكونية

عبد الله شحاتة، دار الاعتصام، ط1، 1400هـ-1980م.

36. تفسير الجلالين:

جلال الدين محمد بن أحمد المحلى والشيخ المتبحر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة العلوم الدينية، بيروت- لبنان، دون تاريخ.

37. تفسير الشعراوي:

محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، بدون تاريخ.

38. التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن:

حنفي أحمد، دار المعارف، ط3.

39. تفسير القرآن بالقرآن:

عبد الله شحاتة، دار غريب، 2000م.

40. تفسير القرآن العظيم:

عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى السيد محمد و محمد السيد رشاد وآخرون، مؤسسة قرطبة، ط1، 1421هـ-2000م.

41. تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين:

الإمام الحافظ عبد الرحمن بن إدريس الرازي، ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، دار الفكر، 1424هـ-2003م.

42. التفسير العلمي للقرآن في الميزان:

أحمد عمر أبون حجر، دار قتيبة، ط1، 1411هـ-1991م.

43. تفسير الكبير:

فخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، ط2.

44. تفسير مجاهد بن جبر:

تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديث، ط1، 1410هـ، 1989م.

45. تفسير المراغي:

محمد مصطفى المراغي، دار الفكر، دون تاريخ.

46. تفسير مقاتل بن سليمان البلخي:

الإمام أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2003م-1424هـ.

47. تفسير المنار:

محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط2.

48. تفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج:

وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 1991م.

49. تفسير الواضح:

محمد محمود حجازي، مطبعة الاستقلال الكبرى، ط6، 1381هـ-1969م.

50. التفسير والمفسرون:

محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، ط7، 1421هـ-2000م.

51. التكنولوجيا برهان على إعجاز القرآن:

محمود عبد المعطي أبو الرُّب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2003م-1424هـ.

52. توحيد الخالق:

عبد المجيد عزيز الزنداني، دار السلام، ط4، 1418هـ-1998م.

53. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم:

موريس بوكاي، ترجمة حسن خالد، المكتب الإسلامي، ط3، 1411هـ، 1990م.

54. تهذيب اللغة:

لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: د. عبد الحليم النجار، الدار المصرية، دون تاريخ.

55. الجامع لأحكام القرآن:

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار القلم، ط3، 1386هـ، 1966م.

56. جامع الأسئلة الفقهية على مذهب السادة الشافعية:

يوسف بن محمود الحاج أحمد، مكتبة الفارابي، ط1، 1999م - 1419هـ.

57. جامع البيان في تأويل القرآن:

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط3، 1420هـ-1999م.

58. الجواهر في تفسير القرآن الكريم:

طنطاوي جوهري، المكتبة الإسلامية، ط2، 1350هـ.

59. حواشي بن بري وابن ظفر على درة الغواص في أوهام الخواص:

للحريري، ط1، 1411هـ-1990م.

60. خزانة الأدب:

عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1409هـ-1989م.

61. خلق الأرض والسموات نظرات علمية ودينية:

د. علي السكري، دار الكتاب الحديث، 1422هـ-2001م.

62. خلق المسلم:

محمد الغزالي، دار البيان، الكويت، 1390هـ-1970م.

63. خير الدواء في الثوم والبصل:

أ.د. محمد محمود عبد الله، دار مكتبة الحياة، ط1، 1996م-1417هـ.

64. دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون:

عبد الله بن عبد القادر التليدي، دار ابن حزم، ط1، 1420هـ-1990م.

65. دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية:

دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط3، 1406هـ-1986م.

66. ديوان طفيل الغوي:

شرح الأصمعي، تحقيق: حسان فلاح أدغلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1997-1418هـ.

67. روائع البيان تفسير آيات الأحكام:

محمد علي الصابوني، دار عمر بن الخطاب، 1400هـ.

68. روح البيان في تفسير القرآن:

إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوي البروسيوي، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب، ط1، 2003م-1424هـ.

69. روح الدين الإسلامي:

عفيف عبد الفتاح طيارة، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط21، 1981م.

70. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:

أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار الفكر، بيروت-لبنان، دون تاريخ.

71. زاد المسير في علم التفسير:

أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط1، 1422هـ-2001م.

72. زاد المعاد:

ابن قيم الجوزية، مكتبة الصفا ط1، 1423هـ-2002م.

73. سبعون برهاناً علمياً على وجود الذات الإلهية:

ابن خليفة عليوي، دار الإيمان، ط3، 1408هـ-1988م.

74. سنن ابن ماجة:

أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجة، حكم على أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط1.

75. سنن الترمذي:

الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم على أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط1.

76. سير أعلام النبلاء:

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي؛ تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ-1985م.

77. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم:

العلامة نشوان بن سعيد الحميري، 1403هـ-1983م.

78. صحيح البخاري:

أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، 1419هـ-1998م.

79. صحيح مسلم:

للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار ابن رجب، ط1، 1422هـ-2002م.

80. صفوة التفاسير:

محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ط9.

81. صور من حياة ما قبل التاريخ:

زغلول راغب محمد النجار، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، 1978م.

82. الطب في القرآن الكريم والسنة المطهرة:

د. م. خالد فائق العبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2005-1426هـ.

83. الظواهر الجغرافية في القرآن الكريم من منظور تربوي:

فوزي الشربيني، عالم الكتب، ط1، 1419هـ-1998م.

84. عالم الجن والشياطين:

عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط15، 1423هـ-2002م.

85. عالم الحيوان بين العلم والقرآن:

أ. د. محمد محمود عبد الله، دار مكتبة الحياة، ط1، 1996م.

86. العظمة في كل مكان:

هارون يحيى، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.

87. العلوم الطبيعية في القرآن:

يوسف مروة، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1387هـ-1968م.

88. العلوم في القرآن:

د. محمد جميل الحبال، ومقداد مرعي الجوارى، دار النفائس، ط1، 1418هـ-1998م.

89. عوامل ارتقاء الأمم وانحدارها:

عودة سليمان أبو مصطفى، رسالة ماجستير، 2000، الجامعة الإسلامية

90. غرائب القرآن ورغائب الفرقان:

نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، دار الصفوة، ط1، 1995م.

91. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:

محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: هشام البخاري وخضر عكاري، مكتبة ابن تيمية، دون تاريخ.

92. الفصل في الملل والأهواء والنحل:

أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، دار المعرفة، ط2، 1395هـ-1975م.

93. في رحاب التفسير:

عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث، 1407هـ-1987م.

94. في ظلال القرآن:

سيد قطب، دار الشروق، ط9، 1400هـ-1980م.

95. القاموس المحيط:

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر، 1415هـ-1995م.

96. القرآن وإعجازه العلمي:

محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي، 1981م

97. القرآن والعمران:

أحمد خالد علام وأحمد كمال الدين عفيفي، دون تاريخ

98. القرآن والكون:

محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، ط3

99. قصص الأنبياء:

لابن جرير الطبري، تحقيق: جمال بدران، الدار المصرية اللبنانية، ط2، 1420هـ-2000م.

100. قصص الأنبياء:

أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن زرع القرشي، دار ابن الهيثم للنشر والتوزيع، القاهرة (مصر)، 2002م.

101. القصص القرآني:

أحمد الكبيسي، دار الكتاب الجامعي، 1423هـ-2003م.

102. القيامة الصغرى:

د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، ط2، 1421هـ-2000م.

103. كبرى اليقينيات الكونية:

محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ط1، 1389هـ-1969م.

104. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:

الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1415هـ-1995م.

105. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية:

لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، 1419هـ-1998م.

106. كوكب الأرض:

نيل كرتس - مايكل ألبي، دار العلم للملايين، ط1، 2002م.

107. الكون والإعجاز العلمي للقرآن:

منصور حسب النبي، دار الفكر العربي، بدون طبعة.

108. الكون والحياة بين العلم والدين:

عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1418هـ-1988م.

109. الكيمياء الحديثة في ضوء القرآن الكريم:

محمد صبحي السويركي، مكتبة اليازجي، غزة- فلسطين، دون تاريخ.

110. لباب التأويل في معاني التنزيل:

لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1375هـ-1955م.

111. لسان العرب:

جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.

112. الله والعلم الحديث:

عبد الرزاق نوفل، دار الشروق، ط1، 1410هـ-1990م.

113. ما دل عليه القرآن:

السيد محمود شكري الألوسي، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط2، 1418هـ-1997م.

114. الماء في القرآن الكريم:

فتحي عبد العزيز العبادسة، رسالة ماجستير، 1422هـ-2002م، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين.

115. المبصر لنور القرآن:

نائلة هاش صبري، مطبعة الرسالة المقدسة، ط1، 1418هـ-1997م، الجامعة الإسلامية-كلية أصول الدين.

116. مجاز القرآن:

أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تعليق: محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، مصر-القاهرة، دون تاريخ.

117. مجمع البيان في تفسير القرآن:

الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المخلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1412هـ-1992م.

118. مجمل اللغة:

لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا البغوي، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط2، 1406هـ-1986م.

119. محاسن التأويل:

محمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.

120. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:

القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، دار الكتاب الإسلامي، ط2.

121. مختار الصحاح:

محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، رتبه محمود خاطر، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.

122. مدارك التنزيل وحقائق التأويل:

عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس، ط1، 1416هـ-1996م.

123. المرام في المعاني والكلام:

مؤنس رشاد الدين، بيروت، ط1، 1420هـ-2000م.

124. المسالك والممالك:

لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة، تحقيق: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ-1988م.

125. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي:

أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، دار الفكر، دون تاريخ.

126. مظاهر كونية في معالم قرآنية:

أ. د. محمد محمود عبد الله، دار مكتبة الحياة، ط1، 1996م.

127. معالم التنزيل في التفسير والتأويل:

أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار الفكر، ط1، 1422هـ-2002م.

128. معالم الفلسفة الإسلامية نظرات في التصوف والكرامات:

محمد جواد مغنية، دار الجواد، بيروت، ط5، 1406هـ-1986م.

129. معاني السماء والأرض في القرآن الكريم:

أحمد الحوفي، مؤسسة الخليج العربي، دون طبعة.

130. معاني القرآن:

أبي الحسن سعيد بن مسعدة المجاشقي البلخي البصري المعروف بالأخفش الأوسط، تحقيق:

إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1423هـ-2002م.

131. المعجزات القرآنية:

هارون يحيى، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.

132. معجزة القرآن:

محمد متولي الشعراوي، مكتبة التراث العربي، دون تاريخ.

133. معجزة القرآن:

نعمت صدقي، دار الاعتصام، ط2، 1389هـ-1978م.

134. معجزة النبات:

هارون يحيى، مراجعة: أورخان محمد علي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط1،

1425هـ-2004م.

135. معجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم:

محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ-2001م.

136. معجم مقاييس اللغة:

لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ-1991م.

137. معجم الوجيز:

مجمع اللغة العربية، ط1، 1400هـ-1980م.

138. معجم الوسيط:

إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وآخرون، تحقيق: حسن علي عطية، ط2.

139. مفردات ألفاظ القرآن:

الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق، ط3، 1423هـ-2002م.

140. من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (من آيات الله في الأرض) (من آيات الله في السماء):

أ. د. حسن أبو العينين، مكتبة العبيكان، ط1، 1416هـ-1996م.

141. المنتخب في تفسير القرآن الكريم:

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط18، 1995م.

142. منتخب قرآنة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم:

ابن الجوزي، تحقيق: محمد السيد الطنطاوي وفؤاد عبد المنعم أحمد، دار المعارف بالإسكندرية، دون تاريخ.

143. من علم الفلك القرآني (الثوابت العلمية في القرآن الكريم):

عدنان الشريف، دار العلم للملايين، ط3، 1997م.

144. منهج المسلم كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات:

أبو بكر الجزائري، دار نهر النيل، دون تاريخ.

145. منهج الحضارة الإنسانية في القرآن:

محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، 1424هـ-2003م.

146. من علوم الأرض القرآنية:

عدنان الشريف، دار العلم للملايين، ط3، 1997م.

147. موسوعة الألفاظ القرآنية:

مختار فوزي النعال، دار التراث، حلب، ط1، 1423هـ-2003م.

148. موسوعة الإشارات العلمية في القرآن الكريم والسنة النبوية:

عبد الباسط الجميل، داليا صديق الجميل، دار غريب، دون تاريخ.

149. الموسوعة العلمية الحديثة (الكون)

كولين مرونان، رسوم ديفيد هاردي، بيروت، 1980م.

150. الموسوعة العربية العالمية:

مؤسسة أعمال الموسوعة، ط2.

151. الموسوعة العربية الميسرة:

دار الجيل، بيروت - القاهرة - تونس، ط2.

152. موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب:

جيرجهامي، مكتبة لبنان، الناشر، دون تاريخ.

153. المياه في القرآن منهاج لتفسير الإشارات العلمية:

أحمد عامر الدريمي، دار النفائس، ط1، 1423هـ-2002م.

154. النبات في القرآن الكريم:

أ. د. زغلول النجار، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 1425هـ-2004م.

155. النبات والإنبات والحيوانات والحشرات:

خالد فائق العبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2005م-1426هـ

156. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:

برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، خرج آياته ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1415هـ-1995م.

157. النكت والعيون:

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1412هـ-1992م.

158. النهاية في غريب الحديث والأثر:

مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، دار ابن الجوزي، ط2، 1423هـ.

159. وجوه من الإعجاز القرآني:

مصطفى الدباغ، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1982م.

160. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:

لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

ثانياً : الدوريات

1. مجلة الإعجاز العلمي:

العدد الثامن، شوال (1421هـ)

2. مجلة التربية:

العدد (105)،

3. مجلة الجامعة الإسلامية

العدد الثاني، السنة الحادية عشرة، ذي الحجة (1398هـ)

4. مجلة الجامعة الإسلامية:

العدد الثالث، السنة الرابعة، شوال (1391هـ-1971م)

5. مجلة دعوة الحق:

العدد (47)، السنة الخامسة.

6. مجلة دعوة الحق:

العدد (76)، السنة السابعة.

7. مجلة صامد الاقتصادي:

العدد (92)، السنة الخامسة عشرة (1993م)

8. مجلة منبر الإسلام:

العدد السادس، السنة (57)، أكتوبر (1998م)

9. مجلة النور:

العدد (13)، السنة الثانية، (1405هـ-1985م)

10. مجلة النور:

العدد (24)، السنة الثانية، (1405هـ-1985م)

11. مجلة هدى الإسلام:

العدد السادس، جمادى الثانية (1403هـ-1983م)

خامساً : فهرس المواضيع

الموضوع

الصفحة

| | |
|-----------------------------|----|
| الإهداء | أ |
| شكر وتقدير | ب |
| المقدمة | د |
| أهمية الموضوع | هـ |
| أهداف البحث | هـ |
| طبيعة عمل الباحثة | و |
| الجهود السابقة | و |
| الرموز المستخدمة في الرسالة | ز |
| خطة البحث | ح |

التمهيد 16-1

| | |
|--|----|
| أولاً: معنى الأرض في اللغة | 2 |
| ثانياً: معنى الأرض في الاصطلاح العلمي | 3 |
| ثالثاً: الاستعمالات القرآنية لفظ الأرض | 4 |
| أ- حركات لفظ الأرض | 4 |
| ب- حكمة تفرق آيات الأرض | 5 |
| ج- حكمة أفراد لفظ الأرض | 6 |
| د- وجوه استعمال لفظ الأرض في القرآن | 7 |
| 1- بمعنى الكرة الأرضية (جميع الأرض) | 7 |
| 2- بمعنى الحبة | 7 |
| 3- بمعنى الأرضين السبع | 8 |
| 4- بمعنى تراب القبر | 8 |
| 5- بمعنى عرصات القيامة | 9 |
| 6- بمعنى أرض تيه بني إسرائيل | 9 |
| 7- بمعنى أرض مكة | 9 |
| 8- بمعنى المدينة المنورة | 10 |

- 9- بمعنى أرض الشام ----- 10
- 10- بمعنى أرض مصر ----- 11
- 11- بمعنى أرض بني قريظة ----- 12
- 12- أرض الفتوح إلى يوم القيامة ----- 12
- 13- بمعنى أرض الروم ----- 12
- 14- بمعنى أرض الحجر ----- 13
- 15- بمعنى بعض ديار الإسلام ----- 13
- 16- كناية عن القلب ----- 13
- 17- الجزء فأكثر من الأرض ----- 14
- 18- مكان موت النفس ----- 15
- 19- بمعنى أرض المحشر ----- 15
- 20- بمعنى المساكن والمنازل ----- 16
- 21- بمعنى التربة الزراعية ----- 16

17- الفصل الأول: صفة خلق الأرض وتسخيرها للإنسان -----

- 18- المبحث الأول: صفة خلق الأرض -----
- 19- المطلب الأول: نشأة الأرض ومراحل تكوينها -----
- 19- أولاً: أصل الخلق (السموات والأرض). -----
- 19- أ- وحدة الكون...وسر الحياة: -----
- 21- ب- نشأة الأرض: -----
- 24- ج- خلق السموات والأرض بالحق: -----
- 25- ثانياً: ترتيب خلق السموات والأرض. -----
- 28- ثالثاً: مراحل خلق الأرض. -----
- 32- رابعاً: لغة السموات والأرض. -----
- 34- المطلب الثاني: شكل الأرض وجاذبيتها وتوازنها -----
- 34- أولاً: شكل الأرض. -----
- 34- أ- كروية الأرض: -----
- 36- ب- بيضاوية الأرض: -----
- 37- ثانياً: جاذبية الأرض وتوازنها. -----
- 37- أ- جاذبية الأرض: -----

- 40 ----- ب- توازن الأرض:
- 42 ----- المطلب الثالث: حركة الأرض ودورانها**
- 42 ----- أولاً: حركة الأرض حول نفسها.
- 42 ----- 1- عند القدامى:
- 43 ----- 2- المعاصرون:
- 45 ----- ثانياً: دوران الأرض حول الشمس.
- 45 ----- 1- القدامى:
- 46 ----- 2- المعاصرون:
- 47 ----- ثالثاً: رب المشرقين ورب المغربين.
- 49 ----- المطلب الرابع: وسعها وزينتها**
- 49 ----- أولاً: وسعها وزينتها.
- 50 ----- ثانياً: طبقات الأرض.
- 52 ----- المبحث الثاني: تسخير الأرض للإنسان**
- 53 ----- المطلب الأول: الهواء**
- 54 ----- أولاً: أنواع الرياح الأرضية.
- 57 ----- ثانياً: تصريف الرياح.
- 58 ----- ثالثاً: الرياح لواقح السحاب.
- 60 ----- رابعاً: تلازم السحب والمطر والرياح.
- 61 ----- خامساً: البرد وعواصف البرق والرعد.
- 63 ----- المطلب الثاني: الماء**
- 63 ----- توطئة
- 63 ----- أ- المصدر الجوي وأشكاله:
- 63 ----- 1- ألفاظ تبين أنواع السحاب:
- 63 ----- أولها: السحاب:
- 66 ----- ثانيها: المزن.
- 66 ----- ثالثها: المعصرات.
- 67 ----- رابعها: الحاملات.
- 67 ----- خامسها: الغمام.
- 68 ----- سادسها: العارض.

- 68 -2- المطر: -----
- 69 التفريع الأول: وصفها من حيث المنفعة. -----
- 69 أولها: الغيث. -----
- 70 ثانيها: الرحمة. -----
- 71 ثالثها: الرزق. -----
- 72 التفريع الثاني: أوصاف المطر من حيث القوة والضعف. -----
- 72 أولها: الرجح. -----
- 72 ثانيها: الوابل. -----
- 74 ثالثها: الطل. -----
- 73 رابعها: الودق. -----
- 74 خامسها: الشجاج. -----
- 74 سادسها: الصب. -----
- 75 سابعها: الغدق. -----
- 76 3- جبال من برد: -----
- 77 ب- المصدر الجوفي: -----
- 77 1. العيون أو الينابيع: -----
- 78 أولها: تفجير العيون وقوة الانفجار. -----
- 79 ثانيها: أنواع العيون حسب المادة الخارجة منها. -----
- 79 ثالثها: درجة جريان الماء. -----
- 80 رابعها: استخدامها للنعمة والهلاك. -----
- 81 2. الآبار: -----
- 83 3. البحيرات الجوفية. -----
- 84 ج- المصدر السطحي: -----
- 84 1- الأنهار: -----
- 87 2- الأودية: -----
- 88 3- المحيطات والبحار والبحيرات: -----
- 89 أ. أوصاف مياه البحار: -----
- 91 ب. فوائد البحار: -----
- 92 1- صيد السمك: -----

| | |
|------------|---|
| 93 | 2- الملاحه: |
| 95 | 3- الحلية واللؤلؤ والمرجان: |
| 98 | ثانياً: دورة المطر في الطبيعة. |
| 98 | ثالثاً: أهمية ووظائف المياه العذبة. |
| 98 | أ- حياة كل حي: |
| 99 | ب- إحياء الأرض (الأرض الهامدة والأرض الخاشعة): |
| 102 | ج- النظافة والتطهير: |
| 104 | د- الشرب والسقاية: |
| 108 | المطلب الثالث: الغذاء |
| 108 | أولاً: النبات. |
| 108 | أ- عوامل نمو ونضج النبات. |
| 108 | 1. التربة: |
| 108 | أولهما: اختلاف تربة الأرض. |
| 109 | ثانيهما: الزراعة في الأرض المرتفعة. |
| 110 | 2. الماء: |
| 113 | 3. الهواء: |
| 114 | 4. سنة الله في الإنبات: |
| 115 | ب- أصناف وأنواع وزوجية النبات: |
| 115 | 1. أصناف ونوعية النبات: |
| 117 | 2. زوجية النبات: |
| 118 | ج- فوائد النبات: |
| 118 | 1. الغذاء: |
| 120 | 2. العلاج: |
| 121 | 3. الإضاءة والتدفئة: |
| 123 | ثانياً: الحيوانات. |
| 123 | أ- أنواع الحيوانات: |
| 126 | ب- الاستفادة من الحيوانات: |
| 127 | 1. الطعام (اللبن واللحوم): |
| 128 | 2. الملابس والمسكن والركوب والزينة وفوائد أخرى: |

- 129 ----- 3. دواء (علاج): -----
- 131 ----- ج- الرفق بالحيوان: -----
- 133 ----- المبحث الثالث: كنوز الأرض -----**
- 134 ----- المطلب الأول: الثروة المعدنية -----**
- 137 ----- أولاً: الحديد. -----
- 137 ----- ثانياً: النحاس. -----
- 141 ----- ثالثاً: الذهب والفضة. -----
- 141 ----- أ- خلق الذهب والفضة في الأرض: -----
- 142 ----- ب- عملية صنع الحلي: -----
- 144 ----- ج- أهمية الذهب والفضة للإنسان: -----
- 144 ----- 1. الزينة: -----
- 145 ----- 2. الصناعة: -----
- 148 ----- رابعاً: الياقوت واللؤلؤ والمرجان. -----
- 150 ----- المطلب الثاني: الفحم الحجري -----**
- 152 ----- الفصل الثاني: بدء الحياة على الأرض وحكمة ذلك -----**
- 153 ----- المبحث الأول: بدء الحياة على الأرض -----
- 154 ----- المطلب الأول: بدء حياة النبات والحيوان -----**
- 157 ----- المطلب الثاني: بدء حياة الجن -----**
- 157 ----- أولاً: ابتداء خلقهم. -----
- 159 ----- ثانياً: أصل خلقهم. -----
- 161 ----- المطلب الثالث: بدء حياة الإنسان -----**
- 166 ----- المبحث الثاني: عمارتها واستخلاف الصالحين لها -----
- 167 ----- المطلب الأول: عمارة الأرض -----**
- 170 ----- المطلب الثاني: وراثته واستخلاف الصالحين للأرض -----**
- 170 ----- أولاً: الاستخلاف في الأرض. -----
- 173 ----- ثانياً: التمكين في الأرض. -----
- 177 ----- المبحث الثالث: إصلاحها وعدم إفسادها -----**
- 178 ----- المطلب الأول: أسباب وعوامل إفساد الأرض -----**
- 178 ----- أولاً: الفساد السياسي. -----

- 178 ----- أ- الحكم بغير ما أنزل الله:
- 179 ----- ب- موالاة الكافرين:
- 181 ----- ج- سبب النزول:
- 181 ----- ثانياً: الفساد الاقتصادي.
- 182 ----- أ- الربا:
- 183 ----- والأسباب التي حرم القرآن الربا لأجلها:
- 184 ----- ب- التطفيف في الكيل والميزان:
- 186 ----- ثالثاً: الفساد الأخلاقي.
- 186 ----- من مظاهر الفساد الأخلاقي:
- 186 ----- أ- الزنا:
- 188 ----- ب- شرب الخمر:
- 190 ----- ج- السرقة:
- 191 ----- رابعاً: التنازع والتفكك.
- 193 ----- خامساً: البغي والاستكبار في الأرض.
- 193 ----- أ- البغي:
- 195 ----- ب- الاستكبار:
- 198 ----- المطلب الثاني: مضار إفساد الأرض وعلاجه**
- 198 ----- أولاً: مضار إفساد الأرض.
- 199 ----- ثانياً: علاج الفساد.
- 199 ----- أ- التوعية والتربية:
- 200 ----- ب- الدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
- 202 ----- ج- قوة السلطان (تطبيق حكم الله) على المفسدين:
- 203 ----- المطلب الثالث: عوامل إصلاح الأرض ومعوقات ذلك**
- 203 ----- أولاً: عوامل إصلاح الأرض.
- 203 ----- أ- امتثال أوامر الله:
- 203 ----- أركان الإسلام:
- 203 ----- 1- الصلاة:
- 204 ----- 2- الصيام:
- 205 ----- 3- الزكاة:

- 206 ----- 4- الحج:
- 206 ----- ب- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
- 209 ----- ج- العدل:
- 211 ----- د- اجتناب نواهي الله:
- 211 ----- 1- عدم المحافظة على ركائز الإسلام:
- 212 ----- 2- اتباع تحكيم الجاهلية:
- 212 ----- 3- الابتعاد عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
- 213 ----- ثانياً: معوقات إصلاح الأرض.
- 213 ----- غياب تحكيم الشريعة:
- 215 ----- المطب الرابع: منافع ومحاسن إصلاح الأرض**
- 215 ----- أولاً: أثره على المؤمن.
- 215 ----- أ- أثره على المؤمن في الدنيا:
- 215 ----- 1- التمتع بحياة طيبة:
- 217 ----- 2- انتشار الأمن والاطمئنان والمحبة:
- 218 ----- ب- أثره على المؤمن في الآخرة:
- 218 ----- 1- تكفير السيئات:
- 219 ----- 2- نيل المغفرة والأجر العظيم:
- 221 ----- ثانياً: أثره على المجتمع.
- 221 ----- أ- التماسك بين أفراد الأسرة:
- 222 ----- ب- التماسك بين أفراد المجتمع:
- 223 ----- ج- العدالة بين الناس:
- 225 ----- د- الاستخلاف والتمكين في الأرض:
- 227 ----- الفصل الثالث: أحوال الأرض ونهايتها**
- 228 ----- المبحث الأول: الابتلاء بالأرض**
- 229 ----- مدخل البحث:
- 229 ----- المطب الأول: قلب الأرض بقوم لوط**
- 230 ----- 1- إتيان الرجال شهوة من دون النساء:
- 230 ----- 2- قطع الطريق:
- 230 ----- 3- المجاهرة بالفواحش:

- 231 ----- 4- مصير قوم لوط: -----
- 233** ----- **المطلب الثاني: خسف الأرض بقارون**
- 234 ----- مصير قارون: -----
- 234 ----- الخسف في القرآن الكريم: -----
- 235 ----- الخسف في اللغة العربية: -----
- 235 ----- الخسف في علم الجيولوجية: -----
- 235 ----- الخلاصة: -----
- 237** ----- **المبحث الثاني: صلاحها للحياة إلى يوم القيامة**
- 238** ----- **المطلب الأول: تسخيرها وإصلاحها لحياة الإنسان**
- 238 ----- أولاً: تسخيرها للإنسان. -----
- 239 ----- ثانياً: إصلاحها لحياة الإنسان. -----
- 239 ----- أ- الأرض مهداً و فراشاً: -----
- 239 ----- ب- الأرض واسعة: -----
- 240 ----- ج- مبسطة ومقررة: -----
- 240** ----- **المطلب الثاني: دوام ذلك إلى يوم القيامة**
- 245** ----- **المبحث الثالث: صفتها يوم القيامة ووراثه الله لها**
- 246** ----- **المطلب الأول: صفتها يوم القيامة**
- 246 ----- أولاً: جمعها الأحياء والأموات. -----
- 247 ----- ثانياً: خرابها. -----
- 247 ----- أ- تبدل الأرض غير الأرض: -----
- 248 ----- ب- زلزلة الأرض وانشاقها وشهادتها: -----
- 249 ----- 1- زلزلة الأرض: -----
- 249 ----- 2- خروج أبقالها: -----
- 250 ----- 3- وقفة مع الإنسان: -----
- 252 ----- ج- نسف الجبال وتسييرها: -----
- 252 ----- 1- رصف الجبال: -----
- 253 ----- 2- نسف الجبال: -----
- 253 ----- 3- سير الجبال: -----
- 255** ----- **المطلب الثاني: وراثه الله لها**

| | | |
|------------|-------|--------------------------------|
| 256 | ----- | الخاتمة |
| 259 | ----- | الفهارس |
| 260 | ----- | أولاً: فهرس الآيات القرآنية |
| 280 | ----- | ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية |
| 283 | ----- | ثالثاً: فهرس الأعلام |
| 284 | ----- | رابعاً: فهرس المراجع |
| 302 | ----- | خامساً: فهرس المواضيع |
| A | ----- | سادساً: ملخص باللغة الإنجليزية |

Abstract

Introduction:

The introduction discusses the linguistic definition of the land, that of speakers and wise persons as well as its scientific terminology. The researcher also deals with the uses of the holy Qura'n to the word "land" displaying the areas where they are used.

Chapter I:

Chapter one is the core of the research, in which the researcher talks about the modern recipe of creating the Earth and harnessing it to human being. The knowledge is limited to the creation of land described in terms of its inception, formative stages, spherically, gravity, the movement of Earth, its circulation and expansion. The researcher also discusses the factors of life on Earth in the form of air, water and food. The researcher talks about the mineral wealth and coal.

Chapter II:

The researcher deals with the beginning of life on Earth and its value limited in the start of life on Earth, whether the life of plants, animals, genies or the beginning of human life. The researcher talks about the (Amara) of Earth and the (Estikhlaf) of the righteous people of earth. The researcher concluded this chapter by the factors of corruption on Earth and its disadvantages. Then the researcher mentioned the reasons and factors of land reform and the benefit of this reform.

Chapter III:

The researcher deals with the conditions and the end of the land, in which the researcher talks about the punishment of nations by reversal and rift.

The researcher also talks about the reform of life till the day of judgment. Then the researcher deals with the description and the shape of Earth on the day of judgment. The researcher finally ends this chapter by talking about the inheritance of Allah to the world after extinction.